رواية :

الخروج من الجلد

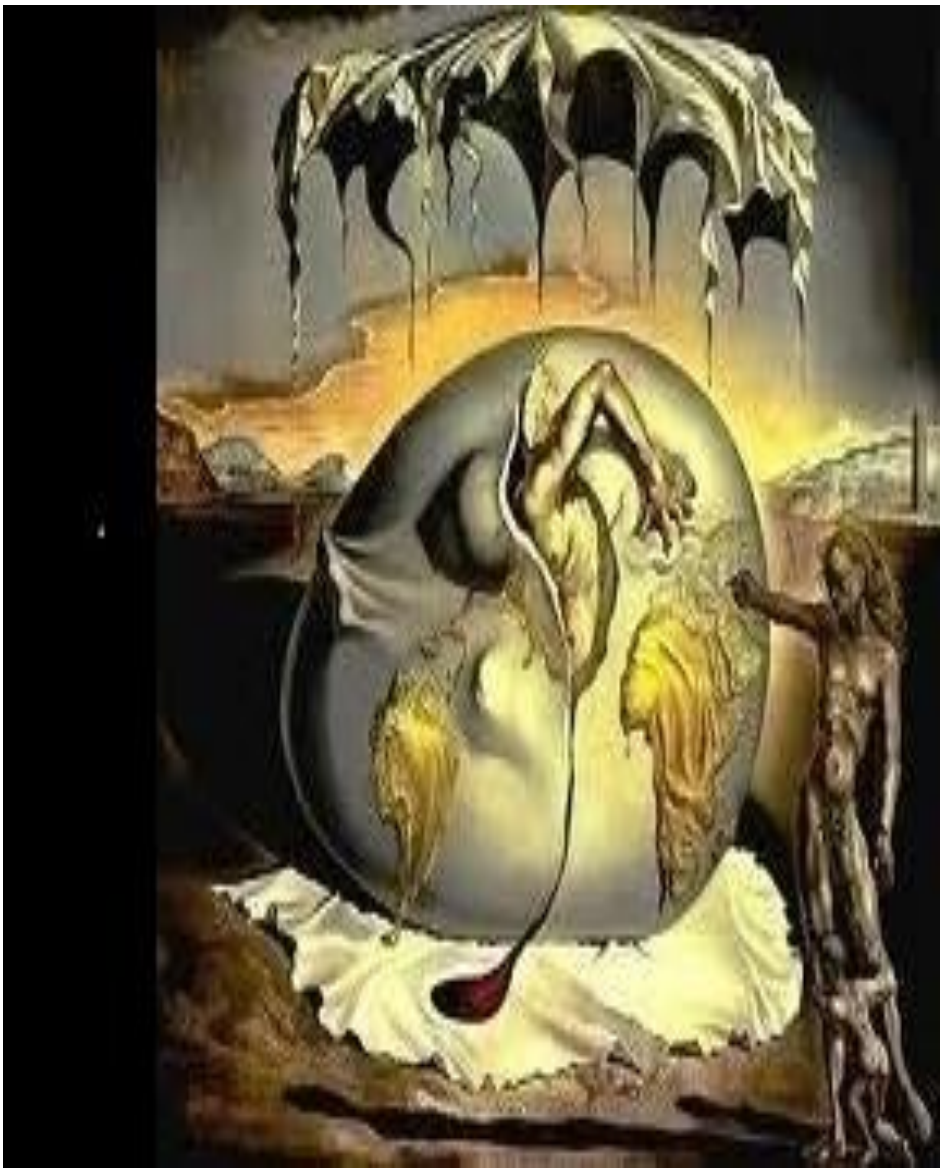

محمود القليني

الخروج من الجلد

محمود القليني

(1)

- أنتما أختاي ...إذن أوجدا لي حلا , إني أكاد أجن .

سألتها (كوثر) وهى تضع صينية البسبوسة على المنضدة بجوار أكواب العصير :

- يا (فاتن) يا حبيبتي ، ليس فيه دليل واحد يثبت أن في حياة (عمر) زوجك امرأة أخرى غيرك .

فقالت (زينات) تلوم (كوثر) علي ما قالته :
- أأنت مع أختك أم مع زوجها ؟!
- مع أختي , ولكن إما إنها تفترى وتتهمه بأشياء هو برىء منها , أو إنها تخفي علينا أشياء .
فسألتها (زينات) ساخرة :
- ومن أين عرفت هذا يا ذكية ؟
- أريد أن اسأل (فاتن) سؤلا محددا وتكون إجابته محددة ... من أين عرفت أن في حياة (عمر) امرأة أخري ؟
فقالت (فاتن) بضيق ، وهي تحاول الهرب من السؤال :
- إحساس المرأة بزوجها ، ألا يكفي ليكون دليلا ؟
فقالت (زينات) وهي تلتهم من صينية البسبوسة :
- ما الأمر يا (فاتن) ؟ لو الواحدة منا حاسبت زوجها بإحساسها لخربت أكثر البيوت العامرة .
فقالت (كوثر) تخاطب (زينات) :
- ألم أخبرك ، أن أختك تخفي علينا أشياء ، ولهذا كلامها غير معقول .
فقالت (زينات) منفعلة فى حدة كعادتها :
- إذا كنت ترديين إشراكنا معك في مشكلتك ، فلا تخفي عنا شيئا , فنحن لسنا غرباء عنك .
فقالت وقد اصطبغت وجنتيها بحمرة الانفعال :
- أشياء لا تقال و.....
وهنا اقتحم مجموعة من الأطفال الحجرة ، يتصايحون ويتضاحكون ، فما كان من (زينات) إلا أن نهرتهم فتعلل البعض أنه يريد أن يشرب ، والأخر يريد أن يأكل ، فلم تستجب لطلباتهم وأخرجتهم وأغلقت الباب واستأنفت (فاتن) كلامها :
- لم لا تصدقاني (عمر) منذ أن حضر في تلك الأجازة ، لم يعد كما كان , اختفت لهفته شوقه لي ... بعد سنتين غياب عنى لم ينم معي سوي ليلة واحدة... وشعرت فيها أنه بارد كلوح الثلج .
تبادلت الأختان النظرات الممزوجة بالاندهاش والتعجب , وقالت (كوثر) :
- ربما يكون مريضا .
- أيكون سليما فى كل أحواله إلا في تلك ؟!
فقالت (زينات) :
- (فاتن) معها حق , لايكون الرجل هكذا إلا إذا كانت في حياته امرأة أخرى .
واستأنفت (فاتن) كلامها :
- وأصبح لا يطيقني ولا يطيق الأولاد , وقد يخرج في الصباح ، ولا يعود إلا فى المساء .
قالت (زينات) :
- عجبا , كنا نضرب به المثل في طاعته وخضوعه لك ، وكنا نتمني أن يكون زوجانا مثله .
- على رأيك يا (زينات) ... كان مادة للتندر والدعابة ، لدرجة أنه أشيع أنه لو ظمأ و(فاتن) بالخارج فلن يشرب حتي تعود وتناوله الماء، ولو أراد أن يشاهد التلفاز سينتظر(فاتن) حتي تشغله له .
- نعم منذ أن تزوجنا ، وهو لا شأن له بشىء , ترك لي تدبير أمور البيت ، وكان لا يناقشني في شىء أو حتي يبدى ملاحظة على أي شىء ، حتي بعد أن أنجبت الأولاد ، ترك لي أيضا أمور تربيتهم , كنت أشعر أنه واحد من أولادي ، فى حاجة الى الرعاية والاهتمام مثلهم مثله ... لقد كان هذا عبئا مضاعفا على ، فالشيء الطبيعي أن نتقاسم المسئولية , ضايقنى هذا في بداية حياتنا ، ولكن تعودت عليه حتي في المرات القليلة ، التى كان يبدى فيها أى تدخل في أمور حياتنا ، كنت أغضب وأثور ثورة عارمة ولا أهدأ إلا حينما يعتذر ، ويلح في الاعتذار ، ويبذل وعودا أنه لن يتدخل في أى أمر من الأمور مرة أخري .
فقالت (زينات) :
- كلنا كنا نحسدك على هذا ، وكنا نتمني أن نكون مكانك , ولكن أمتزوج في الكويت أم هنا في مصر ؟
فنظرت اليها (كوثر) مندهشة وقالت :
- يا نارى منك يا (زينات) ، هي تقول أنها تشك أن في حياة زوجها امرأة , تأتي أنت وتقولين أنه متزوج وتسألينها أمتزوج هنا أم في الكويت ؟!
فقالت (زينات) تخاطب (فاتن) :

- أنت المخطئة أن تركتيه وحضرت إلى هنا .
- كان لابد أن أحضر ، فالأولاد يريدون دخول الجامعة ثم إلى متي سأظل في الخارج .؟
- أذن كان يجب أن يعود معك .
- وماذا يعمل هل سيرجع إلى وظيفته ؟ راتبه منها لا يوفي ثمن المياة الغازية التي يشربها الأولاد .
- معكما الكثير من المال ، فلماذا لا تبحثان عن مشروع ، تستثمران فيه هذا المال ؟

فقالت (فاتن) بحزن وأسى :

- (عمر) لا يجيد أي شيء ، سوى عمله ، وهولا يستطيع أن يتحمل أي مسئولية ، من أى نوع .

فسألتها (كوثر) :

- أمازال يرسم ؟
- أحيانا .

جمعت (فاتن) أشيائها ، وتأهبت للانصراف , فأمسكت بها (كوثر) :

- اجلسي فنحن لم نكمل حديثنا .
- لقد تأخرت على الأولاد , لا تنسيا عيد ميلاد (ولاء) غدا .

وقبلتهما وأنصرفت , سألت (زينات) (كوثر) :

- ما رأيك في كلام (فاتن) ؟
- كلامها محير ، ولكني دائما أقول أن علاقة (فاتن) بزوجها علاقة غير طبيعية .
- ماذا تقصدين بغير طبيعية ؟
- أيوجد في العالم كله امرأة ، تتحمل مسئولية كل شيء كبيرا كان أم صغيرا ، وتجعل زوجها على الهامش ؟
- لقد نجحت فيما فشلنا فيه .
- أخشى أن يتحول هذا النجاح إلى فشل .
- (فاتن) لاتعرف الفشل ، وبالأخص في حياتها الزوجية ، فقوة شخصيتها تذلل كل صعب أمامها .

فقالت (كوثر) وكأنها تحدث نفسها :

- قوة الشخصية تلك ، هي أساس كل المشاكل .
- أتقولين شيئا ؟.

فقالت (كوثر) وهي تتأهب للانصراف :

- نادي على الأولاد ، فقد تأخر بنا الوقت .
- هل ستنصرفين أنت أيضا ؟
- وهل ظننت أني سامضي اليوم هنا ؟
- ولم لا ؟
- وزوجي .
- ولم يحن ميعاد عودته بعد .

فأبتسمت قائلة :

- قبل أن يعود لابد وأن يجدني في استقباله .
- معه حق أن يتحكم فيك بهذا الشكل المخيف .

فقالت بدلال :

- ولم لا ، أليس زوجي ؟ له أن يتحكم كيف يشاء وتحكمه هذا يسعدني .
- أين أنت يا (فاتن) ، لتسمعي هذا الكلام من أختك ؟
- فقالت وهي تتجه نحو الباب .
- كل شيخ وله طريقة

(2)

صداقة حميمة بينه وبين البحر , منذ صغره وهو يعشقه ، لونه رائحته , اتساعه , صوته ، حتي أن أهله كانوا يقولون : إذا غاب (عمر) بعض الوقت فهو عند البحر , أكثر لوحاته البحر فيها يأخذ مساحة واسعة كما يأخذها في حياته , وقد عشق (الإسكندرية) لعشقه للبحر , فهو يشعر به وهو يسير فى شوارعها الواسعه النظيفة ، ويشم رائحته وهو جالس على مقهى من المقاهي المنتشرة في كل بقعة من

بقاعها , ويرى غموضه الجليل في ليلها الساحر الجميل , والتألق في نهارها النشط المفعم بالحيوية , وكثيرا ما سأل نفسه : أهو يعشق البحر أم الإسكندرية ؟ فكان يبتسم ويقول لنفسه : وهل هناك فرق بين الاثنين ؟

وقف أمام محل لبيع الهدايا , فتح الباب ودخل , جذب نظره اللوحات الجميلة المعلقة على الحائط لمناظر طبيعية رائعة , وفي أماكن مختلفة أقفاص لطيور مختلفة الأنواع والأشكال ، وهي تغرد في أقفاصها الأنيقة , وأحواض متعددة الأحجام لأسماك الزينة بألوانها البراقة ، وحركاتها الانسيابية الرشيقة , ونباتات الظل في كل مكان ، وأشكال مختلفة من الزهور ، أشاعت في المكان جوا من الشاعرية والأحلام . لا يعرف كم أمضى من الوقت يتأمل محتويات المكان , فقد شعر أن المكان ليس غريبا عنه ، شعر بألفة حميمة بينه وبين المكان ، ولم ينتبه أن هناك عينا تراقبه , فألتفت فوجد امرأة ، جالسة إلى مكتب صغير ، وبيدها كتاب كانت تطالع فيه , ويبدو أنها مديرة هذا المكان , اقترب منها وقال:

- أريد هدية .

نهضت وابتسمت له قائلة :

- المحل تحت أمرك ، فاختر ما تشاء .

نظر حوله قائلا :

- في الحقيقة ، أنا في حيرة ولا أدرى ماذا اختار ؟
- لمن الهدية ؟
- لابنتي .
- وما المناسبة ؟
- عيد ميلادها .

صمتت قليلا ، ثم سألته :

- كم عمرها ؟ .

صمت مفكرا ، ثم قال :

- إنها في الجامعة , في السنة الثانية .

دارت فى المكان ، ثم ذهبت ناحية ركن العصافير ، وأنتقت قفصا به عدد من العصافير ذات الألوان البراقة ، ووضعته أمامه على المكتب , تأمل القفص مبتسما ، ثم مد إصبعه داخل القفص فعضه العصفور , فجذب أصبعه وتساءل :

- العصافير تعض ؟!
- ولم لا ؟

نهض ، وأخذ القفص وسارخطوات , ثم عاد إليها وهو يمسح المكان بنظره وقال :

- اسمحى لي ، أن أعبر عن مدى إعجابي بجمال هذا المكان , إنه بحق يستحق كل تقدير .
- شكرا , هذا من ذوقك .
- سلام عليكم .

(3)

تعانق الرجلان وأخذ كل منهما يتأمل الأخر ... قال (كمال) :

- مضت سنتان ، لم أرك فيهما .
- أمضيت السنتين في الخارج ، لم أحضر خلالهما إلى مصر .

- لم ؟
- هذا موضوع سوف نتحدث فيه في وقت آخر .

نظر (كمال) إلى ملامح صديقه (عمر) متأملا الشيب الذي بدأ يغزو جانبى رأسه وقال :

- لقد تغيرت كثيرا يا (عمر) .
- هذا الشيء الوحيد الذي لا نملكه .

نظر كل منهما إلى الأخر ، وفجأة غرقا في سيل من الضحك , وبعد أن توقفا سأله (عمر) :

- علام تضحك ؟

فربت على كتفه قائلا :

- المهم أن نضحك يا صديقي ... نوبة من السعادة والسرور ، انتابتنا حينما شعرنا أننا معا , فلم لا تضحك ؟!

نعم فقد عاشا معا أجمل سنوات عمرهما ، وكانا لا يفترقا , جمعهما حب الفن ، وطموح أحلام و تمرد الشباب .قال (كمال) :

- سوف أذهب لأعد لك قهوة ، فالخادم اليوم في أجازة .

نهض (عمر) ، ودخل قاعة المرسم ، وشعر بأسى ، وهو يتأمل محتويات المكان من لوحات وأنابيب الألوان وتلك الرائحة المحببة إلى نفسه ... كان يتمنى أن يمضى عمره في مكان كهذا ولكن .....

عاد (كمال) يحمل القهوة , وسأله (عمر) وهو يحتسى القهوة :

- أرى المرسم شبه خال .
- كنت أعرض في إيطاليا ، وعدت منذ يومين ، واللوحات في طريقها إلى هنا .

صمت (عمر) قليلا ثم قال :

- لقد اخترت طريق الفن .

فأبتسم (كمال) وقال :

- وأنت اخترت طريق المال .

شعر (كمال) أنه أخطأ في هذا القول ، فحاول أن يخفف من وقع كلماته ، فقال :

- المهم أن كل منا سعيد بما اختاره .

سار (عمر) بضع خطوات نحو النافذة ، ومكث قليلا ، ثم استدار قائلا وهو يتنهد:

- ومن قال لك أنى سعيد بما اخترته ؟
- إذن لماذا اخترته؟

وضع (عمر) فنجان القهوة ، ثم مس على جبينه بإصبعه :

- أتعرف أننا فى اختيار القرارات المصيرية فى حياتنا ، لا نكون أحرارا فى ذلك.
- إذن لماذا تقول اختيارا ؟
- لأن هناك بدائل وقت اختيارنا ، ومع ذلك نجد هناك ظروفا ، خارجة عن إرادتنا تجعلنا نختار هذا دون ذلك ، وقد يكون اختيارنا يعارض ما نحبه.
- ولكنى اخترت ما أحبه .
- ظروفك تختلف عن ظروفى .
- تقصد زواجك .

فهز (عمر) رأسه ، فقال(كمال) :

- لا يا(عمر) ، حكاية الظروف التى تتحدث عنها مسألة نسبية ,أنت الذى ضعفت ولم تستطع المقاومة ؛ لأن طريقنا صعب والمال له إغراءاته .

فقال (عمر) ، فى حزن وأسى :

- نعم ، وأنا أدفع ثمن ضعفى هذا ، من دمى وأعصابى.
- ماذا تقصد؟
- لقد فقدت الإحساس بالأمن والسعادة ، منذ أن تركت كل ما أحبه هنا ، واخترت الغربة أو كما تقول اخترت المال .
- أى غربة ، وأنت معك زوجتك وأولادك؟
- أقسى أنواع الغربة أن تكون غريبا عن نفسك .. أنا فى خصام ، دائم مع نفسى ,حتى أنى كرهت كل من حولى .

فقال (كمال) ساخرا :
- لم أعلم ، أن طريق المال محفوف بكل تلك الآلام .
- صدقنى يا(كمال) ، لقد فقدت العلاقات الحميمة التى كانت تربطنى بكل شىء هنا , الأصدقاء الشوارع ، المقاهى ،الذكريات ،أنا شاعر أن مسام كيانى سدت ، وجود أجوف لا معنى له .

ضحك (كمال) طويلا ، فقال (عمر) :
- عدت تضحك مرة أخرى ! .
- حينما كنت أواجه بعض الصعوبات هنا ، كنت أشعر أن الطريق الذى اخترته أنت هو الصواب ، وكنت أتمنى أن أفعل مثلك .. ولكن العلاقات الحميمة التى تحدثت عنها كانت عندى أقوى من أى شىء , لم أكن أستطيع أن أنزع نفسى من هنا , الإنسان ليس نباتا يمكن نقله من بيئة إلى أخرى ، حتى النبات قد يموت حين نقله .

صمت(عمر) قليلا ، ثم نظر فى ساعته وظهر عليه القلق فسأله (كمال) :
- هل لديك موعد؟
- الليلة ، عيد ميلاد (ولاء) .

فابتسم (كمال) قائلا:
- مبروك ...إذن ، لابد وأن أرسل معك لها هدية.
- هديتها أن تأتى معى ؛ لتراك فهى كما تعلم معجبة بك .
- وأنا أيضا ، ولكنى على موعد هام .
- مازلت أبحث ، عن السر الذى لا يجعلك تزورنى فى بيتى , ومنذ أن تزوجت لم تزرني مرة واحدة ، حتى (ولاء) سالتنى عن سبب ذلك.

فقال (كمال) ، وهو يضحك:
- كل ما فى الأمر، أن ظروفى أثناء أجازتك لا تسمح لى , وليس المهم من يزورمن , المهم أن يرى كل منا الأخر .

نهض (كمال) ، وأخذ يبحث بين عدد من اللوحات ، وأنتقى واحدة ، وأحاطها بغلاف ، وكتب عليها تهنئة (لولاء) ، وحينما أعطاها (لعمر) أطلق هذا صيحه ، فسأله :
- ما بك؟
- لقد اشتريت (لولاء) هدية ، ولكنى نسيت أن أدفع ثمنها ..ماذا تراها تقول الآن ؟
- من؟
- صاحبة المحل .
- إذن ، اذهب وأدفع لها .

فنظر في ساعته قائلا :
- لا، لقد تأخرت عن الموعد .
- إذن اذهب فى وقت آخر.

فنهض متأهبا للانصراف ، فاستوقفه (كمال):
- نسيت الهدية.

فرجع ، وأخذها وقال:
- لا أدرى لماذا أنسى كثيرا تلك الأيام ؟ .

(4)

- أترين.. ؟ إنه شخص لايشعر بالمسؤلية...

فقاطعتها (ولاء) :
- لو سمحت ياماما ، لا تتحدثى عن بابا بتلك الطريقة .

- وهؤلاء الذين بالخارج ، ينتظرون أكثر من ساعة , ويريدون الانصراف...لقد أخبرته أكثر من مرة ألا يتأخر .
- لا أظنه سيتأخر أكثر من ذلك .
- دائما يقابل كل شيء باستهتار ..أظن لاداعى لانتظاره, هيا لنطفيء الشمع .
- لن أفعل ذلك، حتى يعود ، ولو انتظرت طوال الليل .

فقالت بسخرية :

- وهؤلاء الجالسون بالخارج , سنجعلهم ينتظرون ، حضرة المبجل والدك ، طول الليل .
- إذن ، اذهبى أنت ، واطفئي الشمع .

فانفجرت فى البكاء ، وقالت :

- لقد تعبتم أعصابى ,لا أستطيع أن أتفاهم معك أو مع والدك.

فاقتربت منها (ولاء) ، وأحتضنتها وقالت :

- أنا آسفه يا أ مى , ولكنه غاب عنى سنتين ، ولن أشعر بسعادة هذا العيد إلاوهو بجوارى , وقد يغضب ، لو جاء ووجد أن كل شيء قد انتهى .

وهنا دخل (باسم) أخوها ، وهو فى قمه أناقته ووقف مندهشا ، وتساءل:

- ماذا فعلت يا(ولاء) حتى جعلتيها تبكى؟
- لم أفعل شيئا , كل الذى قلته أن ننتظر بابا.

اقترب من أمه قائلا:

- بابا له تصرفات غريبة , وماما معها حق.

فنظرت إليه ساخرة وقالت:

- أنت هكذا دائما مع ماما ضد بابا.
- أنا لا أنكر ذلك ,لأن كل تصرفات ماما تتسم بالرزانة والعقل و....

فقاطعته بحزم قائله :

- وبابا هو الذى تتسم تصرفاته بالخفة ,كلكم فى البيت لا تعطونه حقه من الاحترام , معه حق فى ألايرغب فى العودة إلى البيت , ولولا أنى ألححت عليه بالخطابات ، ما فكر في أن يأخذ أجازة .

وتناهى إلى أسماعهم ، صوت خالتهم (زينات):

- يا (فاتن) أين أنت؟

وحينما فتحت الباب ، عقدت الدهشه لسانها بعض الوقت ، ثم قالت :

- أتبكين ؟!

فمسحت (فاتن) دموعها وقالت ، وهى تشيح بوجهها :

- لا تهتمي .
- وأنت يا (ولاء) ....لماذا تقفين هنا ؟ ألن تذهبى لكى تطفئي الشمع؟
- أنا منتظرة أبي .
- لقد حضر ، وهو بالخارج الآن .

فأسرعت (فاتن) بالخروج ، فأمسكت بها ابنتها ، ولكنها تخلصت منها ، وخرجت وهى كتلة من الغضب والانفعال ، وقالت بصوت سمعه الجميع مندهشين :

- ألم تكن تعرف ، أن اليوم هو عيد ميلاد ابنتك ياأستاذ ؟ وأتظن أن هؤلاء مثلك ليس وراءهم مصالح ، حتى تتركهم ينتظرونك طوال تلك المدة ؟

كانت (ولاء) تنقل البصر بين وجه والدها الذى ارتسمت عليه علامات الاندهاش ، وبين وجوه الجالسين . قابل(عمر) كلام زوجته بهدوء غريب , التقط الهديتين من جانبه ، وأعطاهم لابنته ، ثم خرج وساد الوجوم الحاضرين ، وحاولت (كوثر) و(زينات) أن يبددا الأثر الذى تركه الموقف في نفوس الحاضرين ، فدعيا (ولاء) لإطفاء الشمع ، وقاما بتوزيع التورتة على الحاضرين وأشاعا جوا من المرح والبهجة والغناء والرقص .

وبعد أن انصرف المدعوون ، بحثت(فاتن)عن ابنتها ، فوجدتها فى حجرتها ، جالسة على فراشها فى الظلام ,أضاءت المصباح ، واقتربت منها ، وقالت بصوت ودود:

- بدلا من أن تفتحى الهدايا ، تجلسين وحدك فى الظلام .

فسألتها بدون أن تحول وجهها إليها :
- لم فعلت ذلك ؟
لوحت بذراعيها فى الهواء بنفاد صبر ، وشعرت بغيظ ، ولكنها كظمته وقالت:
- أيعجبك ما فعله ؟ وبالأخص فى تلك الليلة .
فاستدارت إليها قائلة :
- حتى وإن تأخر بعض الوقت ، أيكون جزاؤه الإهانة أمام الحاضرين .
- أنا لم أهنه.
- لقد أهنته ، وتعمدت ذلك ..أنت تجدين متعة فى إهانته ، وأمام الناس و.....
لم تستطع أن تكظم غيظها ، وهى ترى ابنتها ترفع صوتها وتنظر إليها تلك النظرات ، التى تتهمها بإساءة معاملة والدها ، ولا سيما وأنه تكررمنها ذلك فى الآونه الأخيرة ، فقالت لها بلهجة حاسمة :
- (ولاء) لا شأن لك بما يحدث بينى وبين والدك ، والتزمى حد الأدب حينما تتحدثين مع أمك .
شعرت (ولاء) بالحرج ، فصمتت قليلا ، ثم قالت بصوت هادىء :
- إذن ، لا تلومى إلا نفسك حينما يبحث بابا عن شىء بالخارج ، فقده داخل بيته ،ومعك بالذات .

لم تشعر(فاتن) ، إلا وهى ترفع يدها ، وتهوى بها على وجه (ولاء) ، أول مره تمتد يدها على ابنتها، لم تشعر (ولاء) بألم أو حزن بقدر ما شعرت بالغضب ، فقالت لها وهى تتحسس أثر الصفعة على وجهها :
- أتضربيننى لأنى أصارحك بالحقيقه ؟!
- أضربك لأنك نسيت أنى أمك.
- لم أنس أنك أمى ، كما أنى لم أنس أنه أبى .

مضت فتره صمت قلقة ، جلست الأم على طرف الفراش بجوار ابنتها ، وانفجرت فى البكاء ، وأخذ جسدها يهتز ويرتعش ، نهضت(ولاء) واحتضنتها وقالت الأم من خلال دموعها:
- أنا آسفه يا (ولاء) ، لا أعرف كيف فعلت ذلك ، ولكن أعصابى مضطربة ... لم يعد لى قدرة على تحمل أي شىء.
فقالت (ولاء) بعد فتره صمت وتردد:
- أ كل هذا لآن أبي قد تغير عما كان ؟
رفعت عينيها إلى ابنتها مندهشه ، وقالت ، وهى تجفف دموعها مندهشة :
- وما أدراك أنت أنه تغير؟!
- لم أعد صغيرة ياأمى ....أبي تحرر من كل القيود التى كنت تقيدينه بها , منذ أن تركناه يعيش بمفرده فى الخارج وعدنا, وكنت تظنين وكلنا كذلك أنه لن يتحمل شهرا واحدا ويعود , وفوجئنا بدلا من أن يمضى سنة، ويعود فى الأجازة، نجده يمضى سنتين ، وكان على استعداد أن يقضى أكثر من ذلك , خطأك أنك أعطيته الفرصة لكى يخرج من الشرنقة التى صنعتها حوله ، ولا تريدين أن تصدقى أنه أصبح شخصية أخرى غير التى كنت تعرفينها ، كما أنك لا تريدين أن تصدقى أني كبرت ، وأفهم ما يدور حولى حتى أخص الخصوصيات.

شعرت أن التى تتحدث أمامها ليست ابنتها ، بل شخصية أخرى ، نضجت فى لحظة وأصبحت قادرة على تفسير كل ما يحدث حولها , كانت تلحظ أنها على عكس بقية أبنائها، فهى تسبق سنها، بما تظهر من تفوق فى دراستها وأشياء أخرى كثيرة ,ولكنها لم تكن تتوقع أن تفهم تلك العلاقة الخاصه بينها وبين أبيها , لم تدر ماذا تقول لها ؟ فقد فوجئت بكلامها هذا . دائما نعطى لأبنائنا أقل ما يستحقونه من تقدير, ودائما يخلفون ظننا فى هذا الأمر ,شعرت الأم أنها مطالبة أن تبرر موقفها حتى ولو كان فى هذا التبرير إدانة لها ، قالت وهي تعصر أصابع يدها :

- كان لابد أن أعود بكم ؛ لتدخلوا جامعاتكم ، وأن يبقى هو بالخارج ليضمن لكم المستوى الذى تعودتم عليه .
- لقد عانى كثيرا، وهو في غربته بعيدا عنا .
- وأنا عانيت مثله، بل أكثر ....على الأقل لم يكن متحملا مسئوليتكم .

- على الأقل وهو بالخارج خفف عنك مسئوليته.
- ماذا تقصدين؟
- يا أمى سواء كان معنا أبى أو لم يكن ، أنت متحملة مسئوليه كل شىء.
- وهل هذا ذنب ألام عليه؟!
- لا ، ولكن من الطبيعى أن تكون المسئولية مشتركة بينكما.
- كيف ؟! وهو لا يعرف أى شىء مما يدور حوله؟
- أظن أنه بدأ يرغب فى أن يتحمل المسئولية ، وأول شىء رغبته فى أن يتحمل مسئولية نفسه , وربما يكون هذا هو السبب فى تغيره.

وقفت الأم لتغادر غرفة ابنتها ، وقالت قبل أن تنصرف في حزم :

- هذا البيت أنا الوحيدة التى أتحمل مسئوليته ، ولن أترك لأى فرد مهما كان أن يهدم ما بنيته .
- ولم لا يزيد فى بناء ما بنيته ، أو يقويه ؟
- ماذا تقصدين؟
- أعطيه فرصة أن يتحمل المسئولية .
- كيف ؟ وهو ليس لديه فكرة عن أى شىء.
- ولم لا يجرب ؟
- لن أسمح بهذا.
- لم ؟
- لان التجربة محكوم عليها بالفشل .... تصبحين على خير .

(5)

من عجيب الأمر أنه لم يشعر بالغضب والثورة على مما حدث من زوجته على مرآى ومسمع من الحاضرين , وفتش فى مناحى نفسه عن أى أثر تركه هذا الموقف فلم يجد ، على ما يبدو أن أشياء كثيرة يميتها الزمن داخلنا بدون أن نشعر بذلك ، ولا يدرى أيحزن لذلك أم يسعد ؟ (لم يعد الأمر مهما) وسأل نفسه : أى أمر ذلك الذى لم يعد مهما ؟ الامور كثيرة ، أى أمر من تلك الأمور ؟ ماله يكلف نفسه عناء التفكير.

بين البحر والليل علاقه حميمة ، كلاهما مظلم وغامض ,صوت تكسر الأمواج على الصخور أعاد الى ذاكرته أحداثا ومواقف فى شبابه ، شعر معها بالشجن والأسف فقدت نفسه أثر دبيب السعادة التى كان يشعر بها فيما مضى لأبسط الأسباب , ماذا حدث؟ أتصدأ النفس مع مرور الزمن ، وتتراكم عليها غشاوات تعزلها عن السعادة ؟ وتذكر فجأة صاحبة محل الهدايا ، وأنه لم يدفع لها ثمن العصافير , انحرف بسيرته , وجدها قد أغلقت المحل , واقفه تنتظر تاكسيا ، نزل وحياها ، فظهر عليها الاضطراب وشىء من الخوف ، مد يده فى جيبه ، وأخرج مبلغا من المال وقال لها :

- نسيت أن أدفع لك ثمن الهدية ، التى أخذتها هذا المساء .

فتذكرت وابتسمت وقالت :

- لتكن الهدية هذه المرة على حساب المحل ، فأنت أول مرة تشرف المحل.

فضحك قائلا :

- أكل من يشترى أول مرة ، تعفينه من دفع ثمن الهدية ؟

لم تكن مشغوله بالحديث معه بقدر انشغالها بالبحث عن تاكسى ,حتى أنها أشارت أكثر من مرة إلا أن أحدا لم يجيبها ,تنبه للأمر فقال :

- اسمحى لى أن أقوم بتوصيلك.

فقالت بضيق :

- لا ، شكرا .
- ولم لا ؟

- البيت بعيد عن هنا .
- أنا ليس ورائى شىء .

شعرت بالحرج وبشىء من الخوف ورأت أن الذى سيخرجها من هذا وقوف أحد التاكسيات ,وأشارت ، فوقف فابتسمت له وأسرعت وأخبرت السائق عن وجهتها إلاأنه اعتذر وتركها مسرعا وعادت فقال لها :
- لا أظنك ستعودين إلى البيت إذا اعتمدت عليهم ، فالساعة متأخرة بعض الشىء .
صمتت مفكرة بعض الوقت ، ثم قررت أن تركب معه متغلبة على خجلها وخوفها , فأسرع بفتح الباب الأمامى ، إلاإنها كانت أسرع منه بفتح الباب الخلفى ، وجلست فى المقعد . قال لها :
- ما الذى أخرك إلى تلك الساعة ؟
- كتاب كنت أقرأه ، أفقدنى الشعور بالوقت .
فابتسم قائلا :
- إذن الدنيا ما زالت بخير، أن هناك من يقرأ كتبا الآن .
- لا أظن أن الإنسان يشعر أنه مازال حيا بدون أن يقرأ .
ابتسم فى صمت وإن كان قد تعجب من قولها هذا قالت له:
- أرجو أن تكون العصافير قد أعجبت .... ما اسم ابنتك ؟
- (ولاء) ، لقد أعجبتها كثيرا، أحب أبنائى إلى قلبى .
- أعندك غيرها ؟
- (باسم) فى السنة الأولى من كلية الهندسة ,وعادل فى الثانوية العامة وغادة فى الصف الأول الإعدادى .
- (ولاء) فى أى كلية ؟
- كلية الآداب .
وأخذ يضحك ، فسألته عن سبب ضحكه ، فقال :
- أتتصورين أن الخطاب بدأوا يطرقون الباب من أجل (ولاء) .
- وما المضحك فى هذا ؟
- كنت أظنها مازالت طفلة ..
- هكذا البنات يكبرن فجأة ، وكذالك تزداد مسؤوليتهن .
- كلامك هذا يدل على أن لديك...
- نعم لدى (جالا) فى السنه الرابعة بكليه الطب , (حنان) فى السنة الثانية فى كلية الآداب , و(شوق) فى السنة الأولى بكلية الصيدلة .
- و (حنان) ، فى أى قسم بكلية الآداب ؟
- علم النفس .
- نفس القسم الذى فيه (ولاء) ، وفى نفس السنة ، أكيد تعرفها .
- احتمال .
نظرت فى الساعة متململة ، فقال:
- أرى أنك فى عجلة من أمرك .
- نعم ، فقد تأخرت على موعد إعداد العشاء للبنات .
- عجبا لقد اخبرتنى أنهن فى الجامعة، فلم لا يخدمن أنفسهن ؟
ضحكت قائله :
- إنهن لا يفعلن أى شىء، ومسؤوليتهن أتحملها كلها وحدى .
- وحدك ! وأين والدهن؟
- لقد ترك مسؤوليتهن ، وترك الدنيا منذ زمن بعيد ، وما تزال البنات صغيرات .
- معذرة ، إن كنت ذكرتك بذلك .
- الأمر مضى عليه سنوات .
- ولكن لا تؤاخذينى فى السؤال أيكفى ما يدره المحل للإ نفاق على البيت ؟
- معاش المرحوم كبير ، يكفيهم ويزيد وترك لهن قطعة أرض ، وهذا المحل لملىء وقت فراغى فقط .

- ألا تعملين ؟
- كنت أعمل مهندسة ديكور فى إحدى الشركات الحكومية ، ولكنى اكتشفت أن الجمع بين الوظيفة وتربيه البنات صعب ، فاستقلت وتفرغت لتربيتهن ، والآن وقد كبرن لم يعدن فى حاجة إلى كل وقتى كما كن فى الصغر.
- ولكن لدى سؤال وان كان محرجا بعض الشيء 000

فقاطعته قائلة :

- أعرفه قبل أن تسأله .
- ما هو ؟
- لم لا تتزوجين ، لا سيما وأنت ما تزالين صغيرة وجميلة ، أليس هذا ما كنت ستسأله ؟
- نعم 0
- لقد استقلت من عملى رغم أنى كنت أحبه ، لتربية البنات , فكيف كل من يقابلنى يسأل نفس السؤال ؟
- وهل الزواج سيمنعك من تربيتهن ؟
- لا ، ولكن سيأخذ الجزء الأكبر من وقتى .
- ألم يكن والدهن يأخذ جزءا من وقتك ؟
- لا ، بل كان يعطيهم معظم وقته ..... أما من أتزوجه ، فما المبرر أن يتنازل عن جزء من وقته واهتماماته وجزء من وقتى لأربى البنات ؟ .... ولم يكن أمامى إلا خياران : الزواج ، أو تربية البنات .
- فاخترت تربية أولادك .
- ولست نادمة .
- أظنك ضحيت كثيرا .
- أحيانا يختفى الفرق بين التضحية والواجب .
- وهل أنت سعيدة الآن ؟
- نعم ، فكل نجاح تحققه بناتى وسام على صدرى .
- لا شك أنك تحبينهن .

تحشرج صوتها بعض الشيء وقالت :

- إنهن عمرى وحياتى.

تلفتت حولها ثم قالت :

- لو سمحت توقف .
- أتقمين هنا ؟
- لا ... بعد هذا الشارع بشارعين 0

فابتسم (عمر) وأسرع بالنزول ، وفتح لها الباب فقالت له:

- معذرة على ازعاجك .
- فرصه طيبة أني قابلتك ، وتحدثت معك .

تابعها بنظره حتى اختفت ,أخذ يفكر فيما قالت , وبعد أن ظل يسير بالسيارة توقف وسأل نفسه : إلى أين يذهب ؟ الرجوع إلى البيت لارغبة له فى ذلك ، إذن ، ليس هناك إلاصديقه (كمال)

(6)

- ما هذا ..؟ . أمعقول أن ماما لم تعد للآن ؟

فقالت لها (حنان) وهى تغلق الكتاب الذى تقرأه .

- أنت تعرفين التكسيات ترفض الدخول هنا لكثره المطبات والاصلاحات .

فقالت (جالا) بضيق :

- قلت لماما أكثر من مرة ، أن تبيع هذا المحل ..أنا لا أدرى أى جدوى منه , ولسنا فى حاجة إليه ؟

فعقبت (شوق) :

- معل حق يا (جالا) ، ثم أن هذا فيه انتقاص من وضعنا الاجتماعى ومظهرنا ... تصورى لو تقدم لك عريس وعرف أن ماما.....

فقاطعتها (حنان) :

- هونا عليكما ... أنا لم أر اثنتين بلغت بهما الإنانية هذا الحد , ما لكما تأمران وتحكمان فى ماما؟؟

فقالت (شوق) :

- بصراحه يا (حنان) ليس هناك أى ضرورة لوجود هذا المحل وانشغال ماما به .
- أنتما تعرفان أن نفسية ماما كانت فى غاية السوء قبل أن تشترى هذا المحل ، ولذلك بسبب الفراغ الذى كانت تعانى منه ,وبعد أن اشترت المحل تبدل حالها وأصبحت سعيدة ، تشعر أن لها هدفا على الأقل تستيقظ من النوم من أجله ...تأتيان أنتما وتقولان أن ليس له أى ضرورة!!

فقالت (جالا) :

- وهل نحن لا نملأ وقت فراغها ؟
- ماما ليست خادمه لنا يا (جالا) وإنما هى أم ، وقبل هذا هى إنسانة .

فحاولت (شوق) أن تخفف مما قالته (جالا) :

- (جالا) لا تقصد شيئا مما تفكرين فيه ، وإنما تقصد أننا نملأ عليها حياتها .
- الإنسان لا يملأ حياته بحياة الأخرين .

فقالت (جالا) وكأنها وجدت ثغره تنفذ منها إلى (حنان) وتصد هجومها عليها :

- لا ...أنت مخطئة فى ذلك , فماما قالت بلسانها أننا نملأ عليها حياتها .
- كنا نملأ عليها حياتها , ولكن الآن أصبح لكل واحدة منا عالمها الخاص بها.

فقالت (شوق) :

- ولكن نحن نشركها معنا فى عالمنا .
- نعم ، نجعلها تعيش معنا فى عالمنا ولكن على الهامش فقط , فقبل كل شىء هو عالمنا وليس عالمها ، وبعد سنوات ستستقل كل واحدة منا بعالمها ، وتبقى هى تنتظر أن نمن عليها بزيارة أو ندعوها لتناول العشاء أو الغداء .

فقالت (جالا) :

- بعد تلك المحاضرة الطويلة العريضة و البليغة ، ما المقصود منها ؟

فقالت (شوق) ساخرة :

- معك حق ولكنها محاضرة مملة ، كتلك التى نجبر على الاستماع إليها من الدكتور (عطيه) .

فقالت (حنان) متحمله سخريتهما :

- أريد أن أقول أننا وصلنا إلى سن الفطام ...يجب أن نريح أمنا ، نحاول نرد لها جزءا مما قدمته وتقدمه وستقدمه .

فقالت (شوق) وما تزال نبرات السخريه تشيع فى كلامها:

- وكيف ذلك يا مصلحة عصرك وأوانك ؟
- أن نخفف عنها عبئنا .

فقالت (جالا) :

- كيف ؟ وضحى كلامك .

- نعمل جدولا , ونقسم الأعمال علينا ,واحدة تغسل وتطبخ ، وأخرى تنظف البيت وأخرى تحضرالخضار ولوازم البيت من السوق .

شهقت كل من (جالا) و(شوق) حينما سمعا بهذا الكلام ، وقالت (جالا) وهى ترفع أصابعها الرخصة البيضاء ، وقد طليت أظافرها الطويلة بلون أحمر قان :

- أنا أدخل المطبخ ، وأضع أصابعى فى الطبيخ ، وأغسل الأطباق ... معقولة يا(حنان) لقد جننت لا شك فى هذا !!

وفردت (شوق) شعرها وراء ظهرها وجمعت ثوبها حول قوامها النحيف الرشيق وقالت :

- وأنا أذهب إلى السوق ، وأتحدث مع البائعين وأشتري الخضار، وأذهب إلى الجزار المفترس لأشترى لحما ، وأحمل كل هذا وأحضره ؟!

وعقبت (جالا) ...

- وأنا أقف أمام الغسالة أغسل وأقف في الشرفة أنشر والناس يشاهدونني , لا ... لا أنا ربما أكون في حلم .

وأسرعت (شوق) ووضعت يدها على جبين أختها (حنان) وقالت :

- إن درجة حرارتها كما توقعت مرتفعة .

فأسرعت (جالا) ، وأحضرت السماعة ووضعتها على أذنيها , وأشترك الاثنتان في إجبارها أن تنام على السرير , وأخذت (جالا) تفحصها ، وبعد أن أنتهت، سألتها (شوق) :

- خير يا دكتورة ؟

فقالت متكلفة الحزن :

- للأسف .. حالتها ميئوس منها , هي ساعات معدودة وعقلها يطير إلى عنان السماء .
- وتبقي بلا عقل ؟!
- بلا عقل تريح وتستريح .
- ألا يمكن أن ننقل لها عقلا ؟
- يوجد أزمة عالمية في العقول , وإن كنت أستطيع أن أدبر لها عقلا من مستشفى المجانين .

حينئذ نهضت (حنان) والتقطت عصا , وحينما رأينها وبيدها العصا أسرعا بالاختفاء من أمامها وهي تجري ورائهما في حجرات الشقة قائلة :

- جن ينطط أنت وهي ... أأنا في حاجة إلى عقل من مستشفي المجانين ؟ إذن أنا مجنونة وسوف أريكما الجنون على أصولة .

ولم ينجيا منها إلا بعد أن قدما إعتذارا لها عما بدر منهما , وجلسن وقد نال منهن التعب .

قالت (شوق) تخاطب (حنان) :

- من يسمعك يظنك أنك تجيدين أعمال البيت ، وأنت لا تستطعين أن تطهي بيضة ولا أن تعدى كوبا من الشاي .

فقالت بأسف :

- كلنا في المهم شرق .. ألست بأختكما , ولكن هذا الحال الذي نحن عليه لا يجب السكوت عليه .

فقالت (جالا) :

- يا ماما نحن لم نخلق لأعمال البيت و ....

وسمعن صوت الباب يفتح ، فصحن قائلات في صوت واحد :

- لقد عادت ماما .

ودخلت وبيدها بعض أكياس الفاكهة ونظرت في أنحاء الشقة وقالت متعجبة :

- ما هذا ؟ ! كأن معركة دارت هنا ؟!

فأحتمت كل من (جالا) و (شوق) بأمهما وقالت (شوق) :

- الشاويش (حنان) كان قد أعلن الحرب علينا , وأخذ يطاردنا في حجرات الشقة .

فقالت (حنان) وهي تحاول أن تصل إلى أختيها وهما يحاولان الهرب منها .

- أنا شاويش ... تنحي يا ماما .

فقالت الأم وهي تضحك :

- أهدأن ... وتصالحن , وأخبرنني عن سبب الشجار .

وبعد أن جلسن قالت (جالا)

- أتصدقين يا ماما أن (حنان) تريد منا أن ندخل المطبخ ونغسل وننزل السوق لنشتري الخضار واللحم ولوازم البيت .

وعقبت (شوق) :

- لا أدري يا ماما ماذا حدث لها مع أنها كانت طبيعية جدا فى الصباح.

فقالت (جالا) :

- تلك الحالة يا (شوق) تأتي بدون أن يكون لها مقدمات , ولكن إن شاء الله ستزول في الصباح .

فقالت (حنان) تخاطب أمها :
- أتسمعينهما ولا تقولين شيئا يا ست ماما .
- معهما حق يا (حنان) كيف تقولين ذلك , وأين ذهبت أنا ؟!
أخذت كل من (جالا) و (شوق) يقبلان أمهما , وقالت (شوق) :
- تعيش ست الكل ماما .
فقالت (حنان) تعاتب أمها في رقة :
- أهكذا يا ماما , وأنا أحاول أن أخفف العبء عنك .
- وهل أنا اشتكيت لأحد ... لا أريد أن يشغلكن أي شيء عن واجباتكن الجامعية ... والأن هيا إلى مذاكرتكن ريثما أعد لكن العشاء .
فقالت (حنان) :
- أنتظرى يا ماما حتي أساعدك في تجهيز العشاء .
- لا أبقى .
وبعد ذهاب الأم قالت (شوق) :
- أين حمرتك أيها الخجل .. أظنك لن تتلفظي بتلك الترهات مرة أخري بعدما سمعت من ماما ما قالته .
فقالت (حنان) :
- ماما تضر نفسها وتضرنا من حيث لا تدري .
ونادت الأم بناتها ليتناولن العشاء .وسألتها (جالا) وهي تأخذ الرغيف من يدها :
- ماما , لم تأخرت الليلة عن العودة في موعدك ؟
فقالت وهي مشغولة بتقديم الأطباق أمامهن :
- التاكسيات كما تعرفين , على فكرة يا (حنان) أيوجد معك في القسم زميلة أسمها (ولاء) ؟
صمتت (حنان) قليلا مفكرة ثم قالت :
- يوجد اثنتان تقصدين أيهما (ولاء مطر) أم (ولاء عمر) ؟
- لا أدري .
فقالت وهي تتناول كوبا من الماء :
- ولم تسألين ؟
- جاء اليوم رجل وأشترى هدية بمناسبة عيد ميلاد ابنته وأخبرني أنها تدرس بالقسم الذي تدرسين فيه .
- طبعا ليست (ولاء مطر) لأن والدها متوفى , إذن هي (ولاء عمر) .. إنها شخصية مغرورة ولا تتحدث مع أحد .
فسألتها (شوق) وفمها ملأن بالطعام :
- وكيف عرفت أنها مغرورة ؟
فمطت شفتها وقالت :
- من تصرفاتها وكلامها .
- على هذا فهي جميلة .
فقالت وهي تتناول برتقالة وتقوم بتقشيرها :
- إلى حد ما ... ولكنها في قمة الأناقة وترتدي أغلي الثياب .
- ماذا يعمل والدها ؟
- لا أدري , فكما قلت هي لا تتحدث كثيرا مع أحد .
فسألتها أمها :
- ووالدها مازال يعمل بالخارج ؟
- لا أدري , فكما قلت هي لا تتحدث كثيرا مع أحد .
فسألتها (جالا) :
- ومن أين عرفت كل تلك الأخبار ؟
- من صديقتها الوحيدة في الكلية .
سادت فترة صمت قطعتها (جالا) بقولها :
- ماما ... أريد منك عشرين جنيها .
- لم ؟

- لأشتري كتابا .
فقالت ساخرة :
- فقط عشرون جنيها .
- وثلاثون أخري
- ولم الثلاثون الأخرى ؟
- لاشترى قميصا أعجبني
فقالت (شوق) :
- وأنا أيضا أريد حذاء وشربات .
نظرت الأم إلى ابنتها (حنان) وسألتها :
- وأنت يا (حنان) ألا تردين شيئا ؟
- لا يا ماما كل شيء متوافر عندي
- ربنا يكملك بعقلك يا بنتي
فنظرت كل من (جالا) و (شوق) إلى أمها وقالتا في صوت واحد :
- إذن نحن مجانين .
فقالت (حنان) :
- معها حق ماما . فدولاب كل منكما حافل بالملابس , ومع ذلك لا تتوقفان عن شراء الملابس والأحذية .
فقالت (شوق) ضاحكة :
- كل واحدة على قدر كليتها يا (حنان) ... معروف أن بنات الصيدلة والطب هن الأكثر أناقة والأرفع مستوي .
فقالت (جالا) :
- لقد حضرت إلى الكلية أكثر من مرة وشاهدت مستويات الطلاب .
فردت عليها (حنان) :
- لا تنسيا أن الكلية معهد علم وليس معرض أزياء والأولوية فيه للعلم والمعرفة وليس للمنظهر .
فقالت (شوق) :
- تركنا لك العلم والمعرفة .
فقالت الأم وهى تجمع الأطباق :
- دائما تختلفن ... ألا تتفقن أبدا ... هيا اذهبن إلى حجراتكن ريثما أتيكن بالشاي .

(7)

حينما رآه صاح قائلا :
- إذن الليلة أنا مسعد .. زيارتان في ليلة واحدة , هكذا يأتي الغيث مرة واحدة فيغرق الأرض .
- على هذا فزيارتي أغرقتك ؟
- نعم أغرقتنى في الود والأنس .
وبعد أن جلس قال عمر :
- أظنك تتعجب من زيارتي ؟
- أنت تزورني في أي وقت , فالبيت بيتك , ولكني أتعجب من نزولك من بيتك وفي تلك المناسبة !!
- هذا موضوع سوف أحكيه لك في وقت أخر ... المهم أظنك مشغولا .
- طالما أتيت فلا شغل لي إلا إياك .
- لا أحب أن أعطلك , أنت تستأنف عملك وأنا سأطالع بعض تلك المجلات المبعثرة في كل مكان , وأراقبك وأنت ترسم , وبذلك استمتع بالمشاهدة .
- ولم لا تزاول متعتك بالفعل , ها هو القماش مشدود , وتلك الفرش والألوان .
نظر إليه في أسى وابتسم قائلا :
- ما تطلبه صعب , وإن كنت أتمناه بكل ذرة في كياني .
- اذن لم لا تحقق ما تتمناه .

- الإنسان يحقق أشياء كثيرة إلا ما يتمناه وتظل الأماني تعذبه .
- الأمر ليس بتلك الصورة القاتمة يا (عمر) الإنسان يحقق كثيرا مما يتمناه , المشكلة أنه لا يقنع بما حققه , فالمشكلة ليست في الأماني التي لم تتحقق ولكن في الإنسان نفسه .

وأخذ (عمر) يردد الجملة الأخيرة من كلام (كمال) بينه وبين نفسه , وانصرف (كمال) إلى عمله واستغرق (عمر) في مطالعة المجلات والجرائد التي أمامه وبين الآونة والأخرى يراقب (كمال) ويتبادلان بعض العبارات المبتورة , تسرب الملل إلى نفس (عمر) فترك ما بيده ونهض متجها نحو الشرفة ثم استدار وسأل (كمال) :

- ألديك سجائر ؟

فنظر اليه مندهشا قائلا :

- ولكنك لا تدخن ؟! 00السجائر هناك على المنضدة .

أخذ (عمر) سيجارة وأشعلها وخرج إلى الشرفة وملأ صدره بنسيم الليل المضمخ بهواء البحر المنعش , امتدت أنامل الليل إلى كل شيء لتهدهده وتنيمه إلا تلك الكائنات التي توقظها هدهدة الليل وتجعل النشاط يدب في أوصالها والحيوية تسري في دمائها , فالليل مسرحها وسكونه وهدوؤه متعتها 0 أخذ ينفث دخان سيجارته ويرقبه وهو يرتفع في أشكال مختلفة ثم يتبدد في الظلام , أشعل سيجارة أخرى وأخرى وحينما مل من الجلوس وحده ، دخل ووجد (كمال) منهمكا في إتمام اللوحة , سأله :

- ألم تتعب ؟!

فقال له وهو يمزج الألوان على القطعة الخشبية :

- لا ولكنني أكاد أموت جوعا .... وأنت ألست جائعا ؟
- بلي .

فترك (كمال) ما بيده فقال له (عمر) :

- ابق مكانك ... سأحضر أنا الطعام .
- لا تنس الشاي .

فقال (عمر) ضاحكا :

- وتأمر أيضا .
- أنت الذي عرضت أن تقوم بإعداد العشاء و أنا لا أستطيع أن أكل بدون الشاي .

غاب (عمر) ثم عاد قائلا :

- لا يوجد في الثلاجة سوي جبن وبيض ومخلل .

فضحك (كمال) قائلا :

- معذرة فلم يكن في بيتي حفلة عيد ميلاد لآتيك بالمحمر والمشمر والحلويات .. وماذا كنت تتوقع أن تجد في الثلاجة غير ذلك والخادم متغيب عن البيت .

ثم قال وهو ينفض ما بيده ناهضا :

- على كل سأنزل لآتيك بعشاء دسم , فمحل الكباب ما زال ساهرا .

فأشار (عمر) له بالجلوس وقال :

- الوقت متأخر , فما هي إلا ساعة ويؤذن الفجر . لنأكل الموجود .

وبعد قليل جاء (عمر) يحمل صفحة عليها الطعام والشاي ووضعها على المنضدة , وترك (كمال) ما بيده وقبل أن يمد يده للطعام نهره (عمر) قائلا :

- ما هذا ألن تغسل يديك ؟

فنظر اليه (كمال) متعجبا رافعا يديه :

- لم . ؟ . ألم نكن نأكل فيما مضي سويا وأيدينا غارقة في الزيت .؟
- هذا فيما مضي ... الآن الزيت مغشوش يا فنان .

فضحك (كمال) وقام وغسل يديه , وأخذا يأكلان , وسأله (كمال) :

- ألا تريد أن تخبرني بشيء ؟

فضرب عمر جبينه بيده وكأنه تذكر شيئا وقال :

- لقد نسيت أن أعطيها ثمن الهدية في تلك المرة أيضا .
- لقد أخبرتني بهذا من قبل ... ماذا حدث لك الليلة .؟

- لقد عدت إليها قبل أن أحضر إليك , وقمت بتوصيلها إلى بيتها ونسيت ....

فضحك (كمال) قائلا :

- على ما يبدو أن في الأمر شيئا .
- إنها امرأة عظيمة ... هل تتصور أنها استقالت من وظيفتها وامتنعت عن الزواج لتتفرغ لتربية بناتها الثلاث .
- لديها ثلاث بنات ؟
- الأولى في كلية الطب والثانية في كلية الآداب والثالثة في الصيدلة .
- على هذا فهي كبيرة وبشرتها مجعدة وأسنانها ساقطة .
- بالعكس ... لا تعطيها من العمر أكثر من ثلاثين وجميلة .
- إذن هذا الذي جعلك تقوم بتوصيلها .
- أبدا .. لو كانت سيارة وقفت لها ما قمت بتوصيلها .

سادت فترة صمت قطعها (كمال) بقوله :

- ولكنك للان لم تخبرني لم تركت بيتك الليلة ؟

نهض (عمر) واتجه ناحية الشرفة وقال وهو يتأمل السماء التي بدأ الصبح يرشها بنوره :

- أريد أن أنفصل عن (فاتن) .

مضت فترة صمت طالت , أشعل خلالها (كمال) سيجارة , ومكث بعض الوقت ساكنا , ثم نهض وأستأنف عمله في اللوحة , فاستدار له عمر وصاح به :

- لم أنت صامت هكذا ؟
- وماذا أقول ؟
- قل لي أني على خطأ , قل لي أني على صواب , اسألني , ولكن لا تصمت .

ترك (كمال) ما بيده واستدار له وسأله :

- لم تريد أن تنفصل عن زوجتك يا عمر ؟ .

تقدم (عمر) وجلس , وأظهرت ملامحه مدي معانته ووضع وجهه بين كفيه ولم يحر جوابا , فقال له :

- أليس هذا ما تريده ... لقد سألتك فأجب 0
- أسوار عالية تفصلني عنها , وكل يوم يبنى سور جديد من الكراهية والنفور والاشمئزاز .

فقال (كمال) ساخرا :

- ومنذ متى بنيت تلك الأسوار ؟
- منذ سنتين ... منذ عادت بالأولاد إلى (مصر) وبقيت أنا هناك , و كأنني كنت منوما واستيقظت , أو كنت مقيدا وانطلقت , نظرت إلى حياتي فاكتشفت كم هي تافهة لا قيمة إنها كعقب هذه السيجارة التي أطفأتها ... خواء ... خواء روحاني وخواء عاطفي وخواء عقلي , أتتصور أني أقدمت على الانتحار أكثر من مرة ولكن إيماني بالله هو الذي عصمني من ذلك , فكرت أن أذهب إلى معالج نفسي , وقبل أن يحين دوري للدخول كنت أهرب مسرعا , لا أستطيع أن أحتمل وجودي , أشعر أن كل خلية من خلاياي تنوء تحت ثقله وعبئه .
- أنت بهذا تعيش مشكلة .
- وليتني أستطيع الابتعاد عن تلك المشكلة .. إنها تعيش معي كجلدي , ولا أستطيع أن أخرج من جلدي .
- وهل انفصالك عن زوجتك سيحل تلك المشكلة التي تقول عنها إنك تعيش معها أو تعيش معك كجلدك ؟
- أسخر مني كما شئت , ولكن هذا ما أشعر به وهذا ما أعتقده .
- أنت شبه منفصل عنها يا (عمر) أنت لا تحضر إلا شهرا في السنة تقريبا .
- هذا الشهر يبدد كل ما حاولت أن ألملمه من شتات نفسي , أنت لا تقدر المأساة التي أعيشها لقد أصبحت غريبا عن نفسي هذا الجلد ليس جلدي يا (كمال) .. أأنا الذي كنت تعرفه منذ سنوات ؟
- والأولاد يا (عمر) .
- الأمر ليس في حاجة إلى مساومة .... لقد عشت العشرين سنة من أجلهم فقط , نسيت نفسي وهجرت أحلامي وحققت لهم كل ما يحلمون به و.....

فقاطعه قائلا :

- وهذا القرار الذي تنوي تنفيذه فكرت فيه بعد أن قابلت صاحبة محل الهدايا , أم بعد أن زرتني ؟

فابتسم في أسي وقال :

- إما أنك مجنون أو تتحدث مع مجنون , تلك المرأة لم أقابلها إلا أمس فقط , وكذلك لم أزورك إلا أمس , فلست واقعا تحت تأثيرك ولا تأثيرها , ودعني أكاشفك بشيء خطير ... لقد قررت أن أنفصل عن (فاتن) منذ السنة الأولى من زواجنا ولكني كنت كمن سلب إرادته ونهبت عزيمته .
- الذي جعلك تتحمل طوال تلك السنين فلتتحمل السنوات القادمة .
- كان ممكن أن تمضي حياتي كما كانت مسلوب الإرادة لولا تلك السنتان التي عشتهما وهي بعيدة عني لقد تنفست هواء غير الذي كنت أتنفسه , وعشت حياة غير التي كنت أعيشها , لقد وجدت نفسي وأنا بعيد عنها , وأنا لا أدري كم مقدر لي أن أعيش , ولا بد أن أعيش ما بقي لي كما أهوى أن أعيش .
- إنها فكرة مجنونة التي تفكر فيها .
- إذا كان العقل يحكم على أن أعيش ما بقي لي من عمر شاعرا بتفاهة وجودي , وإعدام كل هدف من حياتي فأنا أول المجانين .
- وأولادك أليسوا هدفا في حياتك تصل بهم إلى ما ترجوه ؟
- لم نحن مغرمون بالتضحية بدون أن يكون لها أي مبرر ؟
- ما تقصد ؟
- ما مبرر أن يضحي الرجل بسعادته ويتحمل حياة لا يطيقها مع امرأة لا يتحملها من أجل أولاده فليس انفصاله عن زوجته وأم أولاده سيسبب أي ضرر للأولاد بل قد يكون انفصالهما فيه مصلحة لهم ؟
- كيف تقول أن انفصال الأم والأب فيه مصلحة للأولاد ؟!
- نعم لان تلك المشاحنات والكراهية والنفور والخصام سينعكس أثرها عليهم , ويرون الدنيا بمنظار ملون بتلك الألوان القاتمة المقبضة , وأنت تعلم أن الدنيا للأولاد بدايتها الأم ونهايتها الأب .
- أمرك عجيب يا (عمر) ... منذ فترة وجيزة كنت تتحدث عن صاحبة محل الهدايا بحديث كله الإعجاب لأنها ضحت بالوظيفة والزوج في سبيل تربية بناتها والآن تسفه من أمر تلك التضحية !!
- لا تناقض في كلامي .... هي ضحت بالوظيفة والزوج وهذا أمر بسيط , وإنما أنكر أن يضحي الإنسان بحياته بوجوده , بأمنه , أن يسمم كل لحظة من لحظات حياته بيده , وأنا لا أريد الانفصال لكي أتزوج غيرها وإنما لأنقذ كل هذا .

نظر إليه (كمال) طويلا ثم ابتسم وقال :

- كلامك من الناحية النظرية لا غبار عليه ومقنع , إنما من الناحية العلمية كلام فاشل وغير مقنع بالمرة , وأنت تسمي الأشياء بغير مسمياتها .
- أذن أنت لا توافقني على شيء مما قلته لك .
- القضية ليست في موافقتي أو عدم موافقتي , القضية أنك تريد إعادة تشكيل عالم لا تملكه .
- لا أريد إعادة تشكيل عالمي , وإنما أريد أن أخرج منه .
- خروجك منه قد يدمره , وقد لا تكسب شيئا من وراء ذلك .

فقال بأسف وحزن :

- إذن على أن أخسر حياتي يوما وراء يوم وشهر وراء شهر .

نهض (كمال) وربت على كتف (عمر) قائلا :

- صعب يا (عمر) أن تختار طريقا وتسير فيه عمرا ثم تحاول الخروج منه .

تلفت (عمر) حوله وقال بضيق :

- إني أشعر أني أختنق .. ما رأيك لو سرنا على البحر بعض الوقت .

فضحك (كمال) وضربه على كتفه وقال له :

- مثل الأيام الخوالي ... هيا بنا .

(8)

- صباح الخير يا ماما
- صباح الخير يا (ولاء)

- متى عاد أبي ؟

نظرت إليها و هزت رأسها و قالت :

- لم يعد الا في الصباح .

فقالت متعجبة :

- أبي قضى الليل خارج البيت !!
- كي تدافعي عنه و تبرري كل تصرفاته .
- على كل أسلم شيء فعله أن ترك البيت .
- ما زلت تدافعين عنه !
- أنا لا أدافع عنه ... و لكني مقتنعه بما يفعله , لأن ربما لو بقي لحدث شيء لا نود حدوثه .
- أتخافين على أمك إلى هذا الحد ؟
- لا ولكني أخاف عليه هو .
- و هل أنا سيئة لتلك الدرجة يا (ولاء) ؟
- أكون تجاوزت حدود الأدب لو كنت قصدت ذلك أو فهم من كلامي هذا .
- ليس معقولا يا (ولاء) أن نختلف و يتصاعد الخلاف بيننا كل وقت هكذا .
- معك حق يا ماما .

سادت فترة صمت . ثم قالت (ولاء) :

- سأذهب لأعد الفطور ... هل تأكلين معي ؟

نهضت الأم قائله :

- لقد أكلنا أنا و أخوتك ... ابق أنت لأعده لك .
- لا يا ماما إستريحي سوف أعده انا .

نهضت و اتجهت إلى المطبخ , ارتسمت علامات الاندهاش على وجه الأم .. شيء غريب حدث في البيت , دائما كانت تعد لها الفطور, اليوم أول مره ترفض أن تعده لها , و تدخل المطبخ بنفسها و تعده هي , و أشياء أخرى بدأت تستقل بنفسها عنها , شيء يسعد كل أم أن تراه و تشعر به, و لكنها كانت في غايه الضيق و إن لم تكن تدري لهذا سببا . أحضرت (ولاء) الفطور, رن جرس التليفون , و كان المتحدث (زينات) و ردت عليها ردا مقتضبا ولكي تنهي المكالمة قالت لها :

- سوف أتصل بك بعد قليل يا (زينات) فأنا مشغولة الآن .... إسمعي سوف أمر عليك بعد ساعة .

و وضعت السماعة , نظرت (ولاء) إليها و قالت :

- لماذا لم تتحدثي معها الآن ، فأنا سوف أخرج للنادي .
- إنتظري حتى أدعو (باسم) أخاك كي يقوم بتوصيلك .

و جاء (باسم) و أمرته أن يوصل أختة إلى النادي , فقال :

- أمرني أبي ألا أقود السيارة

فقالت و هي تنهض :

- دعك من والدك الأن سوف أتيك بالمفاتيح .

و حينما أحضرت المفاتيح و أخذها (باسم) سألته (ولاء)

- إلى أين أنت ذاهب ؟
- سأقوم بتوصيلك كما قالت ماما 0
- و كلام بابا لك 0
- و لكن ماما أخبرتني أن أوصلك للنادي
- لا لن توصلني سأخذ تاكسيا .
- إذن سأقضي بعض المشاوير بالسيارة

و قال مخاطبا أمه :

- أريد مبلغا من المال يا ماما
- و هل أنفقت ما أخذته بالأمس ؟!
- و ما تظنيني أعمل بالنقود غير أن أنفقها
- خذ يا حبيبي ..... و أنت يا (ولاء)

- لا يا ماما معي ما يكفيني.

(9)

قالت (نجلاء) متعجبة :
- أيمكن أن يحدث هذا .... أيأتي والدك في أجازة بعد سنتين كي يتشاجر مع والدتك و في يوم عيد ميلادك أمر غريب !!
- الأغرب من هذا بابا .
- كيف ؟
- أشعر أنه تغير كثيرا عن أخر مرة رأيته , دائما صامت شارد , حتى شكله تغير أتصدقين ذلك ؟
- كل الذين يعملون بالخارج هكذا .

و فتحت (نجلاء) حقيبتها و أخرجت شيئا مغلفا بورق مفضض و قالت :
- تلك هدية عيد ميلادك فقد رجعت من الرحلة في ساعة متأخرة بالأمس و لم أستطع أن أحضر عندك .
- شكرا يا (نجلاء)
- على فكرة , النادي منظم رحلة للغردقة .

قالت (ولاء) مندهشة :
- لقد عدت توا من رحلة مرسى مطروح
- يا بنتي لا بد أن نستمتع بحياتنا , فهي محسوبة علينا , المهم سوف تأتين معنا
- لا , لا أستطيع 0

فقالت (نجلاء) :
- ماهذا ؟ لقد وعدته أنك ستأتين معنا في تلك الرحلة .

فسألتها متعجبة !
- من هذا الذي وعدته ؟
- الأستاذ (فتحي) المشرف على الرحلات في النادي .
- من هو ؟ أنا لا أعرفه .
- كيف ذلك انه لم يكف عن التحدث عنك طوال الرحلة , كيف لا تعرفينه , لا يوجد فتاة أو امرأة في النادي لا تعرفه .

فقالت (ولاء) محاولة التذكر :
- ربما أكون قابلته أو تحدثت معه لأنه من إدارة النادي , و لكن لم كان يتحدث عني ؟

فضحكت قائلة :
- لأنه معجب و لهان منذ مدة طويلة , و أنت و كأنك لا تعرفين .
- هذا حقيقي لأن تلك أول مرة أسمع هذا الاسم .
- إذن هناك فرصة تتعرفين عليه خلال الرحلة .

فنظرت إليها غاضبة قائلة :
- على هذا سوف أقوم بالرحلة من أجل التعرف على هذا الشخص , ماذا حدث لعقلك يا (نجلاء) ؟!
- أنا لا أقصد ذلك ، و إنما هي فرصة للتعرف على أعضاء النادي بصفة عامة , لقد مضى عليك سنتان و أنت لا تعرفين أحدا في النادي .
- و هل من الواجب أن أقتحم على الناس شؤونهم وأتعرف عليهم رغما عنهم ؟
- لا ولكن دعيهم هم يتعرفون عليك , و الأسوار التي تعيشين بداخلها حاولي أن تخرجي منها , أنت لا تعرفين ماذا يقول الناس عنك .

فقالت غاضبة :
- و ماذا يقول الناس عني ؟
- لا داعي كي لا تغضبين .
- لن أغضب فنحن أصدقاء .
- يقولون أنك مغرورة و متكبرة و أشياء من هذا القبيل .

احمرت وجنتيها و أشارت إلى صدرها قائلة :

- و هل أنا كذلك يا (نجلاء) ؟
- لا بالطبع و لكن أسلوبك في معاملة من حولك هو الذي ترك لديهم هذا الانطباع .
- و ما الأسلوب الذي يجب أن أتبعة في نظرهم ؟
- يا (ولاء) أنت تتجاهلين كل من حولك ، و لا تعبأين بأحد بدليل (فتحي) الذي حدثتك عنه , إنه أبرز شخصية في النادي و أنت رأيته أكثر من مرة ، و تحدث إليك أكثر من مرة ، و مع ذلك لا تتذكرينه .
- عدنا مره أخرى الى (فتحي) .
- أنا لا أقصد شخصا بعينه . و لكن هذا نموذج لكيفية معاملتك لمن حولك , و ليس مقصورا على زملائنا في النادي بل أيضا في الجامعة .

فقالت ساخرة :

- ألا يوجد من يريد التعرف علي من زملائنا في الجامعة أيضا ؟.
- أنا لا أريد أن تتحدثي مع كل من هب و دب لا سمح الله , و إنما تعاملين زملائك و زميلاتك في الجامعة و النادي بما يتعامل به الزملاء لا أكثر ولا أقل , و أنا أعرف أن الصفات التي يصفونك بها لا وجود لها بالمرة .

صمتت (نحلاء) قليلا ثم أشارت الى شاب قادم نحوها قائلة:

- هاهو (فتحي) إنه إنسان في غاية اللطف و الظرف .

فأخذت (ولاء) حقيبتها و أرادت الانصراف فأجلستها (نجلاء) قائله :

- لم نكد ننتهي من حديثنا و ها أنت تخالفين ما نصحتك به ... إجلسي حتى تتعرفي به .

تقدم الشاب و بعد ديباجة التعارف قال مخاطبا (نجلاء) و هو يخرج ورقة من جيبه .

- طبعا الأنسة (ولاء) ستشترك معنا في الرحلة .

صمتت قليلا لا تدري ما تقول ثم قالت :

- سوف أستأذن والدي أولا .

فقالت (نجلاء) :

- اكتب اسمها ، سوف تأتي معنا .
- نحن نتمنى ذلك , و مع ذلك الأفضل أن تستأذن والدها أولا , و أسف أني قطعت عليكما حديثكما .

و نهض منصرفا و هو لا يرفع عينه عن (ولاء) .

- هذا هو فتحي أليس لطيفا كما قلت لك .
- نظرت (ولاء) في ساعتها قائله :
- لقد تأخرت هل ستأتين معي ؟
- لا فأنا أتنظر (طارق) , فأنا مدعوة على الغداء .
-

(10)

و ما الذي يضايقك في هذا ؟

- كيف يا (زينات) .. ؟ تلك أول مرة يمضي ليلة خارج البيت .
- لا تهتمي به . و لا تحدثيه في هذا الأمر .

فقالت (فاتن) و هي تدور حول نفسها و تمسك رأسها :

- إني أكاد أجن ..... كيف تطلبين من امرأة بات زوجها خارج البيت , ألا تهتم و لا تسأله عن سبب ذلك ؟إن الليل هو الوقت الوحيد الذي أشعر فيه أنه موجود بين جدران البيت و بجواري على الفراش , فطوال النهار لا تقع عيني عليه .
- إذا أظهرت له ضيقك من هذا الأمر قد يعاند و يبيت بدل الليلة ليلتين أو ثلاث .
- لا يشغلني هذا الأمر , و إنما يشغلني أين بات ليلته , أيمكن أن يكون بات عندها ؟
- من تلك ؟
- التي تزوجها .

- و هل تأكدت أنه تزوج ؟
- ليتني أتأكد لكنت استرحت , و لكن كبريائي يمنعني أن أصدق هذا أو حتى أفكر فيه .
- هل أخبر (عامر) زوجي أن يكلمه .

صمتت (فاتن) قليلا ثم قالت و كأنها طرأت لها فكرة :

- لا ..... أنا الذي سأكلمه في هذا الموضوع .
- ما الذي ستقولينه ؟
- سأطلب الطلاق .

فضربت (زينات) صدرها بكفها قائله :

- يا خبر أسود ..... أجننت يا (فاتن) ..... تطلبين الطلاق !!.
- طلبي هذا سيكشف لي أمور كثيرة .
- كيف ؟

فقالت و هي تنهض منصرفة :

- سوف أتحدث معك في ذلك .
- أبقي معي لنتناول الغذاء
- لا سوف أذهب لأعد الغداء للأولاد .

(11)

كان يجلس على طاولة الطعام , و أمامه بقايا الفطور , و فنجانا من القهوة لم يمس , و بجواره علبه السجائر و عدد من جرائد اليوم يطالع في إحداها و بيده لفافة تبغ لم يشعلها , نظر إليها قليلا ثم عاود مطالعة الجريدة , كانت بعض الجرائد التي انتهى من قراءتها غير مرتبة و تلك كانت عادته بعد قراءه الجريدة , و كثيرا ما كانت تعاتبه في ذلك , فلا هو كان يفعل ما يرضيها بترتيب صفحات الجريدة ، و لا هي كانت تتوقف عن عتابها , و في تلك المرة أخذت الجرائد و بدأت في ترتيبها , فما كان منه إلا أن ترك الجريده التي بيده في فوضى عظيمة و إلتقط أخرى من تلك التي ترتبهن , شعرت بالغيظ و أخذت تنقر زجاج طاوله الطعام بأظافرها الطويلة و تتأمل ملامح وجهه المتجهمة , و قالت له :

- من أعد لك الفطور ؟
- أنا .

فقالت ساخرة :

- و عرفت تعده .
- لقد عرفت أشياء كثيرة خلال السنتين .
- و عرفتها أيضا خلال السنتين .
- من تلك ؟
- تلك التي قضيت الليل عندها .

مضت فترة صمت أشعل خلالها لفافة ، و أخذ العديد من الأنفاس و أسقط رماد اللفافة على زجاج الطاولة فما كان منها إلا أن قربت منه المطفأة، و ألتقطت عود الثقاب الذي أشعل به السيجارة و وضعته في المطفأة و قال :

- و من أخبرك أني أمضيت ليلتي عند واحدة ؟
- أحوالك .
- ما بها أحوالي ؟
- معوجة منذ أن رجعت من الخارج .
- لم ؟
- لا أدري .
- ألم تسألي نفسك ؟
- كثيرا ، ولم أعرف سببا لنفورك مني ، و صمتك و شرودك و تغيبك عن البيت كثيرا .

التمعت عيناها بالدموع و تحشرج صوتها بعض الشيء و حاولت أن تتماسك ثم استأنفت كلامها :

- أنت منذ أن رجعت لم نجلس سويا لنتحدث عن أحوالنا و أحوال الأولاد ، و لم نخرج و لو لمرة واحدة , أجازتك أوشكت على الإنتهاء و لم تخبرني بشيء أو عن شيء
- لا أظن أنها ستنتهي .
- كيف ؟
- لن أعود إلى العمل بالخارج

نظرت إليه مندهشة و بح صوتها قليلا و قالت :

- هكذا تتخذ القرار بكل سهولة بدون أن تأخذ رأيي ، أو نتناقش أو حتى تخبرني به .
- لقد أخبرتك الأن .

أخذت تعصر أصابع يدها في عصبية ، و تكظم مشاعر أخذت تفور في صدرها الذي يعلو و يهبط و قالت :

- طبعا هي موافقة على هذا القرار لتبقى بجانبها.
- لا تجعلي خيالك يصور لك أشياء غير حقيقية .
- أتريد أن توهمني أن ليس هناك امرأة أخرى في حياتك ؟

ابتسم قائلا :

- و ما الذي يجعلك تعتقدين ذلك ؟
- إذا تغيرت أحوال و مشاعر الرجل نحو أقرب الناس إليه .. نحو زوجتة فليس هناك من سبب بهذا إلا وجود امرأة أخرى .

أطفأ سيجارتة ثم قال :

- لقد يسرت علي أمور كثيرة .... (فاتن) .... أريد أن أنفصل عنك .

شعرت بأن طعنه سكين أصابت قلبها .. ليس هذا أسوأ الإحتمالات التي كانت تتوقعها , كانت تتوقع أن يصارحها بعلاقة أخرى فتطلب منه الطلاق , أو تطلب منه الطلاق ليصارحها بعلاقته و في كلتا الحالتين تكون سيدة الموقف كما تعودت دائما منذ أن تزوجته , بيدها تأخذ المبادرة على طول الخط كما تعودت ، كانت تعتبره دمية بيدها خيوطها تحركها كما تشاء , و لكن الأن كل تلك الخيوط تمزقت و أصبحت الدمية تتحرك و تتصرف و تفكر من تلقاء نفسها , شعرت أن الدنيا تدور بها , رصيدها من الأنوثة و الكرامة أحست أنه بدد , تجهل كيف تعامله ؛ لأنه إنسان غريب عنها لم تتعامل معه من قبل , استجمعت قوتها و لملمت شتات نفسها و حاولت أن تكسب جولة من تلك الحرب الخاسرة :

- لم ؟ نحن شبه مفصولين ,... قرارك هذا جاء متأخرا يا (عمر) لذلك لم تجدني فوجئت به , و أنت لم تطلب شيئا غير موجود إلا إذا كانت الأخرى تريد ذلك .....

فقاطعها قائلا :

- لا يوجد في حياتي امرأة غيرك.

فضحكت في غيظ قائلة :

- و تريد أن أصدقك
- و هل كذبت عليك و لو مرة واحدة ؟
- لا .
- إذن لم أكذب عليك في هذه المرة ؟
- ما تقوله هو الجنون بعينه ، ولا بد أن يكون حدث لعقلك شيء .

فابتسم قائلا :

- لم ؟
- الرجل لا ينفصل عن المرأة إلا لكي يتصل بأخرى ، و اتصاله هو سبب انفصاله.
- هذا التعميم لا ينطبق علي .
- اذن لم تريد الانفصال يا عمر ؟
- أظن أن الحياة بدونك ستكون أفضل لي .

فقالت ساخرة :

- تظن ... و لكنك لم تصل إلى حالة التأكد بعد .
- صراحه .. لا .
- ليكن ... ما الذي جعلك تظن ؟

- السنتان اللتان قضيتهما بعيدا عنك .
- و لكن ليس هذا بعدل ولا هو بالمنطقي .
- كيف ؟
- لقد عشنا حوالي عشرين عاما , و أنت عشت سنتين وحدك فهل السنتان يجعلانك تحكم على العشرين سنة ؟

فقال مبتسما في سخرية :
- كأن العدل و المنطق يقتضي أن أعيش عشرين سنة بعيدا ، عنك ليتسنى لي الحكم على العشرين سنة التي عشتها معك .
- و كيف تستطيع أن تحكم على يوم تعيس إلا اذا عشت يوما سعيدا , فإذا عشت نصف يوم لا تستطيع أن تحكم إلا بمقدار ما عشت تلك المدة .
- و لكن هذا مستحيل , فمن يضمن أن أعيش عشرين سنة أخرى منفردا كي أحكم على العشرين سنة التي أمضيتها معك .
- و ما الضامن أن حكمك على حياتك معي صواب ؟
- إحساسي .

نظرت إليه ساخرة و هزت رأسها و قالت :
- احساس الأب أم إحساس الزوج أم احساس الفنان الذي مات بداخلك .

نظر إليها بعمق ثم قال :
- الفنان لا يموت , و كنت أظن مثلك , و لكن طوال السنتين كنت أتحسسه فأشعر به يتنفس ، و أنفاسه لا تنقطع إلا و أنا معك .

إلتقطت لفافة من علبة السجائر و وضعتها بين شفتيها و أشعلتها ثم قدمتها له فتناولها منها و أطفأها ، سألته :
- هل زرت صديقك (كمال) ؟
- نعم .

ابتسمت قائلة :
- إذن كل شيء أصبح واضحا .
- كيف ؟
- ألا تتذكر فيما مضى كلما زرته كنت تحن لحياة العربدة و الفوضى كي تمارسان الذي تقولان عنه فن , وكنت ترجع من عنده و أنت ناقم على كل شيء، و تستغرق أياما حتى تعود إلى حالتك الطبيعية , مرة كدت أن تترك الوظيفة و أخرى تريد أن تهاجر إلى فرنسا و أخرى تريد أن تقطع عملك في الخارج ، و كنت أفهم كل هذة الرغبات المجنونة , أما اليوم فالمصيبة التي عدت بها من عند صديقك أكبر و لا أفهمها و هي الانفصال عني .
- أسوأ شيء تفعله المرأة أن تسخر مما يقدره زوجها .
- العجيب أنك لم تقل هذا إلا الآن , و كنت توافق على الكثير مما أقوله , أو على الأقل كنت تصمت ، مما يعني أنني كنت على حق , و الواقع يشهد أنني على حق , فأنت الآن تعد من الأغنياء , بينما فيما مضي كنت تطير فرحا إذا بعت لوحة و لو بثمن زهيد , و كثيرا ما كنت تقترض مني ثمن الألوان و القماش ولا أريد أن أتحدث على الباقي فأنت تعرفه .
- و مع ذلك كنت سعيدا , و تلك السعادة تعجز الألوف من الأوراق النقدية أن تشعرني بها الآن .
- لأنك من الذين يجدون سعادتهم في الفقر و الحرمان , و لا أدري من سوء حظك أم من حسنه أنك تعيش في زمن لا يقدر الفن و لا أهله و يقدر المال و أهله .

سادت فترة صمت قلق بينهما قطتعها بقولها و هي تربت على ظهر يده :
- أتدري يا (عمر) حينما جلست معك هنا منذ دقائق ماذا كنت سأطلب منك ؟
- ماذا كنت ستطلبين ؟
- الطلاق .

فقال متعجبا :
- الطلاق ؟؟

فقالت بتحد و إصرار :
- نعم , أما الآن و بعدما سمعت أنك تريد الانفصال عني فإنني أتحداك أن تستطيع أن تبتعد عني أو تنفصل .

ابتسم ساخرا قائلا :
- أظن أني لست الوحيد الذي تغير خلال السنتين , بل أنت أيضا أصاب تفكيرك شيء من الوهن و الإضطراب , كيف تتحدينني أني لا أستطيع أن أنفصل عنك , و بكلمة مني و بإرادتي ينتهي كل شيء بيننا ؟
- ما أتحدث عنه ليس بإرادتك ولا تحسمه كلمة منك , فأنت لا تستطيع أن تفصل عنك شيئا يعيش في دمك ممتزج بخلاياك يحيا في مسام جلدك , أنا أعرف أنك كنت تقاوم طوال العشرين سنة و عجزت , و السنتان الماضيتان فقط تحققت من عجزك لأنك شعرت بوجودي و أنفاسي و أنا بعيدة عنك , فهداك تفكيرك أنه لم يبق إلا الانفصال عني لعلك تستطيع أن تحقق ما لم تستطع أن تحققه و أنت معي , و لكن حتى هذه لن تقدر عليها .
- أظن سأقدر يا (فاتن) , فالعالم كله لا يستطيع أن يجبر رجلا أن يعيش مع امرأة قرر الانفصال عنها .

وقفت و نظرت إليه من عل , و قالت و ابتسامة غريبة تلوح على شفتيها الشهوانيتين :
- دعنا ندخل في تجربة بدايتها أنك تريد الانفصال و نهايتها عجزك عن تحقيق ذلك و عجزك أن تعيش بدوني
- أي تجربة تلك التي يعرف بدايتها و نهايتها مقدما ؟
- للتأكد من فرض
- و ما الفرض الذي تريدين التأكد منه ؟
- ثقتي بنفسي كزوجه و امرأة ، و ثقتي كما قلت لك أنك لن تستطيع أن تنفصل عني أو تعيش بدوني
- و إذا نجحت .
- أكون قد فشلت .
- و إذا فشلت .
- نكون قد نجحنا نحن الإثنان .
- و إجراءات تلك المحاولة .
- لك أن تعيش كما تشاء , تتغيب عن البيت أياما أسابيع , و تفعل ما تشاء أي تعيش حرا طليقا بدون أن تتقيد بأن لك زوجة أو بيت .
- و الأولاد .
- دعهم لي ، و لا تقلق بشأنهم .
- و الناس .
- أي تجربة لا تكتمل إلا بعزل المؤثرات الخارجية عنها .
- و متى سنبدأ ؟
- من الآن .

(11)

ترك الجريدة التي بيده , و سألها في ضيق :
- هل جهزت الغداء يا (كوثر) ؟
- عشر دقائق فقط .
- أكثر من مرة أقول لك أني أريد فور روجوعى أن أتناول الغداء، منذ أن تزوجنا لم أعد مرة من عملى ووجدت الغداء جاهزا !
- وأنا منذ أن رجعت من عملى لم استرح لحظة ، ومع ذلك لا أسمع منك غير التأنيب والتبكيت ولو أحضرت لى خادمة لوجدت كل شيء معدا .
- والست هانم (ريهام) لم لا تساعدك ؟

فقالت فى تعجب :

- (ريرى) تدخل معى المطبخ ؟ لو طلبت منها ذلك لفقدت رشدها .
- لقد أفسدت البنت بتدليلك الزائد لها , فلم أعد أستطيع أن أوجه لها أي أمر .

فقالت بغضب :

- كف عن هذا الكلام الذى لا تسأم من ترديده ....(ريرى) حصلت على أعلى الشهادات , ماهى إلا شهور وتظفر بوظيفة لا أنت ولا أنا حصلنا عليها.
- ومتى كانت الشهادة دليلا على أ دب وتربيه البنت ؟ يا (كوثر) التعليم شىء والتربية شىء أخر.
- وهل (ريرى) ينقصها تربية؟
- يا (كوثر) لقد دخلت حجرتها أمس فوجدت أدوات تجميل وزينه لم تكن لديك يوم زفافك , وملابس فى غاية الخلاعة .

فقاطعته بكل هدوء :

- دخلت حجرتها بدون إذن منها ؟

فوقف الرجل متلفتا يمينة ويسرة وأمسك برأسه :

- أجننت ياامرأة ... أقول لك هذا ، فتقولين لى لم دخلت بدون إذنها ؟... لا تنسى أنى فلاح و ...

فوضعت يدها فوق فمه قائلة :

- قلت لك أكثر من ألف مرة أنك لم تعد فلاحا منذ أن تزوجتنى , ولا شأن لك بتربية (ريرى) ، وسوف أثبت لك أنها ستكون بل أصبحت أفضل بنات العائلتين .. عائلتى وعائلتك .

فقال ساخرا :

- نعم هى أفضل بنت ، ولكن فى المكياج وفى البس وفى سماع موسيقى الديسكو طوال الليل ووفى الخروج والدخول كيفما تشاء .
- لا تصدع رأسي , هيا لنأكل.

وبعد أن جلس على مائده الطعام ، جاء الأولاد ، وذهبت الأم لتدعو (ريرى) وعادت بدونها , فسألها زوجها :

- أين هى ؟
- ستأتي .

فقال (ياسر) ابنهما :

- سننتظر الست (ريرى) ، اذن لن نأكل اليوم .

وقال مخاطبا أخاه الأصغر :

- اذهب يا (عصام) لتدعوها .
- أتظن لو ذهبت ستسمع كلامى ؟

وبعد قليل من الانتظار ، جاءت ترفل فى ثوب النوم وهى فى قمة زينتها ، والعطر يفوح منها وقبلت أمها قائلة :

- صباح الخير يامامى .

فقال والدها ساخرا :

- صباح الخير ! بعد الثانية ظهرا .

نظرت (ريرى) إلى أطباق الطعام ثم قالت متأففة :

- أين البوفتيك يامامي ؟ ماذا سآكل ؟
- لم يكن لدى وقت ، سوف أعده لك على العشاء .

وأخذوا يتناولون الطعام , ونظرت (ريرى) إلى أخيها (ياسر) مستنكرة :

- ماهذا (يايسر) ؟! لم لا تأكل بالشوكة والسكينة ؟
- لا شأن لك بي , سآكل كيفما أحب .
- ولكنك تسبب لي إحساسا بالقرف هكذا .
- إذن، لاتنظرى إلى وأنا آكل ، أو لا تأكلى معى .

فقالت الأم :

- (ياسر) .. تحدث مع أختك بأدب .

نظرت (ريرى) بين الأطباق ، ثم سألت أمها .

- أين المياه المعدنية يامامى ؟

- لقد نسيت أن أشترى اليوم ، فلم أعلم أنها نفدت .

أزاحت (ريرى) الأطباق التى أمامها ، ثم نهضت فقالت الأم :

- ما هذا ؟! أنت لم تأكلى .
- الرجيم يامامى ... أريد فنجان من القهوة .
- سوف أعده لك بعد قليل .

فقال والدها وهو ينظر إليها بتعجب :

- (ريهام) ... سيزورنا عمك وابن عمك الليلة , لا تخرجي .
- وما شأنى أنا بتلك الزيارة ؟!
- سنتحدث أنا وعمك وابن عمك (رشاد) فى ترتيبات الخطبة .
- أنت تعرف رأيى فى هذا الموضوع يابابى , فلا داعى فى إعاده الكلام فيه مرة أخرى.

وتركته وانصرفت ، فأراد أن ينادى عليها , فأشارت له زوجته أن يلزم الصمت ، وقالت له :

- اكمل طعامك الآن .

فقال وهو يضرب كفا بكف :

- لا حول ولا قوة الا بالله .. البنت لاتكترث حتى بالحديث إلي .
- قلت لك اكمل طعامك ، ودع هذا الأمر الآن .

رن جرس التليفون , فنهضت ومكثت دقائق تتحدث ثم عادت , وسألها ، فقالت له بعد أن نهض (ياسر) و (عصام) من على المائده :

- إنها (زينات) .
- ما الأ مر؟
- لقد أخبرتها (فاتن) أنها ستطلب الطلاق من (عمر) .

فقال متعجبا وهو يشعل لفافه تبغ :

- تطلب الطلاق !! لم ؟؟ ... (عمر) كالحمامة الوديعة ، وهى تسيره كيفما تشاء ، ولم أر أحدا يحب زوجته ويطيعها طاعه عمياء(كعمر) , ولا أنسى حينما كانت مريضة مرضا بسيطا منذ سنوات ، كان يبكى من أجلها أمامي كالاطفال !
- هذا قبل أن تتركه وتعود .

فقال متعجبا :

- تتركه وتعود ، أنا لا أفهم شيئا .
- السنتان اللتان قضاهما وحده فى الخارج تغير خلالهما وتبدلت أحواله .
- ما معنى تغير وتبدل ؟ يعنى بدل أن يكون (عمر) أصبح (إسماعيل) , أخر مرة كنا فى زيارتهم ، لم ألحظ أى تغير على الرجل .
- هذه أشياء لا تدركها إلا المرأة , وهى تشك أنه على علاقة بامرأة .
- أتقصدين تزوج ؟
- ولم لا ؟

فقال باندهاش :

- عمر يتزوج !!
- ولم لا , أليس برجل ؟
- لو رجال العالم كلهم تزوجوا غير زوجاتهن، فلن يتزوج (عمر) ...أنسيت من (عمر) ؟
- هى تقول أنه لم يعد (عمر) .
- عادت تقول أنه لم يعد (عمر) .

نهضت وذهبت إلى المطبخ ثم عادت بعد قليل تحمل أكواب الشاى ثم قالت :

- دعنى أشرب الشاي ، ولا تصدع لى رأسي .

صمت قليلا ثم قال وكأنه تذكر شيئا :

- ولكن التى كانت على التليفون (زينات) وليست (فاتن) .
- كانت (فاتن) عند (زينات) قبل الظهر وأخبرتها أنها ستطلب الطلاق من (عمر) .
- طبعا لا بد أن تجتمع (بزينات) قبل أن تتخذ قرارها .

سادت فترة صمت قطعها (مصطفى) بقوله :
- ولكنى للآن لم أعرف لم ستطلب (فاتن) الطلاق ؟
- معك حق .. هذا شيء لم أكن أتوقعه من (فاتن) .
- هل تأكدت أن عمر تزوج بغيرها أم أنه أخبرها بذلك ؟ حتى لو أخبرها ، فلم تطلب الطلاق ؟
- لأن (فاتن) ليست من تقبل من يشاركها فى زوجها, ولا تقل لى أن هذا يحلله الشرع .
- لست أنا الذى أقول ولكن الشرع .
- كأن فى إمكانك أن تتزوج على يا (مصطفى) .

فضرب كفا بكف قائلا :
- لا حول ولا قوة الا بالله ... أقول لك أن أخى (عبد المقصود) سيحضر هو وولده(رشاد) ليتحدث فى أمر خطبة (ريهام) ، تقولين لى أن أتزوج... أين عقلك يامرأة ؟
- ولماذا لم تخبرنى أن الحاج (عبد المقصود) سيحضر الليلة من قبل؟
- لقد أتصل بى بعد الظهر، وأخبرنى أنه سيحضر .
- ولكن (ريرى) لا توافق على (رشاد) .
- وما عيب (رشاد) ؟ إنه حاصل على الشهادة العليا مثلها , وبدأ فى مشروع تسمين عجول ومزرعة دواجن ، ولديه سيارة وأرض ، وسيبنى له والده فيلا ، ماذا تريد أى بنت أكثر من ذلك , وفوق كل ذلك هو ابن عمها .
- لا أدرى يا (مصطفى) ، ولكن حينما أخبرتها بالموضوع ، وجدتها رافضه بإصرار .
- وما سبب رفضها ؟
- لا ادرى ...ولكن على ما أظن بسبب أنها ستعيش فى القرية وعمل (رشاد) ....
- وما عمله و ..

فقاطعته قائله :
- وشكله ... وأنت تعرف (ريرى) الشكل عندها مهم .
- وما به شكله ... رجل , طبعا تريده طويلا وأبيض وشعره أصفر وعينيه زرقاوان، كممثلين السينما ، أليست تلك تربيتك يا (كوثر) ؟
- كل بنت تريد فى عريسها تلك المواصفات , وليست (ريرى) فقط , ثم أنها جميلة فلم لا تأخذ رجلا جميلا ؟
- نعم ، لكى تتباهى به أمام صديقاتها والناس، ويكتمل المظهر الذى يحتل كل تفكريها ويستنفد كل قرش فى يدك أو يدها , يا (كوثر) الزوج ليس فستانا تختاره لشكله وليس حقيبه ، إنه رجل سيشاركها وتشاركه حياته .
- دعك من تلك المحاضرات وانهض لتستريح بعض الوقت .

(12)

- ومتى سيحضر عريس الغفلة هذا ؟

فضحكت (ريهام) وهى تتأمل ملامحه الوسيمة، وبشرة وجهه البيضاء والتى احمرت من الانفعال، ونسائم الهواء فى ذلك عصر اليوم تعبث بشعره فيغطى جزء من وجهه، فيمد يده ليعيدها بضيق وتوتر , قالت له :
- هل غضبت يا بيضة ؟
- (ريرى) ..ليس هذا وقت للمزاح .
- إذن ، أنت غاضب حقا .
- تخبرينى أن ابن عمك سيحضر الليلة عندكم، ليتحدث فى أمر خطبتك ، ثم تتعجبين من عضبى .
- إذن ماعليك إلا أن تسبقه ، وتطلب يدى من أبي .

نهض واقفا وقد علا صوته بعض الشيء :
- قلت لك أكثر من مرة ، لا تستخدمى هذا الأسلوب ، فإنى أرفضه .

نظرت حولها وقد جذب صوت (إيهاب) بعض أنظار الجالسين والجالسات حولهما فقالت له بحزم :
- اجلس، ولا ترفع صوتك ..ماذا يقول الناس عنا ؟

- ما يهمك كلام الناس .. أما مشاعرى وأحاسيسى فلا قيمة لها عندك .
- لقد قلتها لك كلمة .. لن أتزوج سواك مهما حدث ولو وصل الأمر أن أتحدى العالم كله.

وكأنه كان فى حاجة الى مثل هذا التأكيد , شعربالرضا والاطمئنان ، لمس يدها قائلا :
- أتحبيننى كل هذا الحب؟
- لا أظن أن قلبا حمل حبا مثلما يحمل قلبى لك من حب .

سادت فترة صمت قطعها بقوله :
- ولكنك لم تتحدثى عن هذا العريس من قبل .
- لم يكن هناك مناسبة لذلك , لقد اتفق أبى وعمى منذ أن كنا صغرنا ، وأن يكون كل منا للأخر .
- ما اسمه ؟
- (رشاد) .
- وما شكله ؟

فقالت بتأفف ،وهى تستعين بحركات يدها لتصفه :
- إنه قصير ، ومبعجر، وأصلع ، ولا يفهم شيئا فى الإتيكيت, حينما يتحدث يخيل إليك أنه يرمى من يحدثه بالحصى والزلط و...

فقاطعها قائلا :
- كفى ، أنت لم تتركى عيبا إلا ووصفته به ، إذن ما مميزاته ؟

أسندت ظهرها إلى المقعد ، وشبكت أصابعها ، وقالت :
- مميزاته كثيرة من وجهة نظر بابا , فهو لا يهدأ ولا يكل فى العمل فى مشاريعه .
- مشاريعه ؟
- نعم,مزرعة لتربية العجول ، ومزارع لتربية الدواجن , ولديه سيارة قديمة الطراز ووعد أبى أنه سيغيرها بواحدة أحدث , وسيبنى فيلا لى فى قريته , بالإضافة أن له حسابا فى البنك , وفوق كل هذا وهذا كما يقول أبى : ابن عمى .

وضع (إيهاب) يده على خده قائلا :
- وبعد كل هذا تقولين لى أن أسبقه، بأى شىء أسبقه , وبأى شىء أطلب يدك , فليس معى شىء - معك قلبى .

فنظر إليها ساخرا وقال :
- إذا سألنى والدك ، ما معك ؟ أقول له معى قلب ابنتك.
- يا (إيهاب) أنا ليس لى أى طلبات، وسوف أقنع ماما , فهى معى على طول الخط .. ونحن لسنا فقراء، فمعنا مال كثير، وبيتنا فيه متسع لنا ,أو نؤجر شقة , ولن تبخل ماما على , وعلينا نحن الاثنان أن نفرشها، ولو مؤقتا , أهذا صعب يا (إيهاب) يا حبيبي؟
- أنت تبسطين الأمور يا (ريرى) بشكل غريب، فلو سألنى والدك أين شقتك ؟ أقول له سنعيش فى شقة من شقق بيتك ، أونؤجر ....

فقاطعته قائلة :
- لاشأن لك بوالدى .. كل الأمور ستكون بيد ماما , وكما قلت لك لن تبخل علينا بشىء فهى تحبنى بجنون .

صمت قليلا ثم قال :
- وما عيب شقتى ؟

فنظرت إليه مستنكرة بذعر وقالت :
- مستحيل يا (إيهاب) أنا أعيش فى شقة من حجرتين ،وفى الحى الذى تعيش فيه مستحيل يا (إيهاب) ، ماذا يقول الناس عنى ؟

فنظر إليها مندهشا قائلا :
- أنت قبلت أن يكون بيننا علاقة حب، وكما قلت أنك على استعداد أن تتحدي العالم فى سبيل حبنا ... فإذا بك الآن ترفضين الشقة التى لدى والحى الذى أعيش فيه .
- نعم ، أنا قبلتك أنت , ولكنى رافضة ظروفك ووضعك الاجتماعى .
- ألا ترين أن هذا فيه نوع من التناقض ؟

- لا .
- كيف؟
- أنت محام .. وأكيد سيكون لك مستقبل باهر .
- إذن أنت توافقين على ما سوف أكونه أما كونى الآن فلا .

فضحكت (ريهام) قائلة :

- لا تؤاخذنى يا (إيهاب) ، أنت ليس لك أى كون الآن .

فنظر إليها متعجبا قائلا :

- أحيانا تكونين فى غاية القسوة .
- دائما تخلط بين القسوة والصراحة , أنا صريحة معك ، ومع نفسى ,أنت الآن يا (إيهاب) إمكانياتك تكاد تكون منعدمة ,متخرج منذ سنتين وتتدرب فى مكتب محامى كبير , ودخلك الشهرى يكاد يكفى مصروف يدك.

أربد وجهه وشعر بضيق لا حد له , فكل ما تقوله صواب ولا مبالغة فية , بل هناك أشياء كثيرة لا تعلم عنها شيئا , فهى لا تعلم مقدار المعاناة التى بذلها هو وأسرته حتى استطاع أن يحصل على شهادته , وكانت أسرته تعلق أمالا كبيرة على تلك الشهادة، ظننا منهم أنه سيصبح محاميا كبيرا بين يوم وليلة , ولكن على ما يبدو أن هذا حلم صعب التحقيق , ومع هذا فإن علاقته بها تنسيه واقعه ووضعه وألآمه , تجعله يعيش فى عالم غير عالمه وواقع غير واقعه , إلا أن لها قدرة غريبة على أن ترده إلى واقعه بكل قسوة وعنف . وكأنها أحست بما يدور فى صدره ، وبالأثر الذى تركته كلماتها، فلمست يده وتراقصت على شفتيها العذبتين ابتسامة فاتنة وقالت :

- ومع ذلك، فأنى أضحى بكل شىء فى سبيل بقائك بجانبى .

نظر الى هذا الوجه الذى يعشقه بملامحه الجميلة الصغيرة ،التى تشعل فى صدره نارا من اللهفة والرغبة قال لها :

- أتدرين ما الذى أود أن أفعله الآن ؟

فنظرت الية بدلال وهى تجذب حقيبتها وتسوى من ملابسها :

- أعرف .
- ما هو ؟

فاقتربت منه وهى تنهض حتى انه أحس بأنفاسها ورائحة العطر المثير الذى تضعه وقالت بصوت مبحوح:

- تريد أن تقبلنى... هيا , فدرجة حرارتك ارتفعت وهذا ليس فى صالحك.

(13)

- سلام عليكم ...

ترك رأس الزبون وألتفت والمقص والمشط بيده قائلا :

- وعليكم السلام .

ثم وكز الصبى الجالس أمامه قائلا له :

- قم اعمل للأ ستاذ كوبا من الشاى ياحمار .

فسأله (إيهاب) :

- هل سأل أحد عنى ؟
- الأستاذ (سمير)

التقط (إيهاب) جريدة من على منضدة ، موضوعة عليها عدد من الجرائد والمجلات وأخذ يتصفحها ، وأثناء ذلك ورد عليه عدد من الرجال والنساء ، البعض معه أوراق قضية يريد منه أن يرفعها ، والأخر يريد أن يعرف ميعاد قضيته والأتعاب التى سيطلبها الأستاذ , وبعد أن أنهى ما بيده وجلس أمامه سأله :

- لم لا تفتح ياأستاذ الشقة مكتبا وتأخذ أنت تلك القضايا بدلا من أن تحولها إلى الأستاذ الذى تعمل عنده ؟ وإلى متى ستظل بلا مكتب؟
- يا أ بى لم يمض على عملى عند الأستاذ سوى أشهر قليلة .
- وما الفائدة من عملك عند الأستاذ ؟ فالقضايا تأتى كما رأيت إلى باب بيتك .
- لا بد من أى محامى أن يعمل فى البداية لدى محامى كبير, كى يعرف أسرار المهنة ويعرف الناس والناس يعرفونه .
- لقد قضيت أربع سنوات تدرس القانون فى الجامعة، ألا يكفى هذا ؟
- هناك أشياء أخرى غير القانون لابد أن يعرفها المحامى يا والدى .

نظر إليه والده وهو يرتشف رشفة من كوب الشاي , ويجذب نفسا من سيجارته وقال :
- أم إنك تريد أن تتزوج فيها ... على كل ، لقد كتبتها باسمك تفتحها مكتبا ، تتزوج فيها أنت حر .

نظر إليه (إيهاب) ، وهز رأسه , فقال له والده بأسف :
- أعرف أن الشقه ليست على مستوى, وهى فى حارة داخل حارة, وكما تعرف أنى أحيانا اشتغل فى سمسرة الشقق , ثمن الشقه داخل البلد ثمنها خيالى ، البعض زاد على المائه ألف , وعلى حد علمى كل كبير بدأ من الصفر.

فابتسم (ايهاب) قائلا :
- ولكن تلك الشقة تحت الصفر يا أبى , وإن كنت أعرف أنك دفعت الكثير حتى حصلت عليها .
- المهم أنك تبدأ , وسنة وراء سنة , احصل لك على شقه فى (رشدى) أو فى محطة الرمل .

فضحك (ايهاب) قائلا :
- تقصد عشر سنوات أو عشرين سنة .
- اترك مسألة الشقه على , أنا سمسار متواضع ولكنى أعرف السماسرة الكبار،وسوف أدبر لك مسألة الشقه و...

دخل زبون وجلس على المقعد قائلا :
- بسرعه يا أسطى (أحمد) فورائى ميعاد .

نهض الأسطى (أحمد) ، ولف الفوطة حول عنق الزبون، وبدأ فى عمله وقال له ساخرا:
- وراءك الوزارة ، انت طول النهار جالس على المقهى .

نهض (إيهاب) منصرفا فألتف إليه والده :
- على فكره يا (إيهاب) .... اتعش أنت وأمك فأنا معزوم على العشاء .

(14)

قالت الأم مندهشة :
- ولماذا لم تخبرينى يا (ريرى) بهذا الأمر من قبل ؟ أتخفين عنى شيئا كهذا ؟

فقالت (ريهام) وهى تطلى أظافرأصابعها :
- حينما جاء الوقت المناسب ياماما .
- كيف يا (ريرى) ؟ .... أهذا الوقت المناسب ؟ وعمك وابن عمك الجالسان بالخارج وينتظرونك أن تخرجى إليهما ، وقد يحددان موعد الخطبة .

فنظرت إليها غاضبة :
- وهل وافقت أنا على(رشاد) هذا ، أو أحد أخذ رأيى ؟!
- والدك أعطى لعمك كلمة .
- والدى منح كلمة لأنه يملك كلمته, ولكنه لايستطيع أن يمنحنى لابن عمى ؛ لأنى أنا الذى املك نفسى , ومحال أن أتزوج هذا الفلاح الجلف ، ولا أن أعيش معه وسط العجول ورائحتها .

نهضت الأم مذعورة وأغلقت باب الحجرة ، وعادت إلى ابنتها ، وهى تضع يدها على فمها .
- اخفضى من صوتك يا (ريرى)، والدك يسمعك .
- وأنا لست خائفة منه , ولابد أن يفهم ، أننى محال أن أتزوج ابن أخيه هذا , ليبحثوا له عن واحدة من القرية ، واحدة فلاحة مثله .

صمتت الأم مفكرة بعض الوقت ، ثم قالت لابنتها فى تضرع ورجاء :
- انهضى ، وارتدى ملابسك الآن ، وقابلى عمك وابن عمك ...ووعد منى أن أنفذ لكى كل ما تطلبينه .

وهنا دخل الأب، وتبادل النظرات بين زوجته وابنته قائلا :
- ماهذا ؟! ...أتجلسين هنا ولم تعدى العشاء للآن , وأنت يا (ريهام) لماذا لم ترتدى ملابسك ؟
فنهضت الأم ، وتقدمت منه قائلا :
- الوقت مبكر على العشاء يا (مصطفى) .
- هم يتناولون العشاء فى هذا الوقت ... هيا (ياكوثر) اسرعى .
وانصرف , وسألت (ريهام) أمها :
- وهل سأتناول العشاء معهم ؟
- المفروض يا (ريرى) .
- لا يا ماما محال .
- لتمر الليله على خير , وكما وعدتك ... سوف اذهب لأعد العشاء ولتلحقى بنا .

حينما رأها (رشاد) وهى فى قمت زينتها وأناقتها بهر بها , نهض واقفا وتقدم نحوها مادا يده ، نظرت إليه مبهوتة بعض الوقت ثم سلمت عليه بأطراف أصابعها , وجلست بجوار والدها و(رشاد) لايرفع عينيه عنها , قال والد (رشاد) :
- أهلا وسهلا بعروستنا , اللهم صلى على النبى .
فقال والدها :
- منذ متى لم ترها ياحاج ؟
- منذ سنة أو أكثر .
- لأنك لا تزورنا إلا نادرا .
- لا ، أنا أزوركم باستمرار , ولكن ما من مرة أحضر هنا وأجدها ... أين الأيام التى كنتم تحضرون عندنا العزبة وتقضون أسبوعا ؟
- كما تعلم مسئولية الأولاد، ومسئولية المكتب .

ضحك الحاج (عبد المقصود) قائلا:
- كانت (ريهام) طوال اليوم مع (رشاد) يسيران فى الغيط ويلهوان مع البهائم والطيور .
- نعم لم يكونا يتركان بعضهما أبدا ، وإذا فارقنا بينهما يبكيان حتى يعودا مرة أخرى .
نظر (عبد المقصود) إلى (رشاد) قائلا :
- ألا تتذكر يا (رشاد) ؟
فقال وهو يختلس النظرات بين الأونة والأخرى إلى (ريهام) وإن كان قد فوجئ بها آنسة أخرى غير تلك التى كان يلعب معها .
- نعم تلك ذكريات لا تنسى , فما أجملها من أيام .
وقال (مصطفى) مخاطبا ابنته :
- طبعا ، أنت الأخرى تتذكرين يا (ريهام) .
فقالت بتأفف :
- لا أتذكر أى شىء مما تتحدثان عنه .

شعر الجميع بالحرج من ردها هذا , واصطبغ وجه (رشاد) بلون الخجل , ولم يخرج الجميع من هذا الموقف إلا مجىء (كوثر) تدعوهم للعشاء , نهض الجميع وجلسوا على طاولة الطعام , ولم تستطع (ريهام) أن تكمل عشاءها حينما رأت طريقة أكل ما يعتبرونه زوج المستقبل , فقد نحى الشوكة والسكينة جانبا وبدأ يأكل بيديه , ويملأ فمه عن أخره , وإذا تكلم لا تخرج الألفاظ وحدها من فمه بل يصاحبها بعض نثار الطعام, وفكرت فى حيلة كى تترك المكان , فمسكت برأسها ومالت الى أمها قائلة :
- مامى .. صداع يكاد أن يفجر رأ سى , وألم فى بطنى .
فاحتضنتها أمها ونهضت بها الى غرفتها قائلة :

- ألف سلامة يا (ريرى) .. تعالي لتستريحى .
نهض (رشاد) جزعا وهو يقول :
- خير يا مرات عمى . ما بها (ريهام) ؟
فقال له عمه :
- اجلس يا (رشاد) واكمل عشاءك .. إنه ألم بسيط ينتابها بين الآونه والأخرى .
فقال:
- هل أذهب لأحضر لها طبيبا ؟
فقال والده :
- أسرع يا (رشاد) .
فقال(مصطفى) :
- قلت لكما إنه ألم بسيط يعاودها بين الوقت والأخر .

وبعد أن انتهوا من تناول العشاء، انتقلوا إلى الصالون ليشربوا الشاى , وخجل الأخ من أن يفاتح أخاه فى مسألة الخطبة , وقال له :
- على فكرة يا (مصطفى) (رشاد) له طلب عندك .
فظن (مصطفى) أن (رشاد) سيفاتحه فى موضوع الخطبة , فقال له :
- خير يا (رشاد) .
فقال رشاد بعد تردد:
- فى الحقيقة ياعمى كان فيه موضوعان نريد أن نتحدث فيهما , الموضوع الأول لنؤجله إلى وقت أخر ، أما الموضوع الثاني فإنى أريد شراء فدانا من أرضك لإقامة مشروع عليه .
فقال (مصطفى) مخاطبا أخاه :
- طبعا لاشىء يعز على (رشاد) ...ولكن لم لا تعطيه أنت من أرضك .؟
- لقد أخذ من أرضى بما فيه الكفاية , والجزء الباقى حق أمه .
- لا مانع .. فى أى وقت تحضرا لنكتب العقد ونتمم اجراءت البيع .. (رشاد) ابن من أبنائى .
- الله يبارك فيك ياعمى .

نهض (عبد المقصود) متأهبا للانصراف قائلا :
- سوف أتصل بك تلفونيا لنحدد الميعاد .
- ولم الاستعجال , الوقت المبكر ياحاج اجلس لم نتحدث .
- سوف نحضر فى وقت اخر انشاء الله .

(15)

- متى عدت من القاهرة ؟
- فى الخامسة .
- متى سينشرون الديوان
فقال بيأس وحزن :
- الله أعلم .
- ألم يحددوا لك موعدا ؟
فابتسم ساخرا :
- من كلام المسئولين فى هيئة الكتاب ، أستطيع أنا أن أحدد موعد نشر الديوان .
- عظيم ..... متى؟
- لا السنة القادمة ولا التى بعدها ولا ...
فقاطعه (إيهاب) قائلا :
- ما هذا الذى تقوله ؟ ديوانك مضى عليه سنوات فى الهيئة ينتظر النشر.. ثم تقول الآن أنه أمامه سنة أو سنتين .
فضحك ساخرا :

- على الأقل يجد الورثة شيئا يعتزون به , هذا إن أسعدهم الحظ ونشر الديوان فى حياتهم ، ليتنى لم أذهب الى القاهرة .
- لم ؟
- مدينه قاسية القلب, تقابلك بوجه عابس متجهم ، وتودعك بضربة فى مؤخرتك.

وضحك (سمير) قائلا :

- ليتك كنت معى لتأخذ نصيبك من الاستقبال والتوديع .

سادت فترة صمت بين الشابين ، علت خلالها صوت أغنيه مشهورة تدار على مدار اليوم , تبدد كلمتها وموسيقها أصواتُ الجالسين وهم يلعبون النرد والشطرنج, رائحة الشاي والقهوة ممتزجه برائحة الطباق المحترق تملأ المكان , وصبيان المقهى يدرون حول الزبائن كالنحل يلبون طالباتهم با صطلاحات يحفظونها عن ظهر قلب, المكان ضيق يضم العديد من البشر مختلفى الأمزجة والثقافات والبيئات , لكن جمعهم شىء واحد أنهم يريدون أن يتخلصوا من الوقت أو يتخلصوا من شى ء مبهم لا يقفون أمامه كثيرا .

قال (سمير) بعض طول صمت :

- لقد قررت أن أتوقف عن الكتابة .

فنظر إليه (إيهاب) مندهشا وقال :

- أأنت مجنون ؟! كل ما كتبته من أشعار وتراجم ونقد .. يخيل لى أنك تعيش من أجل أن تكتب .
- اليوم فقط اكتشفت أن كل هذا لا قيمة له , حتى لو نشر لى كتاب أو كتابان ما أثر هذا فى حياة الناس , انظر إلى كل الذين يجلسون حولك ، منذ ساعات وهم يلعبون ويضحكون ، واذا رجعوا إلى بيوتهم ينامون .
- أنت تكتب للأخرين .
- حتى هؤلاء الأخرين تشغلهم أشياء أخرى، وهم ليس في حاجة أن أصدع رأسهم بتلك التراهات الجوفاء .. أعترف أنى أحيانا أسأل نفسى : هل ما أكتبه سيحدث تغيرا فى حياة الناس , أو سيؤثر فى الناس تاثيرا ولو ضئيلا ؟ ويكون الجواب بالنفى , وأسأل نفسى مرة أخرى : إذن لمن أكتب ؟ ولماذا؟ أعترف لك كل كاتب لديه الكثير من الأنانية النرجسية .

فضحك (إيهاب) وسأله :

- لم ؟
- لأنه يكتب ويكتب ، ويظل يكتب وهو يعلم مقدما أن قد ليس لكتابته تلك أى صدى أو تاثير عند الناس .
- يا (سمير) .. الشاعر مثل العصفور يغرد لا لشىء لا للأن تلك طبيعته فى نفسه .
- لا ، تلك نظرة رومانسية خائبة .

ربت (إيهاب) على كتف (سمير) ثم قال :

- حينما تصل الى الناس أولا ويعرفونك، تأتى حكاية التأثير من عدمه أيها الشاعر الهمام .

وفى تلك اللحظه قدم نحوهم صديقهما (فياض) وهو يحمل فى إحدى يديه كومة من الأوراق سلم عليهم ثم جلس قائلا :

- لقد شعرت أن رأسى تكاد أن تنفجر من كثرة الكلام والشرح , فقلت أقطتع نصف ساعة أشرب فيها فنجانا من القهوة، وأطل على الأصحاب .

ثم نظر إلى (سمير) وقال مندهشا :

- ما بك يا (سمير)... وجهك عابس ومكفهر .. أفقدت عزيزا عليك اليوم ؟

فاشاح هذا بوجهه عنه, فقال (إيهاب) :

- أتصدق يا (فياض) أن (سمير) ينوى أن يتوقف عن الكتابة .

فنظر إليه مندهشا ، ثم نهض وقبل (سمير) وشدد على يديه قائلا :

- ألف مبروك يا (سمير) ..الآن فقط أستطيع أن أقول أنك وصلت إلى سن الرشد ، معقول يا رجل مدرس لغة إنجليزية، متمكن ومتبحر فى تلك اللغة يعيش هكذا بدون أن يعطى دروسا خصوصية, من الغد سوف أنظم لك مجاميع , إن الطلاب وأولياء أمورهم يسألوننى باستمرار على مدرس لغة إنجليزية ، وأنا لا أثق فى أحد غيرك.

فنظر إليه نظرة إحتقار وقال :
- يا (فياض) ، قلت لك أكثر من مرة أنا لن أعطى دروسا خصوصية أبدا .. الدروس الخصوصية لها أصحابها , مثلك ، عمرك كله تقضيه ، كل يوم منذ الواحدة ظهرا حتى الواحدة صباحا ، مجموعة داخلة، ومجموعة خارجة , أنا لا أدرى كيف تطيق تلك الحياة التافة المقرفة ؟!
- الطريقة التافة المقرفة هى التي أعطتنى الشقة والزوجة والسيارة ، وجعلتنى أعيش فى مستوى لائق بى , أما الحياة الفكرية والشعرية التى تعيشها فماذا أخذت منها يا (سمير) ، أقول لك نكتة ...لقد اشتاقت نفسى إلى أكل سندوتش طعمية، فذهبت وأشتريته , اتدرى ماذا وجدت ؟ وجدت الساندوتش ملفوف بورقتى من كتاب(للعقاد) .. أكان يدرى (العقاد) رحمه الله أن بعض كتبه سيكون مآلها الفول والطعمية ... والله لو كان يدرى ذلك ما كتب حرفا واحدا .

فقال(سمير) :
- ليس ذنب (العقاد) .. ولكن العيب فى هذا الزمان .
- الله يفتح عليك .. ها قد التقينا عند نقطة واحدة .. ناس هذا الزمن ليسوا من هواه القراءة والأدب والشعر , ثم أنه لا يوجد فى مصر كلها كاتب مهما علت شهرته يأكل بقلمه ... ماذا قلت أعد لك ما كانا وكذا مجموعه لتبدأ الاسبوع القادم ؟
- يالك من شيطان .. ما الذى جاء بك الآن ؟
- أنا صديقك وأريد مصلحتك (يا سمير) .

ثم نظر إلى (إيهاب) قائلا :
- ماذا بك صامت يا (أيهاب) ... ألا تريد مصلحت (سمير) ؟ .
- هو أدرى بمصلحته ، وهو الذى يقرر .
- نسيت أنك من أول المشجعين والمستمعين له فيما يكتب , مع أنك محام وتعرف جيدا ماذا يريد الناس , يريدون أن يعمروا معدتهم وليس أدمغتهم , لآن العيش بدماغ فارغة ومعدة ممتلئة هى السعادة عندهم , اليوم ما يسير الناس أمعاؤهم وليس عقولهم يا أستاذ (سمير) .

وحينما وجد (فياض) أن (سمير) لا يكثرت بكلامه قال له :
- أترك الدروس الخصوصية الآن ... عندى لك عروسة جميلة وغنية .

فابتسم له قائلا :
- ما خطبك اليوم يا(فياض) ... إن لم تكن الدروس الخصوصية تكن العروسة من الذى سلطك علىَّ اليوم .
- أنت فقرى ، وستمضى عمرك هكذا , كل عشر سنوات ينشر لك كتاب ، يعنى عمرك كله يساوى خمسة أو سبعة كتب و ...

فقاطعه (إيهاب) فى لهجة حازمة :
- ما بك يا (فياض) اليوم ؟ يا أخي ارحم (سمير) , أنت اليوم شديد الوقاحة معه
- دعه يا (إيهاب) إنه يتحدث بلسان كثير من الناس .

فقال (فياض) وكأنه يعتذر عما صدر منه :
- أنت غضبت يا (سمير) .. أنا قصدى أن أبصرك بالدنيا حولك ، وصدقنى أنا لولا أني أحبك ما قلت شيئا مما قلته .

وتقدم منهم شاب أنيق ، فارع الطول ، يرتدى نظارة ، خفيف شعر الرأس وكأنه كان يبحث عنهم قال :
- لقد كنت على وشك الانصراف حينما لم أجدكم فى مكاننا المعهود .

فقال (إيهاب) وهو يقدم له مقعدا :
- أهلا بالدكتور(زكريا).. لقد وجدنا مكاننا مشغولا ، فجالسنا هنا .

فقال (زكريا) بعد أن جلس ووضع قدما فوق الأخرى وهو يعبث بمجموعة من المفاتيح فى يده مخاطبا (فياض) :
- ماذا يا(فياض) ،أتجلس هنا وتترك الأعداد الهائلة المنتظرة ؟ ماذا يا رجل تلك الساعة التى تقضيها هنا بالشىء الفلانى .

فنهض (فياض) بعد أن تجرع القهوة وقال :

- الحق علىً أني جئت لأطل عليكم .... إنكم أصدقاء سوء .
فضحكوا , وقال (زكريا) مخاطبا (فياض) قبل أن ينصرف :
- لم رفعت ثمن المجموعة يا (فياض) ؟
- لأن كل شيء ارتفع ثمنه ، الورق والتصوير وإيجار الشقة , ثم ما شأنك أنت ؟ وهذا الطالب الذى أرسلته لى لن اتقاضى عليه أجرا , سأعطيه الدرس مجانا .
فقال ضاحكا :
- إذن لك على أن أخلع لك درسا مجانا
- اعوذ بالله منك ، أنا لن أزورك أبدا فى عيادتك , فالحمد لله دروسى كلها سليمة .
نظر (زكريا) إلى (سمير) و(إيهاب) وقال :
- غريبة لا أجد طاولة ولا شطرنج... ما الأمر؟
فقال (إيهاب) :
- المزاج معتل اليوم .. ولا رغبة لنا فى اللعب .
- لا , أنتما حالتكما سيئة جدا , حتى اللعب فقدتما القدرة عليه .
وهنا جاء رجل عجوز وبيده فوطة، ومسح المنضدة ، وابتسم لهم قائلا :
- الدكتور (زكريا) قهوه مظبوطة, والأستاذ (إيهاب) شاي والأستاذ (سمير) عناب , أليس كذلك ؟
فقال له (زكريا) :
- أتعرف يا عم (هلال) لولا أنت فى المقهى .... , المهم لا تنس أن تاتى بجريدة المساء .
فقال له (إيهاب) :
- وماذا فى جريدة المساء غير الذى فى جريدة الصباح .
فضحك (زكريا) قائلا :
- جريده الصباح تكتب أشياء حدثت فى الليل , وأما جريدة المساء فتكتب أشياء حدثت فى الصباح .
ضحك الجميع ، ثم سادت فترة صمت ، تعالت خلالها الأصوات المتعددة فى المقهى , قال (زكريا) :
- ما رأيكم لو نقضى سويا يوم الجمعة على شاطىء المنتزة ؟ نجدد الماضى .
فأشاح كل من (إيهاب) و (سمير) بوجهيهما , فقال لهما :
- إنى أعلم أنكما شخصان مأزومان ،أحدكما بسبب طموحاته الأدبية , والأخر بسبب طموحاته الاجتماعية , وكصديق لكما من واجبى أن أرفه عنكما بعض الشىء , وتكاليف هذا اليوم على حسابى , حتى أنكما لن تغرما أجرة التاكسى سوف أمر عليكما صباحا بسيارتى .
فقال (إيهاب) مداعبا :
- أنا لا أدرى لماذا تصاحبنا يا (زكريا) , وأنت لست مستوانا ؟ .
فقال (زكريا) ضاحكا:
- من تواضع لله رفعه ... وعلى كل الصداقة تزيل كل الفوارق ، هذا إذا كان هناك فوارق ، ثم أنا ليس لى أصدقاء سواكما.
فقال (سمير) :
- هذا من سوء حظك .

(16)

مع أن الاقتراح اقتراحها إلا أنه شعر بالتحرر من قيود كثيرة كانت ترزح على صدره،شعر بانطلاقة كتلك الانطلاقات التى كان يشعر بها أيام صباه وشبابه، فيسير ساعات يفتش فى نفسه عن منابع السعادة ، يشعرأن هناك تناغما دافىء بينه وبين كل ما ومن حوله ، كانت تلك المشاعر قد هجرته منذ زمن بعيد ، كان أول شىء يفكر فيه المكان...نعم ، لابد وأن يكون له مكان يعيش فيه ، (محرم بيه) الحى

الذى قضى فيه صباه وشبابه ، شعر بحنين إلى البيت الذى عاش فيه ، وإلى الشوارع والعطفات والحوارى والأزقه، ذهب ، ولكن للأسف ، كل شيء تغير البيت أزيل وأقيم مكانه عمارة شاهقة وملامح الشارع تغيرت، لم يعد أحد يعرفه ، فالعشرون عاما ليست مدة بسيطة ، أخديسير الهوينى مستمتعا بالجو المحيط به ، وفجأة رأى رجلا يتفرس فيه ثم يتجه إليه مادا يده مصافحا قائلا:

- الاستاذ(عمر) ياأهلا وسهلا ،ابن أصول ، لاتنسى أهلك وجيرانك.

الحرارة التى صافحه بها جعلته ينشط ذاكرته ،لاشك هناك صلة ما تربطه وهذا الرجل ، هذا الصوت الأجش والوجه المعروق وتلك النظرات المقتحمة ، كل هذا ليس غريبا عليه،وعلى الفورتذكره ، شدَّ على يده قائلا:

- الأسطى (أحمد) ، مازلت تذكرنى .
- وهل أحد ينسى والدك الله يرحمه ، أو ينساك ياأستاذ(عمر)..تفضل تعال تشرب كوبا من الشاي فى المحل، أم أنك كبرت علينا .
- كيف ؟ وأنت فى مقام والدى .

وسارا قليلا حتى وصلا الى المحل ، كأنه فارقه بالأمس ، كل شيء كما هو المقاعد الخشبيه المصطفة بجوار الحائط المتأكل من الرطوبة ، وبعض الجرائد والمجلات على إحدى المناضد، وفى ركن يوجد الموقدالصغير ، وأكواب الشاي وإناء القهوة وعلى يمين المقعد الرئيسى مسجل وعدد من شرائط الكاسيت وكل هذا يسبح وسط رائحه الصابون والكلونيا الحادة الرائحة وبعض خصلات الشعر المقصوص المتساقط فوق البلاط الباهت اللون المتشقق ، كان هذا المحل إلى جانب أنه صالون للحلاقه كان يعتبر مكان لمناقشة قضايا في السياسة والاقتصاد والفن والموسيقى ،كان يجلس والده مع عدد من أصدقائه يتناقشون ويتحاورون فى حدة وغضب ، ثم يلين الحديث وتكتسى الوجوه بالوداعه وتنطلق الضحكات من الصدور،أول مرة يسمع اسم (ناصر) والاتحاد السوفياتى وفرنسا وإنجلترا وأمريكا والتأميم والإخوان المسلمين والاعتقالات...وحينما يسود الصمت ليريح الألسنه وتهدأ الأدمغة ، تمتد أصابع الأسطى (أحمد) لمؤشر المذياع الكبير الحجم بعد أن ينظفه بقطعه من القماش، فتنطلق التواشيح الدينية من الشيخ (على محمود) وبعد قليل صوت أم كلثوم ، أو محمدعبد الوهاب أو زكريا أحمد ، وغيرهم وتتمايل وتهتز الرؤوس وتتصاعدالتنهدات من الصدور، ويمتد الليل ، ويزحف النعاس الى عينيه ويحاول أن يفتحهما ليظل على صلة بهذا العالم، عالم الكبارالذى لايفقه ولكنه يأسره بما يحفل به من حركة وضوضاء وتميل الرأس الصغير على والده فيخلع هذا معطفه ويغطيه به ولايشعر بعد ذلك الا وهومحمول فوق كتف والده عائدا الى البيت وهومنكمش ونباح الكلاب يفترس سمعه.

نظر حوله كل شيء كما هو، ماعدا بصمات الزمن واختفاء المذياع الضخم ، وكأن الأخبار والأنباء لم تعد تستدعى ضخامة مذياع ، فيكفى مسجل صغير، فما يسمع صغير وضئيل وتافة أيضا.

سأله الأسطى (أحمد) وهو يشعل الموقد الصغير:

- شاي ام قهوة ياأستاذ (عمر) ؟
- شاي لو سمحت .

جذب كرسيا وجلس أمامه ثم أخرج علبه التبغ وعرض عليه لفافة فضحك(عمر) وقال:

- أنا لا أدخن ، ولكن سوف أدخنها معك .

وأسرع الأسطى(أحمد) بإشعالها وأشعل لنفسه واحدة ، ثم سأله وهويدقق النظر إليه:

- أين كنت طوال تلك المدة ياأستاذ ؟
- أعمل فى الخارج .
- أكيد فى إحدى دول الخليج .

فضحك (عمر) وهو ينظر إلى عينيه التى لم يغير من بريقها الزمن :

- نعم ، وهل هناك سوى دول الخليج .
- ومازلت تعمل هناك ؟

فكر قليلا ثم قال :
- أظن سأبقى هنا، ولن أسافر .
- إذن أنت لم تأت الى هنا بعد تلك السنين إلا لسبب .
- لاأكذب عليك.... فإني أريد شقة .
- زملائى السماسرة فى أرقى أحياء الإسكندرية ، حدد أنت الحى وستكون المفاتيح معك بعد أقل من أسبوع .
- أريدها هنا ، فى (محرم بيه)
- إن كان الأمر هكذا، فليس أمامك إلا أن تأتى معى لنشاهد العديد منها ، وتختار ماتريده ، ولكن فيم تريدها ؟
- أجعلها مرسما .
- والمدام والأولاد؟
- فى شقتهم ، وأناسأجعلها كمقر لعملى .

نهض الأسطى (أحمد) قائلا وهو ينظر إلى ساعته .
الساعة الآن الثانية..سنذهب إلى البيت ، نتناول الغداء سويا ، ثم ننزل لتختار شقة من الشقق التى ستراها .
فقال (عمر) معتذرا :
- اعذرني ياعم (أحمد) من مسألة الغداء ، وسوف أمر عليك بعد ذلك .

فأمسك بيده قائلا :
- التواضع صفة طيبة ياأستاذ(عمر) أم أننا أصبحنا لانستحق أن تتناول الغداء عندنا، على الأقل نرد مرة من المرات التى تناولت الغداء فيها عندكم ، الله يرحمه والدك كان يختلق المناسبات حتى يدعونى للغداء.

أراد (عمر) أن يكون يكرر اعتذاره ، فمنعه الأسطى(أحمد) من أن يتكلم وجذبه من يده ، وأشار للصبى ، أن يغلق المحل...وحينما سارا مسافة بالسيارة ، قال له الأسطى (أحمد) :
- الآن أترك السيارة وهيا نسير على أقدامنا فالطريق ملآن بالمطبات .

وسارا مخترقين حوارى وأزقة ومنعطفات ، كان يطيب له أن يرسم مناظر مأخوذة من تلك الاحياء ، كان يشعر أن تلك الأماكن متخمة بالحياة ، وأن هناك تداخل بل تمازج فى الأضواء والظلال والمشاعروالبيوت والبشر ، ليس هناك مسافات أو فراغات ، كأنهم كتلة واحدة من الأعصاب والدماء، لم يكن الأسطى (أحمد) يتوقف عن إلقاء السلام والتحيات على رجال ونساء وأطفال ، أو يتلقى منهم التحيات مصحوبةبالنكبات والمداعبات، وقف أمام بيت محافظا على قوامه وشكله ، مقارنة بما يجاوره ، دخل الشقة وقاده إلى حجرة الصالون ، كان الجو خانقا وحارا بعض الشيء، فتح النوافذ فدلفت نسمات الصيف الجافة ، وأخذت تعبث بالستائر الحريرية الباهتة اللون ، غاب عنه بعض الوقت ثم عاد قائلا :
- حظك من السماء..أم (ايهاب) تعد لنا اليوم سمكا وجنبرى ، ولن تنسى ماحييت طعمه.

نظر(عمر) إلى بعض الصور معلقة على الحائط فقال له الأسطى(أحمد) :
- هذا (إيهاب) ابنى ، تخرج منذ سنتين من كلية الحقوق ، وتلك دعاء ابنتى فى الثانوية العامة .

فقال (عمر) :
- ماأسرع الأيام...(إيهاب) هذا أتذكره وهو فى المرحلة الإبتدائية ، حينما كان يأتى بدفاتره ، ليكتب واجباته المدرسية .

فضحك الأسطى (أحمد) قائلا :
- هكذا الحياة ، الصغير يكبر ، والحى يموت...وكلها أيام نمضيها فوق الأرض...
- أطال الله فى عمرك .

فقال فى أسف :
- كل أصحابى وأصدقائى ماتوا ، ولم يتركوا لى سوى ذكرى .

وهنا سمعا طرقا على الباب ، ودخل (إيهاب) ، فقال له والده :
- تعال يا (إيهاب) ، سلم على الأستاذ (عمر) الأ تتذكره ؟

صافحه (إيهاب) وهو يتأمل ملامح وجهه ، ثم ابتسم قائلا :

- الأستاذ (عمر) الرسام .
فضحك (عمر) قائلا :
- نعم ، الأستاذ (عمر) الرسام .
فشدً على يده قائلا:
- أتعرف أنى مازلت محتفظا بالرسوم التى كنت ترسمها وأنت جالس فى محل والدى ، والصور التى رسمتها لى .
- أمعقول هذا ؟!
- نعم ، وسوف أحضرها لك .
فقال الأسطى (أحمد) :
- فى وقت آخر يا(إيهاب) ، فقد حان وقت الغداء .
وبعد أن تناولوا الغداء ، وشربوا الشاي ، وقبل أن ينصرف (عمر) والأسطى (أحمد)،صافح (إيهاب) (عمر)، وقال له :
- طالما ستسكن فى الحى ، أكيد ستجلس فى مقهى الحى ، وسنسعد برؤيتك .
- أين هذا المقهى؟
فقال الأسطى (أحمد) :
- هيا ياأستاذ (عمر) وسوف أخبرك بمكانه .

وشاهد (عمر) أكثر من شقة ، وفى النهاية ، وقع اختياره على واحدة وأعطاه الأسطى (أحمد) المفتاح ، قائلا له :
- أنت الآن فى حينا ، ولابد أن نراك بين الوقت والأخر .
- ان شاء الله .

(17)
- أجننت يا (فاتن) ؟ أهذا كلام ناس عقلاء ؟!
- وماذا كنت تنتظرين أن أفعل ؟ ثم أنى كنت فى حالة غير طبيعية .
وقالت (زينات) :
- لا تلوميها يا (كوثر)...فليس هذا وقته ، ولكن اخبرينى ألم تخرجى من عندى وأنت تنوى أن تطلبى الطلاق ؟
- كنت أنوى ذلك ، لمجرد أن أعرف حقيقة موقفه منى ، ولكن حينما طلب الانفصال شعرت بإهانة لم أشعر بها من قبل ، فأتفقت معه على على كل ماقلته لكما .
فقالت(كوثر) :
- أهناك امرأة تقول لزوجها لك أن تأتى إلى البيت أو لاتأتى ، وتعيش كما تشاء وتحرره من كل التزام نحوها ونحو بيتها ؟!
- لأنى أعلم أنه سيرجع ، ولن يستطيع أن يعيش بدونى .
وعقبت (زينات) :
- نعم ، أنت أقوانا شخصية وتحكم وسيطرة على زوجك ، وكنا نسلم لك بذلك ، وكنا نظن أن لو الرجال جميعهم طلبوا الانفصال عن زوجاتهم ، فالأمر محال مع (عمر) ... ولكن ما حدث أخيرا ....

نهضت (فاتن) والتقطت السكين ، وأخذت تقطع من الكيك ، وتقدم (لكوثر) و(زينات) ، وقالت وهى تحاول أن تحافظ على هدوئها :
- ما حدث يؤكد ثقتى ومكانتى ، لأن ما فعله (عمر) مثل فعل تململ الفريسة حينما تشعر بشدة القبضة وتحاول الفرار .
فقالت (كوثر) وهى تتناول كوب العصير :
- ما الأمر يا (فاتن) ... هل العلاقة بين الزوج وزوجته علاقه فريسة بصائد أو ضحية بمفترس ؟
فقالت (فاتن) ، وقد ارتعش صوتها من شده الانفعال :

- أنسيتما ، كيف كان يعامل والدنا أمنا ؟ لم تريا كم كانت مطحونة و مسحوقة ، وكيف كان يعاملها بكل قسوة وغلظة ، أنسيتما تلك الليالى التى كنا نمضيها نبكى معها من جراء ظلمه لها ؟

فقالت (كوثر) :

- نعم ، ولكن والدنا كان حاد الطبع ، متقلب المزاج .
- لا، بل قولى هى التى كانت ضعيفة ، ومستسلمة لكل أوامره وتحكماته ، كان ناظر فى المدرسة ، وناظرفى البيت ، كان يتصرف وكأنه ملك ، وهى عبدة له ، بل كلنا عبيد له .
- هذا زمان ، وكانت له ظروفه يا (فاتن) .
- الرجل هو الرجل فى كل زمان، إذا أحس بضعف المرأة أمامه ، وخضوعها له فسيكون أشد قسوة حتى من أبينا .

فقالت (كوثر) :

- أنا لا أوافقك على هذا يا (فاتن) ، تلك رواسب نفسية يجب أن تتخلصى منها ، وإلا ستدمر حياتك .

فقالت (زينات) :

- (فاتن) معها حق فى كل ما تقوله يا (كوثر) ، ولا تنسى أننا كنا نتمنى أن نكون مثلها ، ولكننا فشلنا أن نشكل زوجينا كما نريد .

فقالت (كوثر) :

- الحمد لله أننا فشلنا وإلا .....

فقالت (فاتن) :

- أكملى يا (كوثر) .... وإلا كان سيكون مصيركما كمصيرى ، زوجى يعيش معى ولا يعيش ، ولا أدرى أين هو الآن ؟
- أنا لا أشمت فيك يا (فاتن) ، ولكن لا تستطيعين أن تنكرى أن ما حدث لك و(عمر) هذا نتيجة أسلوبك فى معاملته ، وإذا كنت تريدين أن يعود كما كان فعليك أن تغيرى أسلوبك .
- بعد عشرين سنة ، تقولين أغير أسلوبى ، لا يا (كوثر) (عمر) سيعود كما كان بل أشد خضوعا وستثبت لكما الأيام .

وقالت محاولة أن تغير الموضوع :

- دعونا من هذا الأمر ، وأخبرينا يا (كوثر) ما الأمر الذى كنت تريدين أن تتحدثى فيه ؟
- لقد جاء(لريرى) عريس .

فقالت (زينات) :

- مبروك .. من العريس ؟
- (رشاد عبد المقصود) ابن عمها .
- هذا فلاح ، وابن فلاح ، ولا يناسب (ريرى) بالمرة

فقالت (فاتن) :

- الذى أعرفه أن الحاج (عبد المقصود) رجل طيب ، و(رشاد) مهندس ناجح ، ومشاريعه ناجحة وله مستقبل باهر .
- نعم ، ولكن لا تنس أن (ريرى) ستعيش فى القرية حيث مزارع العجول والدجاج وسط الذباب والبعوض ، وفى النهايه هو فلاح .

فقالت (فاتن) بسخرية :

- أختك التى تجلس بجوارك ، متزوجة من عمه .
- نعم ، ولكن (كوثر) تعيش فى المدينة .
- كأنه لو تقدم (لولاء) قد توافقين ؟
- التي ستوافق أو ترفض هى (ولاء) ، ولست أنا .

التفت (زينات) إلى (كوثر) وسألتها :

- وما رأى (ريرى) ؟
- ترفض طبعا ... المشكلة كيف أقنع والدها ، وأنت تعرفين مدى حب (مصطفى) لأخيه (عبد المقصود) ، وابنه (رشاد) .
- وماذا حدث حينما كان (عبد المقصود) وابنه عندكم ؟

- أنت تعرفين (ريرى) قامت بحركه قد يفهم منها الحاج (عبد المقصود) ... وإلا فأنى سوف أصارح (مصطفى) برفض (ريرى) لرشاد .

قالت (فاتن) :

- على فكرة يا (كوثر)، لابد أن تكونى حازمة مع (ريرى) ، فهى كبرت ولم تعد صغيرة .
- أنا لا أستطيع أن أملى عليها رأيا ، وهى ترفض أى نصيحة أوجهها لها .

فعقبت (زينات) :

- حبك لها هو الذى جعلها تدلل عليك ، واستجابتك لكل طلباتها .

نظرت (كوثر) فى الساعة ونهضت قائلة :

- على رأيك طلباتها فى كفة، وطلبات الأولاد ووالدهم فى كفة ... لقد تأخرت ... هل ستأتين معي يا (زينات).
- نعم ، هيا بنا

(18)

كان يجلس تحت شجرة الرمان فى حديقة منزله يدخن النرجيلة ، والعصافير تصدح وهى تطير بين الأشجار المحيطه بالبيت ، وعدد من الماعز يتقافز فى خفة ورشاقة مستمتعا بهذا الجو الصيفى البديع عصر ذلك اليوم . خرجت زوجته من البيت تحمل كوبين من الشاي ، وجلست بجواره وسألته :

- لم تخبرنى يا حاج ... علام اتفقت أنت وأخوك ؟
- ماذا تقصدين ؟
- بشأن خطبة (رشاد) و(ريهام) .

تناول كوب الشاي ، وأخذ منه عدة رشفات ، ولم يحر جوابا، فسألته :

- أنت لم تكلمني في الموضوع منذ رجعت بالأمس .

أخذ ينفث الدخان في الهواء ثم نظر إليها قائلا :

- علي ما يبدو أن (رشاد) ليس له نصيب في بنت عمه يا أم رشاد .

فضربت بكفيها علي صدرها المرتفع وقالت :

- أخوك رفض (رشاد) ابني !
- أخي يتمني هذا النسب ، ولكني أحسست أن البنت ليست لها رغبة في (رشاد) والحمد لله .
- كأنك سعيد بهذا .
- نعم يا أم (رشاد) ، وحتي لو تزوج (رشاد) بها فلن تعمر معه
- لم يا حاج ؟! تلك أبنة أخيك ، وأنت وهو متفقان منذ زمن علي أن رشاد لريهام .
- البنت مثل بنات الإعلانات اللائي تشاهدينهن في التلفاز ، مكياج ولبس وحركات ودلع ... أنا فوجئت حينما رأيتها .
- ولكن (رشاد) يريدها ، وأنت تعلم أن هذا حلمه منذ زمن .
- رشاد في حاجة إلي زوجة تقف بجانبه ، تساعده ، تكون له عونا وتعيش معه وتحافظ عليه ... رشاد لا يعلم شيئا عن الدنيا سوي عمله ، وبنت أخي ليست من هذا النوع و ... و ..... المهم يا حاجة البنت لا تصلح (لرشاد) .
- تقول هذا الكلام علي ابنة أخيك يا حاج ؟

فقال غاضبا :

- هو ابني ... وأنا أدرى بمصلحته .

صمتت قليلا ووضعت يدها على خدها وقالت :

- عيني يا ابني .... سوف يحزن حينما يعرف ذلك .
- المهم ، أنت تحاولين أن تقنعيه أن يصرف نظره عن الموضوع .

نهضت قائلة :

- أخبره أنت .

فقال بإنفعال :

- لا أخذ من وراءك وابنك سوى التعب ووجع الدماغ ... أنا لا أدري لماذا هو متعلق بها ولم يشاهدها منذ سنوات ؟ المهم أرسلي لي الولد (فرج) .
- أنه يأكل .
- يأكل ! أنا لا أشاهده إلا وهو يأكل .. أخبريه أن يأتي حالا .

دخلت ، وبعد قليل خرج شاب يرتدي جلبابا وغطاء رأس وفي يده قطعة خبز وجبن اقترب منه وسأله :

- نعم يا خال ... أتريد مني شيئا ؟
- يا بني ألا تتوقف عن الأكل أبدا ، طول النهار وأنت تأكل .
- لم أجد شيئا أفعله ، قلت لنفسي أتسلى .
- والناس حينما تتسلى تأكل يا فرج .
- والله يا خال الناس تتسلي بأشياء كثيرة ، ولكن بالنسبه لي أفضل تسلية عندي الأكل .

تأمل الحاج نحافته ، وقال متعجبا :

- ماذا يحدث لو لم تأكل كل هذا الأكل ؟! المهم اذهب إلى (رشاد) وأخبره أن يحضر .
- لا ، لن يحضر ياخال .
- أمرك عجيب..لماذا لن يحضر ؟
- لآن معه الطبيب البيطرى .
- قلت لك اذهب ، وأدعوه حالا .
- سوف أذهب ، ولكن بعد أن أكمل الأكل .

فقال غاضبا :

- اذهب بسرعة ، وجع فى بطنك .

وحينما حضر (رشاد) سأله :

- ماذا تريد ياحاج ؟
- اجلس يا (رشاد) أريدك فى كلمة .
- الطبيب (على) مع العجول...انتظر حتى أعود .
- اجلس (رشاد) ، ودعك من العجول الآن، حينما تعود ليلا أكون قد نمت .

جلس (رشاد) وهو يحاول أن يتجنب رائحة الدخان ، قال والده :

- بالنسبة لبنت عمك .
- (ريهام) .
- نعم.
- مابها ؟
- أريدك أن تصرف نظرك عنها .

رفع نظارته ذات العدسات السميكة ، وقال وهو يجفف عرقه بمنديل باهت اللون :

- لماذا ؟ هل اتصل بك عمى وبلغك بشىء .
- لم يتصل ولم يبلغنى بشىء...ولكن ماحدث ليلة أن كنا هناك يدل على بنت عمك لاتريدك .....ثم أنها لاتصلح لك .

فقال بعد تردد :

- كيف لاتصلح لى ياحاج ؟
- يابنى ، أنت فى حاجة إلى زوجة تقف بجوارك ، وبنت عمك مثل البسكويت الناعم.
- ولكنها ابنة عمى ، وأنا أريدها .

فقال وكأنه يحدث نفسه :

- ظهرت صلابة رأيك ، وأنا أعرفك حينما تصمم على شىء ، إذن ننتظر الرفض من عندهم وأنا على يقين أنها سترفضك .

فسأله :

- أتقول شيئا ياحاج ؟

فقال وهو يدفعه :

- لا ، انهض إلى عجولك ، ربنا يوفقك ، ولاتنس أن تدعو الطبيب البيطرى ليتناول العشاء معنا .

(19)

البحر الأزرق بأمواجه البيضاء ، والسماء الصافية ، والشمس المشرقة ، والرمال الناعمه الدافئة ، وتلك النسائم المضمخة بعطر روحانى والمغسولة بعبق نورانى وصوت الموج كهمسات عاشق ، تداعب هوى النفس وصبابة القلب .خرجوا من البحر ، بعد أن نال منهم التعب والجوع ، أرتدوا ثيابهم ، وجلسوا يتناولون فطورهم ، وبعد ذلك أخذوا يشربون الشاي ، ويطالعون بعض الجرائد والمجلات.

قال (إيهاب) :

- لو يستطيع البحر أن يغسل نفوسنا من الهموم كما يغسل أجسادنا .

فعقب (سمير) :

- لو حدث هذا ، ماترك الناس الشواطىء ليلا أو نهارا.

فقال (زكريا) وهو يطوى الجريدة ويضعها على المنضدة :

- ماتلك الهموم التى تتحدثان عنها...أنتما شباب وأمامكما المستقبل مشرق ومفتوح .

فقال(إيهاب) ساخرا :

- ومثلك يقول ذلك...فأنت مولود وفى فمك ملعقة من ذهب..شقة وعربية وعيادة وحساب فى البنك .....البركة فى أبيك وماتركه لك .
- ومع ذلك فإنى أعيش معكما ليلا و نهارا ، وأغلب أجازتى أقضيها معكما وأترك زوجتى والأولاد .
- ماذا تقصد ؟
- أقصد أن غنائى وماتركه لى والدى لم يميزنى عنكما ، ولم يخلق فارقا كبيرا بينى وبينكما ، وبصراحة هل تشعران من ناحيتى بأى فرق ؟

فضحك (إيهاب) :

- الاختلاف الوحيد أنك دعوتنا لنقضى معك اليوم وفطورنا وغداءنا وكل شىء على حسابك .
- ليس بين الأصدقاء أى فرق يا (إيهاب) .

وهنا قال (سمير) وهو ينظر ناحية اليسار :

- أتريان ما أراه ؟

وكان رجل فى حوالى الخمسين من العمر، ومعه حسناء فى ريعان الشباب ترتدى بنطلونا وقميصا ونظارة شمس وقبعة من الخوص ووراءهما امرأة تحمل المظلة والمقاعد .....أخذ الرجل يثبت المظلة وقبل أن تجلس الحسناء اصطدمت قبعتها بطرف المظلة فطارت ناحية الجالسين ، فقال (إيهاب) مخاطبا (سمير) :

- انهض ، والتقط القبعة ، واذهب بها اليهم.

فنظر إليه متعجبا :

- ولم لا تذهب أنت؟!
- أنت أول من رأيتها ، وجذبت انتباهك .

تركهما (زكريا) فى خلافهما ، وأخذ القبعة ، وذهب ناحية الرجل والحسناء وكان كل من (إيهاب) و(سمير) يرقبانه ، فوجداه يصافح الرجل والحسناء ، ويجلس معهما فقال (إيهاب) :

- على مايبدو أنه يعرفهما .
- أترى مدى جمال ورشاقة الفتاة ؟
- طبعا...البحر سوف يشغل خيالك ، وأكيد ستخرج بقصيدة اليوم ، فكل ما أنت فى حاجة إليه ملهمة ، وهاهى .

فقال له (سمير) :

- انظر ، إنه يشير لنا أن نذهب إليه .
- من ؟
- (زكريا) .
- نعم ، إنه يشير لنا ، اذهب أنت .

- معقول هذا ؟ هيا نذهب نحن الاثنان .

وحينما وصلا ، قام (زكريا) بتقديم الرجل والحسناء قائلا :

- الدكتور(إسماعيل) أستاذى والآنسة (نشوى) ابنته....وهذا(إيهاب) محامى، و(سمير) مدرس لغة إنجليزية ، وفوق هذا شاعر .

رحب بهما الدكتور(إسماعيل) ودعاهم أن يشربوا معه القهوة وقال :

- تقول أن الأستاذ (سامى) شاعر ؟
- لا بل (سمير) .
- ولكنى لم أسمع به ، أو بالأحرى (نشوى) ابنتى لم تخبرنى عنه بشىء .

فنظر إليها (سمير) وقد أخذ بجمالها وسأل :

- وهل الأنسة (نشوى) تحب الشعر .

فقال والدها :

- هى قارئة جيدة للأدب وبالأخص الشعر، وكل ديوان تقرأه تصدع لى رأسى وتريد أن أشاركها فى القراءة ،وبينى وبينكم ، أنا لا أحب الشعر ولا أفهمه.. لا تؤاخذنى ياأستاذ (سمير)

فقال(سمير) :

- يكفى أن الآنسة (نشوى) تقرأ لنفسها وتقرأ عنك ، فكأنك من خلال الآنسة (نشوى) قد أعطيت الشعرحقه .

فربت بيده على يد ابنته وقال :

- أخيرا ، وجدت شخصا على استعداد أن تصدعى رأسه بالشعر، وليس شخصا عاديا بل هو شاعر .

قالت له وهى تخلع نظارتها وتطوح بخصلات شعرها الى الوراء والهواء يعبث به يمينا ويسارا :

- دكتور(زكريا) يقول أنك نشرت ديوانا ، ومع ذلك لم أسمع به .

فابتسم وهو يتأمل أصابعها الرقيقة ، وهى تعبث بصفحات مجلة :

- دكتور(زكريا)يبالغ....تجاوزا اسمى شاعر ، والديوان الذى نشر صغير ، وكانت نسخه محدودة..و....

فقاطعه قائلا :

- لا تصدقيه ، فلديه أكثر من ديوان ، ودراسات نقدية ، وتراجم عن شعراء إنجليز ، ولكن مشكلته فى النشر .

فقالت بصوت رقيق :

- ولكن ، دور النشر كثيرة ، هنا وفى القاهرة .

فقال (سمير) :

- النشر لشاعر مغمور مثلى يعد مغامرة .

فضحك دكتور (اسماعيل) قائلا :

- كل الشعراء العظام كانوا فى بداية أمرهم مغمورين ، وأنت ماتزال شابا ، أمامك المستقبل واسع .

وقالت (نشوى) :

- وأين يباع ديوانك ، كى اشترى منه نسخة .

فقال :

- يكون لى الشرف إن سمحت أن أهديك نسخة فى أقرب فرصة .

والتفت دكتور (اسماعيل) إلى (زكريا) :

- على فكرة ، كنت سأتصل بك اليوم.
- خير إنشاء الله ؟
- لقد انشأت مركزا طبيا صغيرا فى وسط البلد ، وهو باسم (نشوى) هدية تخرجها وأريدك أن تشكل لى طقم أطباء من مختلف التخصصات ،شباب فى مثل سنك وبالطبع سيكون لك مكانة متميزة فى المركز .
- مبروك مقدما يادكتورة (نشوى) وأنا تحت أمرك يادكتور .
- قريبا جدا ، أريد منك ورقة بأسماء الأطباء .

وبعد أن تحدثوا فى أمور شتى ، نهض (زكريا) ومن معه مستأذنين ، فقال دكتور(إسماعيل) :

- نحن لم ننته من الحديث بعد معك ، فما زالت هناك أمور نريد الحديث فيها .
- فى أى وقت تحدده أنا تحت أمرك .

صمت قليلا مفكرا ثم قال :

- الليلة نتناول العشاء ، والأستاذ (سمير) و(إيهاب) مدعوان معك .

حاول (زكريا) أن يعتذر ، ولكن دكتور (إسماعيل) حسم الأمر قائلا :

- لن أقبل أى عذر ، الليلة أنا فى انتظاركم ، فى التاسعة ، على الأقل فرصة كى نأنس بصاحبيك .

لم يجد (زكريا) مفرا من القبول وانصرفوا على اللقاء .

(20)

- قبل أن ندخل فى أى موضوع ، خذى حساب الهدية، فإنى فى كل مرة أنسى ، ولا أدرى لماذا ؟

قال هذا وهو يمد يده بثمن قفص العصافير , ضحكت (ليلى) طويلا من لهجته وحركته , قالت وهى ما تزال تقاوم الضحك :

- تفضل اجلس أولا .

جلس وبصره سارح بين محتويات المكان ، قالت وهى ترد النقود له :

- اعتبر أني أنا التى قدمت الهدية (لولاء) فهى كابنتى .
- هذا لا يكون إلا إذا كنت قد قدمت الهدية بنفسك .
- ولكنى لم أدعى .

فقال مندهشا :

- وهل كنت ستحضرين ؟
- على الأقل كنت سأرسل (حنان) ابنتى ، فهى و(ولاء) فى سنة واحدة فى الجامعة وهى تعرف ابنتك .
- لو كنت أعرف لوجهت دعوة ، ولكن عذرى ...

فقاطعته قائلة :

- الأمر ليس فى حاجة إلى اعتذار .
- ولكن لماذا لم تدع (ولاء) (حنان) طالما هما زملاء في الجامعة ؟

فمطت شفتيها ، ولم تجب ، فقال :

- إنى أعرف (ولاء) فهى غير اجتماعية بالمرة .

مضت فتره صمت ..سألته :

- أتشرب شايا ؟
- لاداعى لأن تتعبى نفسك .

فقالت وهى تأتى بإناءحفظ الشاي ، وكوبين ، وتضعهما أمامها وتصب الشاي .

- الشاي جاهز ، ولن أتعب نفسى .

وناولته الكوب ، وبعد قليل ، أخرج ورقة من جيبه وقال :

- أريد عصافير أخرى مثل التى أخذتها ، وأرجونات وألوان وقماش .

فقالت له :

- أعطنى الورقة لو سمحت .

وبعد أن نظرت فيها ، قالت :

- لدى هنا بعض الأشياء، والبعض الأخرغير موجود ، سأدبره لك...ولكن لمن كل هذا ؟
- إنه لى .

فقالت مندهشة :

- لك!!
- نعم ، فأنا خريج فنون جميلة ، قسم تصوير، ولكنى ابتعدت عن الرسم بعض الوقت وأريد أن أعود .
- تعود!
- نعم ، إلى الرسم والتصوير ...ولو كنت أعلم أنى لن أرجع لأحضرت كل تلك الأشياء من الخارج .
- ترجع إلى أين ؟

- إلى عملى بالخارج .
- كأنك لم تقررعدم العودة إلا حينما حضرت إلى مصر .
- نعم .
- إذن ، هو قرار مفاجىء .
- نعم .
- كيف ؟
- منذ مدة طويلة ، وأنا أحدث نفسى بالرجوع ، ولكن الظروف كانت تضطرنى إلى البقاء .
- ولكن الذى أعلمه أن العمل بالخارج مربح .
- بالخارج تربحين كثيرا ، وتخسرين أكثر .
- ماذا تقصد ؟
- هذا شىء لا يشعر به إلا من عاناه، يكفى أن أصف لك شعورى بأنى نبت نزع من أرضه وهوائه وسمائه ، وألقى به فى فى صحراء قاحلة ، لم يمض يوم إلا وحدثت نفسى فيه بالرجوع و...

فقاطعته:

- ولماذا لم ترجع ؟
- أصارحك... أن الأمر لم يكن بيدى..وأن الظروف كانت أقوى منى بكثير .
- كنت أظن أن امر الإنسان بيده ، وفى إمكانه أن يفعل مايحلو له .
- فى البداية كنت أظن مثلك ، ولكن الواقع شىء أخر ،وبالأخص حينما تجدين زوجة تكون عوناعلى الظروف وليس العكس .
- كلامك هذا يشير على أنك لست سعيدا فى حياتك الزوجية .
- بكل تأكيد .

ظهرت على وجهها الدقيق الملامح علامات الاندهاش والتعجب..خفض رأسه قليلا ثم رفعها وقال بأسف وحزن :

- طبعا تتعجبين من قولى هذا ، فمن يعش عشرين عاما أو يزيد وينجب من الأبناء ثم يأتى بعد ذلك ويقول أنه غير سعيد مع زوجته ، هذا شىء غريب ، وعجيب وغير معقول ، ولكن ما لي والعقل إذا كان ما أشعر به حقيقة ، ووصلت إلى درجة لا أستطيع تحمل الحياة ، كما كنت أتحملها من قبل .
- ولكن كما تقول ، عشرين عاما من العشرة هذا كفيل أن تقضى ...
- أن اقضى بقية عمرى معها ...ولكن إذا كانت العشرين عاما ترجح وتؤيد أن أقضى بقيه عمرى كما كنت فيما مضى ، فأن شيئا فى أعماقى يقول كفى...شيئا يقول لى أنقذ مابقى من عمرك وهو قليل ، وعش كما تهوى بدون أى قيد أو شرط ....حينما يشعر الإنسان أنه أرغم أن يعيش حياة غير تلك التى كان يتمنى ، يحس أن حياته عدم هباء .

شعرت بمدى المأساه التى يحياها ، وتأثرت بذلك أبغل تأثير ، فهى تعرف أنها شديدة التأثر وقد اعتبر من حولها أنه عيب من عيوبها ، لأنه يجعلها عرضة وخاضعة لكل المؤثرات ، وعدها البعض ميزة من مميزاتها ، وهى لم تشغل بالها طويلا بهذا الأمر ، هكذا خلقت ، ولكن الشىء الذى استرعى انتباهها هو لماذا يحكى لها خصوصيات حياته ، وهى تكاد لا تعرفه ، وكأنه قرأ فى عينيها هذا

التساؤل فقال :

- لعلك تتعجبين لماذا أحكى لك عن خصوصياتى ، ولم يمض على معرفتنا سوى أيام وهى معرفة زبون بصاحبة محل .

تجول بنظره بين محتويات المحل ، ثم قال :

- والأشد عجبا أنك تستمعين لتلك الترهات التى أتحدث بها ، حماقات إنسان ضعيف رخو انساب عمره من بين أصابعه ، وهو لايحرك ساكنا .

نهض منصرفا ، وهو يقول :

- أسف على إزعاجك .

وانصرف ، أحست أنها تكاد أن تبكى تأثرا وشفقة عليه ، أهناك أناس يعانون فى حياتهم تلك المعاناة والسبب زوجاتهم ؟ أيمكن أن تحول الزوجة حياة زوجها إلى تلك الدرجة من العذاب ؟

استعادت شريط حياتها مع زوجها ، من أول زواجها حتى توفاه الله وتساءلت ..أكان زوجى سعيدا معى أم لم يكن ؟ وهل نجحت فى إسعاده أم لا ؟ الذى تعرفه أنها كانت تفنى نفسها في محاولة إسعاده ، كما تفعل الآن مع بناتها ، فقد أدركت منذ صغرها أن الناس لا يعيشون مع بعضهم إلا ليسعد كل منهم الأخر، وإلا لماذا يعيشون معا ؟

(21)

- أين الأستاذ (إيهاب) ؟
- اعتذر عن المجيء لإشغاله بكتابة مذكرة طلبت منه للمحكمه غدا .
- إذن ، هيا فقد تأخرنا عن موعد الدكتور (إسماعيل) .

ركبا السيارة ، ووضع (سمير) شيئا ملفوفا فى ورق مفضض أمامه .
فسأله (زكريا) فقال :

- نسخة من الديوان للآنسة (نشوى) أليس كذلك ؟
- وابتسم قائلا :
- إذن ، السهرة ستكون شاعرية ...هل كتبت إهداء لها ؟
- لا .
- لم ؟
- لم أفكر فى هذا الأمر .

أخرج (زكريا) قلما وأعطاه له وقال :

- اكتب إهداء رقيق ، أيها الشاعر الهمام .

انهمك (سمير) فى كتابة الإهداء ، وبعد أن انتهى ، أعاد تغليف الديوان .
فسأله (زكريا) :

- ماذا كتبت؟
- وماشأنك أنت .

ضحك (زكريا) قائلا :

- هل كل الشعراء خجلون هكذا .
- ألأنى لم أقرأ لك الإهداء ؟
- لاتغضب ، مع أنى صاحب اقتراح كتابة الإهداء .
- هل تخرجت الآنسة (نشوى) من كلية الطب ؟
- لاباقى على التخرج عدة أشهر .
- وهل والدها أنشأ المركز الطبى لها خصوصا ؟
- نعم هدية لها .
- أتذكر، حينما نجحت فى الليسانس ، أهدى لى والدى بذلة وزوج من الأحذية .
- على قدر أهل العزم تأتى العزائم...أليس هذا مايقوله (أبو العلاء) ؟
- (المتنبى) وليس (أبو العلاء) .
- ليس هناك فرق .
- لا هناك فرق .
- الفارق الوحيد أن هذا مبصر وذلك كفيف .
- كلاهام مبصر يا(زكريا)..فأبو العلاء رأى وأحس بما لم يره ويحس به المبصرون .
- هاقد وصلنا.

فيلا تكتنفها الأشجار من كل ناحية ، ونسيم المساء يحمل عبق زهور الياسمين النائمة على الأسوارالخشبية المحيطة بالفيلا فى دعة واسترخاء، السماء صافية والقمر مكتمل يرسل نوره الهادىء ، فيتألق كل شىء بالسحر والجمال ، نظرإليه (زكريا) وسأله :

- هل ستظل واقفا هكذا ؟

وحينما دخل ، أحس أنه دخل عالما ينطق بالثراء والذوق الرفيع فى كل مكان التحف ، لوحات وفازات ونباتات ، وقطع الأثاث ،....قادهما الخادم الى الصالون ، وبعد قليل حضر دكتور (إسماعيل) فى قمة أناقته واعتزازه بنفسه ، حياهما وجلس واضعا قدما فوق الأخرى وقال :

- أين الأستاذ المحامى ؟
- يعتذر لك ، لأنه مشغول بكتابة بعض مذكرات القضايا .
- كنا سنحتاجه لأخذ رأيه فى بعض الاستشارات القانونية .
- فى أى وقت سأتصل به ، وأحدد معه موعدا لمقابلتك .

وقدمت (نشوى) ترفل فى ثوب أسود ، وتحيط عنقها الأبيض الرقيق بوشاح أزرق تتقدمها سحابات من العطر الأخاذ ، وجلست بجوار والدها ، شعر أن جسده ساخن ، الليلة من بدايتها غير كل الليالى ، رقة وعزوبة ورشاقة وسحر وجمال أخاذ ، وبعد أن قالت ديباجة التحية ، نظرت إليه وإلى مابيده ، سألته :

- أظن أن هذا هو الديوان .

لم يحر جوابا ومضت فترة صمت ، فقال (زكريا) :

- (سمير) ألن تهدى الديوان للآنسة (نشوى) .

فأنتبه ، ونهض ، وقدمه لها ، فأخذت تفض الغلاف بأصابعها الرقيقة بكل عناية واهتمام ، قال الدكتور(اسماعيل) مخاطبا (زكريا) :

- هل أحضرت أسماء الأطباء ؟

فمد يده فى جيبه ، وأخرج ورقة ، وقال :

- نعم ، لقد وافق من اتصلت بهم من حيث المبدأ و...

فقاطعه قائلا وهو ينهض :

- تعال إلى حجرة المكتب ، لنتناقش فى الأمر .

والتفت إلى ابنته قائلا :

- ألن تحضرى معنا .
- لا ياأبى ، إنى أكره مناقشات العمل هذه .

وذهبا وبقى هو وهى ، نهضت وجلست بجواره وفتحت الديوان وقرأت الإهداء ونظرت إليه قائلة :

- شاكرة على هذا الإهداء الرقيق .

وأخذت تتصفح الديوان صفحة صفحة ، تقرأ عناوين القصائد ، قدم الخادم يحمل أكواب العصير ، فقالت له :

- هيا لنجلس فى الشرفة .

تناولت كوب العصير قائلة له :

- أتعرف أن تلك أول مرة اجلس فيها مع شاعر .

فقال بعد أن ارتشف رشفة من العصير:

- أنا لست شاعر بالمعنى المفهوم ، فلم أنشر إلا ديوان صغير ، ويعلم الله متى سينشر الديوان الثانى .

فقالت بسذاجة :

- أأنت كتبت غير هذا؟
- كثير.
- ولم لا تنشرهم ؟
- انتظر الوقت المناسب .
- هل هناك موانع ؟
- كثيرة .
- سأخبر والدى ، فمعارفه كثيرون .

مضت فترة صمت وهى تتأمله ، شعر بالحرج فسألها :

- هل أعجبك الديوان ؟

فقالت وهى تطوح بشعرها الأسود الناعم إلى الوراء :

- وأنا فى الدراسة الثانوية كنت لا أفهم الشعر ، وكانت القصائد فى غاية الصعوبة، فشكل هذا لى تحديا ، فأشتريت كتبا كثيرة فى الشعر، وأخذت اقرأ ، والقصيدة التى كنت لا أفهم معانيها أضع لها معانى وتفسيرات من عندى ، عند ذلك فقط ، كنت أفهم الشعر ، أو خيل لى أنى افهم الشعر .

فابتسم قائلا:

- هى طريقة فريدة لفهم الشعر، ولكن أبعد ذلك تفهميين أم تتجاوبين مع الشاعر ؟
- الغريب أنى أتجاوب معه .

مضت فترة صمت، أحس خلالها بوجودها الطاغى ، نظراتها ، حركاتها ، إيماءاتها، لفتاتها .

رفعت عينيها من على صفحات الكتاب وسألته :

- ولكن مع القصة والمسرحية ، لا أجد تلك الصعوبة ، أتدرى لم ؟
- ذلك لأن المسرح والقصة كليهما يفسران العالم أو ينقدانه ،أما الشاعر فيحاول أن يخلق عالمه و....

فقاطعته قائلة :

- ها قد بدأت تتحدث بتلك الكلمات التى يتحدث بها الشعراء ولا أفهمها ...أنا لا أفهم كيف يخلق عالما غير العالم الذى يعيش فيه ؟ أليس من الأفضل أن يحاول أن يصلح العالم .
- فى رأى الشعراء أن هذا العالم استعصى على الاصلاح ، فهو فاسد بالجملة .
- تلك نظرة متشائمة .
- هكذا الشعراء .

اسندت ذقنها على كفيها ، وقالت له بصوت عذب :

- وأين أنت من هؤلاء الشعراء ؟

نظر فى عينيها الناعمتين الدافئتين قائلا :

- أنا اختلف مع هؤلاء الشعراء ، ففى عالمنا هذا أشياء كثيرة جميلة ، تستحق أن تعاش .

فقالت بدلال ، وهى تتجنب النظر إليه :

- مثل ماذا؟

وهنا جاء الخادم ليعلمهما أن العشاء معد ، فنهضا .

(22)

- أين بابا يا ماما ؟
- لا أعرف .
- معقول يا ماما ، زوجة لا تعرف أين زوجها ؟!
- هذا حينما يكون زوجي ، وأكون زوجته .

اقتربت منها وسألتها :

- ماما .. ماذا تقصدين ؟

فقالت بعد طول تردد ، وقد تحشرج صوتها بعض الشىء :

- بابا يا (ولاء) طلب الانفصال عني .

اندهشت (ولاء) مما سمعته ، وقالت وكأنها لا تصدق سمعته :

- تنفصلا ... لم ؟

أنت لم تعدي صغيرة يا (ولاء) ... أتظنين لماذا يطلب الرجل الانفصال عن زوجته ؟

- من أجل أمرأه أخرى .
- الغريب أني حينما واجهته بذلك ، أنكر أن في حياته أي امرأه أخرى .
- معه حق يا ماما ، فهو خارج البلد طوال السنتين ، فمتى وأين تعرف عليها ؟

سادت فترة صمت ، قطعتها (ولاء) بقولها :

- لابد وأنه أخبرك عن سبب طلبه هذا .

حاولت ان تتهرب ولكنها لاحقتها قائلة :

- ماما ، أنا ابنتك أقرب الناس إليك .. وأنا لم أعد صغيرة ... صارحيني يا ماما، ماذا قال لك؟

فكرت قليلا ، ثم نهضت وأحاطتها بذراعيها ، وقالت:

- حينما تزوجت والدك كان فقيرا ، لم يكن لديه سوى مرتبه الضئيل ، نظمت له حياته بعد أن كانت فوضى ، وظللت وراءه ودفعته ، وتحملت مسؤلية كل شيء ، وحينما اغتنى ، ولم يعد في حاجه الىً .
- محال يا ماما .. بابا ليس بتلك الصورة التي تتحدثين عنها .
- أنا لم أفتح حسابا في البنك ، ولا يوجد لدى أى مال ، كل مالنا باسمه ، وفي حسابه في البنك حتى السيارة باسمه ، أي أنا وأنتم لا نملك شيئا بالمرة .
- لو خدعت في كل الناس ، فلن أخدع في والدي , بابا لم يترك البيت لأن في حياته امرأه أخرى ، ولم يترك البيت لأنه حصل على كل شيء ... بابا إن ترك البيت فالسبب انت تعرفينه ، وقد حذرتك من قبل بشأن هذاالأمر .

فقالت وهي تتجنب النظر إليها :

- أنا معك ، أني قد أسيء معاملته في بعض الأحيان ، وأني سلبته الكثير من حقوقه في إدارة البيت وفي تربيتكم ، ولكنه رضى بذلك منذ البداية ، ولم يرفض ، ولم يقاوم ، واذا كنت على خطأ في ذلك فلماذا لم يصححه طوال العشرين سنة ؟ لماذا الآن بالذات إلا اذا كان هناك مؤثر خارجي عليه ؟

مضت فتره صمت قطعتها (ولاء) بقولها :

- هل سيحضر بابا الى البيت ؟
- أكيد .
- كأنك متأكدة .
- نعم .
- إذن ، أنتما لم تنفصلا .
- الانفصال مؤجل .
- إلى متى ؟
- إلى أن يتأكد أنه يستطيع أن يعيش بدوني .
- وما رأيك؟

فقالت بتحد غريب:

- بابا سيعود إلى البيت .
- أأنت على يقين من ذلك ؟
- طبعا حياتي معه لن تضيع هباء ، ولن تكون نهايتها الانفصال .
- حتى لو كانت تلك رغبته .
- حتى لو كانت رغبته... رغباتنا شيء ، وواقع حياتنا شيء أخر .
- ثقة الإنسان بنفسه أحيانا تكون خيرا ، وأحيانا كثيرة تكون شرا .
- الثقة بالنفس طبع ، والخير والشر قدر ، ودائما بين الطبع والقدر صراع .
- لابد أن أتحدث معه .
- أرجو أن تتحدثي معه بنفس الموضوعية التي تتحدثين بها معي .

(23)

- هذا هو المبلغ الذي اتفقنا عليه ، ثمن الفدانين .

فقال وهو ينحي رزم المال جانبا :

- أول مرة تأتي إلي في المكتب .
- ورائي أشغال كثيرة يا (مصطفى).
- و(رشاد) لماذا لم يأت معك؟
- كان الله في عونه ، ليلا ونهارا في المزرعة ، ومعه الطبيب البيطري .
- لماذا؟
- مرض أصاب العجول .

أخذ الحاج (عبد المقصود) رشفات متعددة من فنجان القهوة ، ثم قال بعد تردد :

- على فكره يا (مصطفى) مسألة خطبة (رشاد) و (ريهام) الأفضل أن نصرف نظر عنها .

أراد (مصطفى) أن يتكلم فرفع (عبد المقصود) يده قائلا :
- يا (مصطفى) نحن أخوة ، والزواج قسمة ونصيب ، وكان واضحا أن (ريهام) لا تريد (رشاد) .
- أنا وأنت كنا نتمنى ، ولكن..
- و(رشاد) ؟
- (رشاد) كما تعرف ، منذ صغره وهو يريد ابنة عمه ، ولكن الرأى الأول والأخير (لريهام)

فقال (مصطفى) بتأثر:
- الظاهر أني أخطأت في تربية البنت .
- لا تقل هذا الكلام ، وهل معنى أنها لا تريد(رشاد) تقول أنك أخطأت في تربيتها .
- الأمر أكبر من هذا يا أخي ، البنت أصبحت لا تقتنع برأى أحد غير رأيها ، ودماغها صلب ، وعنيدة ومتمردة ، ولا تسمع كلامي ، ترتدي ما يروق لها، وتخرج وقت ما تريد و..

فقاطعه بغضب :
- ولماذا ترضى أنت بهذا ، نحن فلاحون ولا يعجبنا هذا الأمر .
- كلما أردت أن أقوم من أمرها تناصبني أمها العداء، وتنصرها ، وتقف بجوارها وتقول لا شأن لك بتربية البنات ،ولديك الصبيان .
- ومن قال أن الرجل يربي الصبيان والزوجة تربي البنات ، من الذي قسم تلك القسمة؟
- حب (كوثر) (لريهام) حب غير معقول يا حاج (عبد المقصود) لم أر أم تحب ابنتها بتلك الطريقة ، وكأنها لا ترى في العالم غيرها ، وطبعا البنت استغلت هذا الحب ...
- لتلك الدرجة !!
- أتصدق يا حاج أني كنت أريد أن أفاتحك في أن زواج (رشاد) من(ريهام) يجب أن لا تفكر فيه ، ولكني خشيت أن تأخذ الموضوع على مأخذ أخر .
- الزواج قسمة ونصيب .
- رشاد شاب ناجح وطموح ، وله مستقبل عظيم .
- (رشاد) في حاجة إلى زوجة ذات مواصفات خاصة .

صمت (مصطفى) قليلا مفكرا، ثم قال وكأنه تذكر شيئا :
- ما رأيك في بنت الأستاذ (عمر) ؟
- كماتعلم معرفتي به سطحية ، وكذلك (رشاد) لم يرها إلا مرة أو مرتين ، ولو سألته عنها قد لا يتذكرأنه رآها بالمرة .
- اترك لي هذا الموضوع سأجعل (كوثر) تفاتح (فاتن) فيه .

فنهض الحاج وهو يلملم عباءته قائلا :
- (رشاد) ابنك يا مصطفى ، ما تراه صوابا فلتفعله .

فنهض ممسكا به :
- إلى أين ؟ لابد أن نتناول الغداء معا .

فى وقت أخر ، فلدى أعمال كثيرة اليوم .

(24)

جلست مجموعة من الطالبات فى حديقة الجامعة فوق العشب الأخضر، تحت الأشجار الظليلة ، يراجعن بعض دروسهن ،غزالة الضحى هادئة، حانية فى صيف هذا اليوم ، نسيم هادىء يمر ويمس الوجوه المتطلعة حاملا عبق الأزهار المتفتحة ، شعرت بتناغم عذب بينهما وبين كل من حولها ، وأحبت أن تجلس ،

بحثت عن مكان ، فوجدت بعض الأيادى تشير لها ، زميلاتها ، فأتجهت نحوهن وجلست وأخذن يتحدثن ، وكانت(ولاء) تتحدث معهن بكل ود ومحبة وانطلاق حتى أن إحداهن قالت :
- ألا تلاحظن شيئا غريبا ؟

فسألتها إحداهن :
- ما هو؟
- أن (ولاء) تتحدث معنا وتضحك .

فقالت (ولاء) :
- وما الغريب فى هذا يا جماعة ؟
- الجميع يأخذ عنك فكرة.....
تذكرت (ولاء) كلام صديقتها (نجلاء) فقالت وهى تحاول أن تدافع عن نفسها :
- تلك فكرة غير صحيحة ، فأنى أحب أن أجلس معكن ، كل مافى الأمرأنى قليلة الكلام ورأيتكن تتجنبننى ، فأبتعد .
وأخذن يتحدثن فى أمور شتى ، وقالت إحداهن :
- هيا نشرب شيئا فى الكافتيريا .
فقالت (ولاء) :
- اسمحن لي أدعوكن على مشروب .
فرحبن الجميع بتلك الدعوة ، والتي اعتبرنها بداية طيبة لعلاقتهن،أخرجت (ولاء) من حقيبتهابعض قطع البسكويت ، وأخذت توزع على من يجلسن بجوارها :
- أهذا بمناسبة عيد ميلادك ،على كل مبروك ، وإن كان جاء متأخرا .
فاندهشت (ولاء) وسألتها :
- كيف عرفت ؟
فضحكت(حنان) قائلة :
- العصفورة .
- إنها عصفورة مجاملة ، من الذى أخبرك يا(حنان) ؟ ربما تكون (نجلاء) .
- المحل الذى اشترى والدك منه الهدية ، محل ماما .
- إنى آسفة لأني لم أدعك .
- لاداعى للإعتذاريا (ولاء)...المهم هل كشكول محضراتك كامل ؟
صمتت قليلا ثم قالت :
- تقريبا إلا محاضرات الدكتور (مختار) ، فأنا فى حاجة إلى نقلها .
- من حسن حظك أنى أكملت المحاضرات .
- نحن طوال العام نجمع المحاضرات ولا نذاكر إلا فى نهاية العام .
نظرت (حنان) فى ساعتها ثم قالت :
لقد حان موعد المحاضرة...هيا بنا ، وشكرا على الدعوة .

(25)

أعجبت (ولاء) بحسن تنظيم (حنان) للمحاضرات، وجمال خطها ، واستحضرت ما دار بينهما ، توقفت عن الكتابة ، وسألت نفسها :
- كيف تعرفت (حنان) على بابا ؟ ومن الذى أخبرها بعيد ميلادى؟ ربما تكون هناك صلة قرابة بين بابا وأم (حنان) ، وإذا كان هناك صلة فلم لا أعرفها ؟ هناك شىء غير مفهوم وهى فى تفكيرها ، وهنا سمعت صوت ضوضاء ، فخرجت من حجرتها فوجت والدها جالسا ومعه أخواتها ، سلمت عليه ، وجلست بعض الوقت ثم قالت :
- أريد أن أتحدث معك لو سمحت .
- تفضلى يا (ولاء) .
- على انفراد يا أبى .
ابتسم ، وتأمل تلك الملامح المحببة إلى فؤاده ،نهض واحتواها بين ذراعيه وذهب إلى حجرتها ، جلس إلى مكتبها ، وتصفح بعض الكتب ، وهى تغلق الباب بالمزلاج قال لها :
- لم أكن أعرف أن دراستك صعبة هكذا ، فالكتب كبيرة بشكل ملفت للنظر .
لم تكن (ولاء) منتبهة لما يقول ، وإنما كانت تفكر كيف تفتح الموضوع ، وكانت تتجنب النظر إليه ، وتسوى بعض محتويات الغرفة ، تركها تفعل ما تشاء وهو يراقبها ، أن حبه لها غير عادى ، ليس من بين أخواتها من يحتل مكانا مثلها في قلبه ، لدرجة أن تمنى أن تكون أمها على طبعها و تفكيرها . دائما تقف فى صفه و تخاصم أمها من أجله ، و تصوب من رأيه و تعضد من موقفه

، إنه لا يعاملها أو يفكر فيها كابنة ، ولكن كصديقة ، و كثيرة تلك الليالى التى كان يجلس فيها يفضى عما يهمه و يكربه ، حتى وهى ما تزال صغيرة ، غير مدركة ما يقوله ، أو ما يشكو منه ، يحاول أن يكون بسيطا مباشرا معها ، ربما هذا حطم صورة كبرياء و شموخ الأ ب بالنسبة له ، و لكنه أكسبه صديقا يستطيع أن يكون أمامها كما خلقه الله ، فى ظروف كان فى مسيس الحاجة إلى صديق من جلده ومن دمه ، شيئا فشيئا تطبعت بطبعه وأخذت تفكر كما يفكر، الا انها تختلف عنه فى شىء واحد هو التمرد ، متمردة عن كل من حولها ، ولكن فى حب و عطف ، ملامحها كما قال

الكثيرون تشبه الى حد ما ملا محه ، لم تأخذ من أمها سوى هذا الجسم البديع و شيئا من حدة الطبع وأن أصبحت الآن كتابا مغلقا ، لا يدرى شيئا بعد عن محتوياته بعدما غاب هنا هاتين السنتين ، سألها :

- خير يا (ولاء) ؟

قالت وهى تعصرأصابعها فى توتربعد أن جلست على فراشها :

- أين كنت طوال الأيام الماضية ؟

أحس أنها تعلم كل شىء عما دار بينه وبين أمها ، فتلك هى عادتها حينما يحصل خلاف تحاول أن تكسب (ولاء) إلى صفها لتمثل ضغطا عليه ، أرد أن يكون مع ابنته كما عودها ، بسيطا مباشرا ، فقال لها :

- والدتك أخبرتك عما دار بيننا ؟
- لقد سهلت علىَّ الكثير من الحرج يا أبى .
- سوف أرفع الحرج أكثر وأكثر يا (ولاء) .

وقف مستندا بيده على المكتب قائلا :

- أنا لم أعد أطيق الحياة مع ماما .
- و معنا ؟
- لا أستطيع الابتعاد عنكم .
- ألا ترى أنها معادلة صعبة التنفيذ ؟
- وهذا ما جعلنى هنا .
- أبى ... أهناك امرأه أخرى ؟
- الآن ... لا .
- إذن احتمال و جودها واردُ ؟
- محتمل ، وإن كان مستبعدا .. فأنت تعلمين طلبى بالانفصال ليس سببه وجود امرأة .
- أعرف هذا وأدركه ... ولكن الشىء الذى لا أفهمه هو عدم تفكيرك بالانفصال الا بعد أن أمضيت سنتين بعيدا عنا .
- تقصدين لماذا لم أنفذ ما فكرت فيه إلا بعد ...

فقاطعته قائلة :

- فليكن يا بابا .

صمت قليلا ، وسار بضع خطوات فى أرجاء الحجرة ، ثم التفت إليها قائلا :

- ربما استجمعت شتات نفسى خلال تلك المدة ، فكرت طويلا ، ووصلت إلى قرار بعد ذلك فقط شعرت أن حياتى أصبحت لها معنى .
- وهل حياتك لم يكن لها معنى ؟
- أنا لا أقصد...فأنت وأخوتك أكبر معنى لها ، ولكنى أقصد حياتى ... أحلامى تطلعاتى ذاتي كإنسان ، أنت تعلمين كل شىء يا (ولاء) .
- ألا ترى أن هذا سيؤثرعلينا تأثيرا سيئا و .....

فقاطعها قائلا :

- لا تكملى يا و(ولاء) ، أعرف ما ستقولينه...الانفصال لوتم لن يؤثرعليك أنت وأخوتك لأنكم تعودتم على عدم وجودى والدليل السنتين ، حتى قبل السنتين ، فأمك قادرة على تحمل مسئولية كل شىء ، وأنا لن أبتعد عنكم ، بل قد تشعرون بوجودى عن ذى قبل وأنا كذلك أشعر بكيانى معكم .
- هناك شيء أخجل فى التحدث فية معك يا أبى .

- أعرفه ، وأكيد ماما تطرقت فى الحديث عنه معك .

أخرج من جيبه مجموعة أوراق ، وسلمها لها قائلا :

- هذه أرقام بحساب كل أخ من أخوتك ، وأنت ، والمبلغ الموضوع باسمه فى حسابه وكذلك حساب ماما .....كنت أعلم أن خيال ماما سيتطرق إلى تلك النقطة .

تقدم منها ، وأمسك يدها قائلا :

- أتعرفين سر مأساة والدك يا (ولاء) ؟ إن المال مهما كثر لا يعوضه عن أى شىء فقده ، لو كنت مثل الكثيرين لعددت نفسى ناجحا فى حياتى ، وعشت فى غاية السعادة ، فالناس يريدون أن يترجموا الحياة إلى مال ، أما أنا فأريد أن أترجم المال الى حياة ، بل الحياة الى حياة .

صمت قليلا ، ثم قال :

- تلك الأوراق أعطيها لوالدتك .. ربما فى يوم تفهم ما عجزت عن فهمه ، وإن كنت أشك فى هذا .

أسرعت و تعلقت بزراعه و سألته :

- هناك شىء أخر، أود أن أسألك عنه .
- تفضلى .
- صاحبة المحل الذى اشتريت منه هدية عيد ميلادى .. أتعرفها ؟
- لا , أول مرة أراها ليلة عيد ميلادك ... كل ما في الأمر أننا تحدثنا سويا وأخبرتها عنك وعن دراستك ، لتساعدني في اختيار هدية , فأخبرتني أن لها ابنة في الجامعة معك ، وقمت بتوصيلها .
- أهي جميلة ؟
- ليست أجمل منك يا (ولاء) .

سألها :

- ولكن من الذي أخبرك ؟
- (حنان) ابنتها ، وزميلتي في الجامعة , ودفتر محاضراتها معي أنقل منه بعض المحاضرات .
- صديقتك ؟
- لم تتوثق معرفتي بها إلا قريبا .
- أهي جميلة (حنان) تلك ؟
- ليست أجمل مني .

ضحك طويلا ، ثم هم بلانصراف ، فجذبته من ذراعه قائلة :

- أبي لا تغب طويلا ... أو أخبرني أين تقيم كي أقوم بزيارتك .
- لا أستطيع الابتعاد عنكم طويلا .

أحتضنته وقبلته ، وزرفت دمعة وقالت :

- أحبك بجنون يا أبي , وأوافقك على كل ما تفعله , حتي لو كان أخر شيء يتصوره عقلي .
- أبتسم لها وهو يمسح بأصابعه دمعتها وقبلها وأنصرف .

(26)

وضع عم (هلل) أكواب الشاي ، وقبل أن ينصرف ، قال له (سمير) :

- هات لي شطيرة كي أسد بها جوعي .

فسأله (إيهاب) :

- غريب ! ألم تأكل في بيتك .
- لم أعد أستطع أن آكل أو أنام أو أقرأ أوأكتب .

فضحك (إيهاب) وهو يرتشف من كوب الشاي قائلا :

- كل هذا لمجرد أنك جلست ساعة أو ساعتين معها ... نعم هي جميلة ، ولكن لم أعرف أن لها كل هذا التأثير .
- ربما يكون العيب عندي أنا .. إني عرضة للتأثر, ولكني قابلت بنات كثيرات ونساء ولم أتأثر بأحد مثلما تأثرت (بنشوى) .
- كلامك يدل على هذا ، فمنذ ساعة وأنت لم تتوقف عن الحديث عنها ، وعن أوصافها .... المهم ألم تتفقا أن تتصلا ببعضكما ؟

أحضر عم (هلل) الشطيرة ، فأخذها (سمير) وأخذ يأكل ، ثم قال بأسف :

- أتدري يا (إيهاب) أن قلب الإنسان هذا عاشق للمستحيل , نحب أن نعذب أنفسنا مثل الفراش الذي يعشق النار ، يهوي إليها وهو يعلم أنه سيحترق فيها .
- ماذا تقصد بقولك هذا ؟
- أقصد أني لو رأيت (نشوى) في ظرف غير الظروف وفي إطار غير الإطار المحاط بها ربما لا أعيرها أدنى اهتمام .
- تقصد ثراء والدها ؟
- ربما .
- لا أوافقك على هذا ، لأنك لو رأيت (نشوى) تبيع بطاطا أو أذرة مشوى على الكورنيش ، كنت ستحبها .
- ولكني على الأقل قد أقاوم هذا الحب .
- نحن نقاوم الحب في الحالتين , وأكيد أنك قاومت ما تسميه حبا (لنشوى) , بأفكارك على الأقل ، بسبب أنك من عالم وهي من عالم أخر، فقد ترفض حبك أو قد يرفض والدها أو المجتمع , وإذا كانت تبيع بطاطا أو أذرة مشوى قد يرفض عقلك حبك لها أو لا توافق عليها عائلتك أو المجتمع ، لذلك تجد أن ما من حب ينشأ في قلب إلا وتجد هناك مقاومة له من أكثر من جهة , وهذا راجع أن للحب رسالة إنه يريد أن يزيل التناقض بين البشر , يريد أن يجعلهم لحمة واحدة هو سداها , كما تعرف أن من سنن الحياة هذا التناقض ، فمحال أن تزال , فدائما رسالة الحب في قلوبنا تعطل وتعرقل بل يقضي على الحب من أساسه .
- لا التناقض ليس من سنن الحياة ولكن نحن الذين خلقناه , غرورنا تكبرنا حقدنا كرهنا هو الذي أوجد هذا التناقض , في الإمكان أن يعيش العالم كله أسرة واحدة , ولكن دائما تجد الحروب التي تفتك بالشعوب والمجاعات والأمراض والحرمان , لو بحثت عن أكبر وأضخم مصانع تقيمها البشرية ستجدها مصانع السلاح ... إني أجلس مفكرا سائلا نفسي :
- ماذا لو جمعنا جميع الأموال التي أنفقتها البشرية في صنع أسلحة الدمار وأنفقتها بدلا من ذلك في المزارع والمدراس والجامعات والمصانع واستصلاح الصحراء ... ماذا تظن تكون حياة الإنسان ؟

ضحك (إيهاب) طويلا ، وربت على كتف (سمير) وقال له :

- كل واشرب شايك تجده الآن قد برد .... أول مرة أرى شاعرا، يحلم وسط هذا الجو !!

نظر (سمير) إلى الجالسين حوله ، وكل منهم منهمك في تدخين النرجيلة أو اللعب أو التحدث بقشوركلام وقال :

- إنه أنسب مكان يحلم فيه الإنسان ؛ لأن كل هؤلاء ضحايا المنطق الأعوج الذي يقود الإنسانية لكي تسير على حطامها .
- كنت أظن أن الشاعر هو الذي ينظم الكلام ويستخرج من الكلمات أعذب أنواع الموسيقي
- والآن ؟
- الآن فقد اكتشفت ، أن الشاعر هو من يستطيع أن يحلم ليس لنفسه وإنما للإنسان بصفة عامة .
- وماذا ينفعه ، إذا كانوا لا يعيرون حلمه هذا أدني اهتمام .
- من واجبه أن ينبهم إنهم عاجزون عن الحلم ، وأنه يقدم لهم ماهم عاجزون عنه .

فضحك (سمير) طويلا وهو يستعين بحركاته لتساعده في التعبير عما يريد قوله :

- سأحضر خيرزانة مثل التي يمسكها مدير المدرسة ، وأسوق الناس أمامي وأقول ها هو حلمي يا بني آدم ، خذوه حققوه , فقد فعلت ما عجزتم أنتم عن فعله , لقد حلمت , لقد حلمت .

فنظر إليه مندهشا قائلا :

- وما العجب في هذا ؟ أليس هذا ما يفعله الشعراء والكتاب , إلا إنكم تستبدلون طول الإلحاح والإصرار بالخيزرانة .
- دعنا من هذا الحديث .... ولنتحدث عن أخر المستجدات في موضوعك .

فقال (إيهاب) بأسف :

- الطريق مضبب يا (سمير) .
- كيف ؟
- تقدم لها ابن عمها , غني ولديه مزرعة عجول وأخري للدجاج وسيارة .

- وهل وافقت (ريهام)؟
- رفضت طبعا , ولكن بعد ذلك أصبحت الكرة في ملعبي .
- كيف ؟
- المفروض أن أتقدم لخطبتها .
- هل طلبت منك ذلك ؟
- ما من مرة نتقابل إلا وتلح على في ذلك .
- ولم لا تتقدم لخطبتها ؟
- أجننت يا (سمير) .
- لم ؟
- وماذا سأقول لوالدها ... ليس معي شبكة ، ولا مهر، وشقتي التي تحايل والدي كي يأتي لي بها لا تليق بها ، إني أشعر الآن أني مجرد مشروع إنسان , أمامه وقت طويل كي يتم تنفيذ هذا المشروع .
- وما العمل ؟
- معك حق، حينما قلت منذ قليل ، أن قلب الإنسان عاشق المستحيل ... نحن مغرمون بتعذيب أنفسنا .
- أبدا يا (إيهاب) هناك أزمنة يكون الشيء الممكن مستحيلا , أزمنة يكون مكتوب فيها على الإنسان أن يعيش بلا أمل ، يجد الإنسان نفسه محاطا بأسوار عالية لا يستطيع تسلقها .... أتعرف يا (إيهاب) ما هو سر مأساة الإنسان ؟
- ما هو يا شاعرنا الهمام ؟
- إن جذوة الأمل لا تنطفيء أبدا في قلبه , فالأمل قدر مقدور عليه .
- وهل لحياتنا معنى فعلا ؟
- حتي ولو لم يكن لها معنى، فنحن نجعل لها معني .
- بم ؟

فنظر (سمير) حوله ضاحكا قائلا :

- بالشاي والقهوة والدخان والشطرنج وبعم (هلل) .

وصفق على يديه متأهبا للا نصراف قائلا :

- ياعم (هلل) تعال خذ حسابك .... هيا يا (إيهاب) نسير بعض الوقت ونخرج من هذا الجو .

(27)

حاولت أكثر من مرة أن تبعده عن تفكيرها , وكانت تلك المحاولات تثير عجبها وخوفها في نفس الوقت ، لماذا يشكو لها ؟ ويفتح لها قلبه ؟ وكأن هناك صلة وثيقة بينهما , ولم هي بصفة خاصة ؟!

تشعر أنه أصبح قريبا منها من خلال تقديرها لما يعانيه , لقد اقتحم عليها سكونها ورتابة حياتها ، تلك المشاعروالأحاسيس فارقتها منذ زمن بعيد, مشاعر حادة ، ولكنها تجعل للحظات طعما ومعنى ، وتجعل الدماء تتدفق حارة في العروق، بعد أن كانت بركة أسنة يطفو على سطحها الملل والسأم .... تخجل من نفسها وتلومها تحاول أن تلم شتاتها ، إذا كانت تلك المشاعر تعبث بها وهي في تلك السن ، فماذا تفعل بناتها ؟ أحست بإحمرار وسخونة وجنتيها ، حينما تذكر بناتها ، ينبغي أن تضع حدا لهذا، نعم سيأتي ليأخذ الأشياء التي اشترتها له , ينبغي ألا تطيل التحدث معه ، وتكون متجهمة وعابسة وحازمة أيضا ... ولكنه لم يفعل ولم يقل شيئا يستوجب عليه هذا ، وربما لا يكون في رأسه أشياء من تلك التي تدور برأسها .

لم تنتبه أنه دخل من الباب واقفا أمامها ، وأبتسامة هادئة تلوح على شفتيه، يمد لها يده,اضطربت بعض الشيء,رحبت به ، جلس , مضت فترة صمت, كان يصغي لصوت موسيقي هادئة ينساب في المكان ، فيضفي عليه تناغم آسر , قال :

- منذ زمن بعيد ، لم أسمع موسيقي بهذا الجمال .

حاولت ألا تعطي له فرصة ، كي يسترسل في الحديث ، فقالت له وهي تنهض لتحضر له الأشياء التي طلبها ثم عادت ، ووضعتهم على المكتب قائلة :
- ها هي الأشياء التي طلبتها .
شعر أن الوجه غير الوجه , وأنها تتجنب النظر إليه , وتشاغلت عنه بترتيب عدد من اللوحات والمزهريات ، وحاولت أن تكون في أقصي المكان .. قال لها :
- بالنسبة لثمن القماش والألوان..
فتقدمت نحو المكتب وأخرجت منه ورقة ، وأعطتها له ، وعادت إلى عملها , لم ينظر إلى ما في الورقة وأخرج مبلغا من المال ووضعه ، على المكتب فوق الورقة، ما تلك المعاملة الغريبة , إنها تتجنب التحث معه , إنها تتعمد أن تتجاهله ... هل حدث منه شيء , ثم أدرك أنه يطالب ما ليس بحقه , أن يجلس معها ويتحدث ، وتتكرر زيارته ويشكو لها همومه ، وليس بينهما أي علاقة تستوجب ذلك , لابد أنها ظنت به ظنا ما , شعر بالأسف والحزن , عليه أن يبدد هذا الظن ويخرج ولا يعود إلى هنا ، نهض وحمل الأشياء وتقدم منها وقال بعد تردد :
- إني أعلم أني أثقلت عليك بالتحد ث في همومي ومشاكلي ، وأقحمتك في ذلك , وقد سألت نفسي كثيرا لماذا تحدثت معك ف كل هذا ؟ أعذريني كنت في حاجة إلى من أتحدث إليه ... أي إنسان أشعر أنه على استعداد أن يسمع , المصادفة وحدها هي التي ساقتني إليك , اعتبريه غباء أو سوء تقدير متي أن أزيل التكليف بيني وبين غيري وأتوهم أن ليس هناك حواجز أو مسافات بين الناس ... اعتذر مرة أخرى .

وقبل أن يخرج من الباب ، وجدت نفسها تناديه :
- أستاذ عمر .
التفت إليها , تقدمت نحوه بعض خطوات :
- اعتذر أني جعلتك تأخذ هذا الانطباع ولكن ...
فقاطعها قائلا :
- لا داعي للاعتذار ، فإني أعرف حرج موقفك .
فقالت وهي تعصر أصابع يدها :
- تأكد أني سأكون سعيدة بزيارتك ، ومجيئك هنا لا يشكل لي أي حرج .
مع أنه يعلم أنها قالت ذلك كي تمحو الأثر السيء والجاف لمقابلته ، إلا أنه شعر بالراحة لكلامها سألته :
- ماذا ستفعل الآن ؟
- سأبدأ بالعمل فورا .
- وأنا منتظرة أول لوحاتك كي أعرضها لك هنا .
نظر إلى وجهها الدقيق والرقيق الملامح ، وشعر أنه يشع نورا وصفاء في نفسه , أوما إليها ، ثم انصرف .

(28)

- أنت لم تضيع وقتك ، وحققت ما تريده ، شقة ومرسم , وبدأت ترسم أول لوحاتك بعد طول انقطاع ولكن لماذا في هذا الحي بصفة خاصة ؟
- كما تعلم ، الحي الذي عشت فيه أيام طفولتي وشبابي .
- وهل هذا شيء ضروري ؟
- أشعر أن هناك تواصل بيني وبين المكان ، وأنه يمنحني أسراره من خلال هذا التناغم الدافيء بين كل جزئياته .
اقترب (كمال) من اللوحة التي أوشك (عمر) على إكمالها , وتأملها طويلا ثم قال :
- استطعت أن تنقل هذا , فأنا أشعر أن هناك فرحة غامرة للمكان , الألوان مشرقة وضاءة ، ومساحات الضوء كبيرة في اللوحة ... الموضوعات المفضلة لديك ، الأحياء الشعبية , أنت لم تتغير كثيرا يا (عمر) , ولكن ماذا ستسمي اللوحة ؟

- العودة .
- إذن ، انشط لنقيم لك معرضك الأول ، فأنا أرى أنك بدأت بداية عظيمة .
- تقصد عدت .

فضحك (كمال) قائلا :

- فليكن عودا على بدء .
- سوف أعد لك القهوة .

قال (كمال) وهو يتأمل ما حوله ،وهو يشرب القهوة :

- هذا الطراز القديم من الشقق يعجبني جدا ، الغرف واسعة والجدران عالية والنوافذ واسعة تسمح بدخول أكبر كمية من الضوء ، ولكن هناك شيئا ينقصها .

نظر (عمر) حوله مفكرا ثم سأله :

- ماذا ينقصها ؟
- زوجة .
- لقد أخبرتك من قبل أن كل ما أفعله هو محاولة للبحث عن نفسي الضائعة
- ربما الزواج يساعدك في هذا .
- ونحن في طريق البحث عن شيء ، نكتشف أشياء أخري كنا نجهلها , والمصادفة تلعب دورا كبيرا هنا ومسألة الحب أو الزواج لا أنفيها، كما أني لا أثبتها .
- أخشي أن في بحثك هذا تضل عن معالم طريق معروف لديك , بحيث يتعذر عليك الرجوع إليه .

اقترب منه (عمر) وقال له :

- صدقني يا (كمال) ، فى الأيام القلائل الماضية شعرت بما لم أشعر به من سنوات , أتعرف معنى أن يمتلك الإنسان وجوده بيده , شعرت أني عدت إلى ذاتي ، رجعت إلى جلدي الجديد ، بعد أن كنت مسلوخا عنه ، لم لا تريد أن تؤيدني في كل ما أفعله ؟
- أحيانا لا نملك تشكيل حياتنا , نجد أنها تشكلت بفعل الظروف التي حولنا بفعل الأخرين , بفعل أشياء قد نجهلها , نشعر بالألم والحزن ، ونقاوم ونعترض ونحاول أن نعيد تشكيل حياتنا وفق ما نهواه ، ولكن دائما يكون الواقع أكبر منا .

نظر اليه طويلا ثم قال :

- ما هذا الذي أسمعه منك ؟ كنت أنتظر منك أن تساعدني ، فإذا بي أراك تريد أن تثنيني عما أريد ، أأنت معي أم ضدي ؟!
- أنا معك ضدك , أنت تهدم عالمك يا (عمر) .
- أخبرني .. من الذي يستطيع أن يبني بدون أن يهدم , ولا تذكر زوجتي وأبنائي مرة أخرى , لقد أضعت من عمري عشرين عاما من أجلم ألا يكفيهم هذا ؟
- العشرين عاما تمنعك من أن تغير شيئا .
- إني أتحداك يا (كمال) وأتحدى العالم كله .... سأعيد تشكيل حياتي كما أريد , كما كنت أتمني قبل عشرين سنة , عندي القوة والإرادة , ومن يقف في طريقي ويمنعني سأحطمه سأحطمه ....

وأخذ يحطم كل ما يقع تحت يده من محتويات الشقة ، حتي نال منه التعب فجثا على ركبتيه والعرق يتصبب من جبينه .كان يقف في الشرفة يراقبه بدون أن يحرك ساكنا , أخرج علبة التبغ وأشعل لفافة , ومضت لحظات ثم اتجه نحوه ومد يده إليه وانهض (عمر) ، ونظر كل منهما إلى الأخر وتعانقا , وأخذ جسد (عمر) يهتز وهو يبكي ثم أبعده عنه وقال :

- أظن أن عندك الإصرار لتفعل ما تريد , وأنا معك بكل صداقتي وإخلاصي , وحاول أن تجد ما تبحث عنه .

جفف دموعه ، وهو يشعر بالخجل ، ثم قال وهو يشد على يد (كمال) :

- كنت أعلم إن العالم كله لو تخلي عني فلن تتخلي أنت عني .
- متي سأعلن عن افتتاح أول معرض لك ؟

ابتسم له ، وعاود الأطر الخشبية التي حطمها إلى مكانها وقال له :

- قريبا إن شاء الله .
- شدً على يده ، ثم تركه وانصرف .

(29)

تأملها وهي في ثوبها الرياضي الأبيض ، تخطر كغزال رشيق عذب الملامح , تطوح بمضرب التنس يمينا ويسارا، تعقص شعرها الأسود الناعم بعصابة زرقاء , ابتسمت له وصافحته وجلست أمامه :

- أهلا بالأستاذ (سمير) ، حينما لم أجدك اتصلت بي ، قلت أتصل أنا .
- حينما سمعت صوتك لم أصدق أذني .

ضحكت ، وطوحت بشعرها إلى الوراء وقالت :

- ماذا كان بك حينما اتصلت بك .. أقول لك أني(نشوى) , تسألني (نشوى) من ؟ أقول لك (نشوى) ، تقول أنا لا أعرف أحدا بهذا الاسم ؟ حالما نسيتني !!

ابتسم في خجل ، وقال معتذرا :

- معذرة ... فكل ما في الأمر أني لم أكن متوقعا أن تتصلي بي بالمرة .
- أم لم نكن على البال يا أستاذ (سمير) .

لو تعلم مدي التأثير الذي أثرت به على حياته , فلم تمض دقيقة منذ أن جلسا معا في تلك الليلة بدون أن يفكر فيها , وحياته قلبت رأسا على عقب ، انحنت برأسها على كتفها ... نضارة فريدة , بريق عينيها كسهام تنفذ في القلب بدون أن تشعر بألمها , جمال طلق بلا قيود أو حدود .

تعجبت من نظراته تلك، وسألته وهي تضحك :

- أتلك عادة الشعراء ، يدققون النظر إلى من يتحدثون إليهم ؟

فقال بدون سابق تفكير :

- حينما يجلس الإنسان، إلى شخص بتلك الرقة والجمال ، يضن بكل لحظة تمر بدون أن يتملي هذا الجمال .

احمرت وجنتيها ، وغضت بصرها ، وقالت بصوت ناعم :

- شاكرة على هذا الإطراء الرقيق .

جاء العامل ، يحمل كوبا من العصير ، ووضعه أمامها فقالت :

- ما تشرب ؟
- فنجان قهوة .

فأشارت للعامل بإحضار القهوة , مضت فترة صمت ارتشفت خلالها قليلا من العصير ، ثم قالت وكأنها تذكرت شيئا وهي تمد يدها إلى حقيبتها :

- كدت أنسى , ها هو كارت لصاحب دار نشر كبيرة في القاهرة تربطة وأبي علاقة وثيقة , اعرض عليه بعض أعمالك ، إن شاء الله ينشر لك .

تناول من يدها الكارت وقال :

- أنا شاكر اهتمامك هذا يا آنسة (نشوى) .
- إني أتعجب ..... بعدما قرأت الديوان ، كيف لا تلاحقك دور النشر .

ابتسم (سمير) وقال :

- هل أعجبتك قصائده ؟
- جدا ولكن من تلك التى أشعر بوجودها في كل قصائدك , أهي موجودة في حياتك ؟
- ليس بالضرورة تكون موجودة في الواقع , ربما تكون موجودة في الخيال فقط .
- وهل يحب الإنسان شيئا خياليا ؟
- أغلب الشعراء والفنانين يكوّنون نموذجا بخيالهم، يحبونه ويعيشون على مدد من جماله ويظلون يبحثون عنه .
- وإذا لم يجدها فى الحقيقة ؟
- يرفض الواقع ، ويظل يعيش مع حبه في الخيال , ولكن مع العذاب والمعاناة .
- من أجل هذا أغلب القصائد لا أفهمها , فأنتم معشر الشعراء أمركم غريب .... ولكن أخبرني هل الأنموذج الذي أحببته وجدته في الواقع ، أم ما يزال سا بحا في الخيال ؟

صمت قليلا ، ثم قال وقد شعر بجفاف حلقه :

- أجمل شيء في الوجود ، أن تشهدي حالة ولادة من الخيال إلى الواقع ، وتجلسي أمام الذي عشت معه في الخيال سنوات ، لتجديه مجسدا في الواقع أمامك .

نظرت في ساعتها ، وأخذت حقيبتها والمضرب ، ونهضت وهي تقول :

- لقد تأخرت ، أمعك سيارة ؟
- لا .
- إذن ، انتظر ريثما أغير ملابسي ، وأقوم بتوصيلك .
- لا داعي لأن أزعجك .
- لا إزعاج .

(30)

نظرت كل من (حنان) و (شوق) إلى (جالا) وتعجبا , قالت (حنان) :

- متي اشتريت تلك الجيبة ؟

وسألتها (شوق) :

- وتلك البلوزة إنها تشبه بلوزتي , وتلك الجيبة تشبه جيبة (حنان) .

قالت (جالا) وهي تسوي من خصلات شعرها أمام المرأة وهي تضحك :

- لا شيء جديد ، الجيبة جيبة (حنان) والبلوزة بلوزتك .

فقالت (شوق) تلومها :

- ملابسنا أصبحت ملكا مشاعا لك يا (جالا) .

فقالت بترفع :

- أنتما تحصلان على شرف ، لتواضعي واستعارتي من ملابسكما ، فيحق لكما أن تفخرا أن (جالا) هانم تنازلت وأرتدت من دولابكما .

فتقدمت منها (شوق) تريد أن تخلع عنها بلوزتها قائلة :

- أنا لست فى حاجه لهذا الشرف , وإنما في حاجة إلى أن تعيدي لي بلوزتي , أنا لم أرتديها سوي مرتين منذ أن اشتريتها .

فهربت منها وراء (حنان) وقالت :

- ابعديها عني يا (حنان) وإلا سأضربها .
- طالما ستضربينها لم تهربي منها ؟
- خوفا على ملابسي أن تتكرمش .

فقالت (حنان) :

- أتركيها هذه المرة يا (شوق) .
- كيف يا (حنان) ؟ هي لا تترك لنا شيئا نلبسه ؟ ثم أن لديها الكثير، بل إن ملابسها أكثر من ملابسنا نحن الاثنين .
- أيرضيكما أن يراني الدكتور (ماهر) في ثوب واحد على يومين متتالين ؟

فقالت لها (شوق) وهي تشير إلى رأسها :

- يا بنتي الدكتور (ماهر) لا يلتفت إليك أو إلى أمثالك .

فتقدمت منها (جالا) وحضنتها وقالت لها :

- يا بنتي يا حبيبتي ، الصب تفضحه عيونه ,هو لايترك أي فرصة تسنح كي يكلمني ويسألني عن أحوالي والمحاضرات وغيره .. فما سبب ذلك ؟
- ألا يفعل ذلك مع أغلب الطالبات ؟ فهو كما أخبرتني مجامل لدرجة كبيرة , فأنت تتعلقين بحبال أمل بالية .
- أفضل من أن أتعلق بحبال أمل فقيرة ومتواضعة , معها أشعر أني سائرة على الأرض بل تحت الأرض .
- ماذا تقصدين ؟

فضحكت وقالت :

- أقصد زميلك في الكلية (سالم) هذا , وحالته التي لا ترضي عدوا ولا حبيبا .

- أولا (سالم) ليس فقيرا فهو غني بأخلاقه وطموحاته وكفاحه و .....
- فقاطعتها قائلة :
- ولم نلوم بعض ؟ كل منا حرة في اختيارها , أنا رغبت أن أتعلق في السماء وأسير بين النجوم وأنت اخترت أن تسيري على الأرض .
- أخاف عليك أن تسقطي من بين النجوم وتتكسر رقبتك .
- يا حبيبتي هذا الزمن الذي نعيش فيه ينبغي للإنسان أن تكون طموحاته وأحلامه كبيرة , وإذا كان الدكتور (ماهر) غني ومن عائلة كبيرة ، فنحن أيضا من عائلة كبيرة , بل من أكبر عائلات الأسكندرية.
- تقصدين من الفرع الفقير .

فقالت (شوق) :

- حتي هذا الفرع الفقير، تبرأ منا منذ أن رفضت ماما عرض عمي بالزواج منها، بعد أن توفي والدي .
- فقالت (جالا) :
- الشيء الغريب أن عائلة بابا إذا واحد منهم خاضم إنسانا فالكل يخاصمونه , عمي غضب على أمي لأنها رفضت الزواج منه , لم بقية عائلة بابا تخاصمنا وتقاطعنا ؟!

فتساءلت (حنان) :

- ولكن لم رفضت ماما الزواج من عمي ؟

فقالت (شوق) :

- ربما لتتفرغ لتربيتنا .
- وهل زواجها من عمي كان سيمنعها ؟

فقالت (شوق) :

- ربما ، أولأنه لم يكن مناسبا لها .

فقالت (جالا) :

- على هذا لو كان تقدم لها رجل مناسب لوافقت عليه .

فقالت (حنان) :

- ولم لا ، ماما ما تزال صغيرة وجميلة ... وكل من يراها يظن أنها أختنا الرابعة .

فقالت (شوق) بعد فترة صمت :

- ألم تلاحظا شيئا غريبا على ماما في الأيام الأخيرة ؟

فقالت (جالا) :

- أنا لا حظت ، أنها مهتمه بملابسها ومكياجها في الأيام الأخيرة .

فقالت (حنان) :

- ماما طوال عمرها مهتمه بكل هذا .

فقالت (شوق) :

- هذه الأيام اهتمامها زائد , وتقف أمام المرأة كثيرا , وإذا دخلت عليها حجرتها أجدها شاردة وتسمع أغاني كثيرة هذه الأيام .

فقالت (جالا) :

- ربما تكون ماما مريضة .

فقالت (شوق) :

- ربما .. وأنا أعرف أعراض هذا المرض الخطير .

فقالت (حنان) :

- عيب أن تتحدثي عن ماما بتلك الطريقة يا (شوق) .
- أنا أتحدث عن أعراض ولم أشخص المرض بعد .

وقالت ،وهي تمشط شعرها ثم تتوقف وكأنها تحدث نفسها :

- أمعقول ماما تحب وفي مثل هذا السن ؟!!

فقالت (جالا) :

- وهل للحب سن معينة ... ثم هي صغيرة وما تزال جميلة .

فقالت (حنان) وقد زاد غضبها :

- قلت لكما لا تتحدثا عن ماما بتلك الطريقة، وإلا والله أخبرها بكل حديثكما هذا .

فاستدارت (جالا) لها :

- أهي أمك وليست أمنا يا (حنان) ؟!
- ليست تلك طريقة مؤدبة للحديث عن ماما .
- تقصدين أنني غير مؤدبة .
- نعم أنت غير مؤدبة، أن تتحدثي عن ماما بتلك الطريقة .

فتقدمت منها (جالا) وصفعتها على وجهها قائلة .

- أنا أختك الكبرى ، ولابد أن تتحدثي معي بطريقة أفضل .

وأسرعت (شوق) بالتدخل بين الأختين وحالت بينهما قائلة :

- ما هذا الذي فعلتينه يا (جالا) أتضربين أختك ؟!

مضت فترة صمت تقدمت (جالا) من (حنان) وقالت بعد تردد :

- أنا آسفة يا (حنان) .

إلا أن تلك لم ترد عليها، وأسرعت بمغادرة الحجرة وهي تبكي .

جلست (جالا) على طرف الفراش قليلا ثم أجهشت في البكاء فقالت (شوق) :

- (حنان) تبكي لأنها ضربت ، فلم تبكي أنت ؟
- لأني ضربتها ... هل تظنين أنها ستسامحني ؟
- حنان قلبها كبير، أتركيها الآن بعض الوقت لتهدأ ، سوف أذهب اليها.
- لا أدري كيف فعلت هذا ؟! حتي لو سامحتني فلن أسامح نفسي ... ولكنها هي ....

فقاطعتها (شوق) :

- لا داعي للكلام في هذا الأمر ... المهم حينما تأتي ماما لا أحد يحدثها بما حدث .
- (حنان) ستخبرها .
- حنان أعقل من ذلك ، أنا لا أدري كيف تطور الحديث بينكما على هذه الصورة .

(31)

ليس هذا معقولا يا (ولاء) لقد أصبحت أعيش مشكلة اسمها (ولاء)

- تقصد أني مشكلة .
- لا، ولكن إلى متي سنظل هكذا .. أنا لا أشعر أنك تبادلينني الحب .. أنت لا تقدرين ما أعانيه بسبب جفوتك تلك وعنادك .
- وأنت منتظر مني أن أخبرك أني هيمانة ولا أنام الليل من التفكير فيك , وأكتب لك الخطابات بدموع عيني .
- ما قصدت ذلك ... ولكن على الأقل أشعر أن لحبي عندك صدى .
- والبنات اللائي يلاحقنك في كل مكان في النادي .
- إنهن مجرد مشتركات ، وأقدم لهن خدمة .
- مشتركات في قلبك .
- أنت تعلمين لا أحد في قلبي غيرك , ولكن منصبي في النادى يحتم على أن يحدثنني وأتحدث معهن .
- والشائعات التى تملأ النادى .
- لقد قلت بنفسك ، إنها شائعات .
- ولم أنت بصفة خاصة ، التى تكثر الشائعات حولك؟
- ضحك ثم نظر فى عينيها قائلا :
- لا أدرى ..ربما لأنى فارس أحلام أغلب بنات النادى .

صمتت قليلا ، ثم شبك أصابع يديه ووضعها على المنضدة ، ثم قال :

- تتمنى كل منهن أن تظفر بقلبى ، وقلبى يعرض عنهن كلهن ، ويتمنى رضا قلب واحد وصاحبته تضن ، وتبخل عليه .

هذا الكلام المعسول لا يطمئنها , رغم أن هذا يرضى غرور أى فتاة ، ولكنها ليست كأي فتاة ، على الأقل أمام نفسها , وهى لم تغفل نظرات فتيات النادي إليها فى المدة الأخيرة , وبعض

تعليقات الشباب أثناء مرورها عليهم بعد ما لاحظوا جلوس(فتحى) أو سيره معها فى بعض الأوقات , إلا أن تعليق شاب من هؤلاء لم يفارق ذهنها عندما قال وهى تمر :(رقم خمسة) ماذا يعنى بذلك؟ وهو لم يقل هذا عفوا ، لأنه كررها أكثر من مرة أثناء تكرار مرورها عليه ، أرادت أن تقف وتسأله ما الذى يقصده ؟ ولكنها أقلعت عن تلك الفكرة, ورجحت أنها ربما تكون رقم خمسة ، فى أجندة غرام الأستاذ (فتحى)...وعدم توثق العلاقة بينها وبين أحد رواد النادى ، منعها أن تسأل أحدا , إذن ليس أمامها إلا (نجلاء) ,وإن كانت (نجلاء) لا تمانع أن يكون للشاب علاقه بأكثر من فتاة , فالأمر بالنسبة لها تسلية وتزجية وقت فراغ , هذا وهو الخلاف والاختلاف بينها وبين صديقتها , فهى ترى أن الأمر يمس سمعة وكرامة الفتاة ، وينبغى لها أن ترفض إقامة أي علاقة بينها وبين أى شاب ، إلا بعد أن تعرف ، أن هذا الشاب يأخذ الأمر مأخذ الجد , بل هى ترى ألا مبرر لإقامة أي علاقة من أي نوع ، لأن المجتمع حدد نوعية تلك العلاقة ووضع لها مسمى بحيث لا تشعر الفتاة بأى خجل من تلك العلاقة , وينبغى ألا تلقى عواطفها هكذا لأول شاب يدق بابها , فلتدخر كل ما تشعر به من أحاسيس لمن ترى أنه أهلا وجديرا بذلك , سيقولون عليها أنها متزمتة ، والبعض يبالغ فى الوصف ويقولون أنها متكبرة ، ليقلون ما يشاؤون ، فهى ليست فى حاجة أن تثبت للأخرين عكس ما يتصورون .. المهم أمامها الآن أن تعرف حقيقة من يجلس أمامها , فهو يحاول منذ شهور،أن يستأثر بعواطفها , ليس أمامها إلا (نجلاء) , ولتحاول ان تكون معها ماكرة , فربما ينفع المكر فى تلك الأحوال ، جالت كل تلك الأفكار، وهى جالسة أمامه ، وهو يتحدث بكلمات تصل إلى أذنيها مجرد همهمات , ولم تتنبه إلا ويده تمسك يدها , فتخلصت منها ، ونظرت إلى الساعة ونهضت بحجة أنها تأخرت ، وانصرفت .

(32)

- تعال يا (رشاد).. منذ أيام وأنا لا أستطيع أن أجلس معك .

فقال (رشاد) وهو يضع نظارته ذات العدسات السميكة على عينيه ، ويضع أطراف قميصه المتدلى داخل سرواله ويرفعه لأعلى .

- الشغل كثير، والعجول .....

فقاطعة بحزم قائلا:

- الله يخرب بيت العجول ، يا بنى مستقبلك أهم من كل هذا .

فنظر إليه مندهشا من تحت إطار النظارة قائلا :

- هذا هو مستقبلى يا أبى .
- يا بني ، أنا أقصد زواجك.

تقدم نحوه ، وجلس بجانبه ، وهز رأسه قائلا :

- أنا صرفت نظري عن مسألة الزواج يا أبى .

فقال والده مندهشا :

- صرفت نظر!! وكل الذى تعمله لمن ؟ وأملاكى وأرضى .

فقال وهو ينظر إلى حذائه المتسخ من روث البهائم .

- ابنة عمى رفضتنى ، فما بالك بالغريبة عني ؟
- يا بنى ، الزواج قسمة ونصيب ، ليس لك نصيب فيها ،ربما لك نصيب فى غيرها .
- ومن غيرها يا أبي ؟
- بنت الأستاذ (عمر) .

وقف (رشاد) وأرجع النظارة التى انزلقت عن عينيه .

- أعفيني يا أبى من الإحراج ، هؤلاء من عالم ، وأنا من عالم أخر، أنا قررت أن أظل هكذا بدون زواج .

ضرب الوالد كف بكف قائلا:

- لا حول ولا قوة الا بالله ، الولد جُن ، ما بك يا (رشاد) ؟ أنت طوال عمرك عقلك يزن جبلا ، يابنى حياتك لا معنى لها بدون زواج ، ثم أنا كلمت عمك ليفاتح أهل بيت الاستاذ(عمر) .

- يا أبى ، أنت لا تعرف كيف تفكر البنات ، حينما تعرف بنت الأستاذ (عمر) أن (ريهام) رفضتنى ، فلن تقبلنى لمجرد أن (ريهام) رفضتنى .
- ماهذه الترهات التى تتفوه بها يا (رشاد) ؟ ألف بنت تتمنى أن تكون زوجة لك، إلا أن بنت عمك ليس لها فى الطيب نصيب ، وعمك نفسه كان يتمنى أن تتم هذه الزيجة .

وهنا خرجت الأم ، وعلى مايبدو كانت تسمع مايدور بين زوجها وابنها ، قالت :
- اترك (رشاد) ، فهو ليس له رغبة فى الزواج ، مالك وماله .

وكأن الرجل كان يشعر بأن ثورة تدور فى صدره ، فوجد لها متنفسا فى زوجته فقال لها :
- مالك انت ياام عقل خربان: أأنا اذنت لك ان تتكلمى ؟ ثم لو لم يتزوج الان فمتى يتزوج
- تريدين ان يبقى بجوارك .لا تريدين اخرى تخطفة منك فقالت له :
- الم ترفضة ابنة عمه ... هل هل ستذهب بة الى من ترفضة مرة اخرى ؟
- الذى خلق ابنة عمه خلق غيرها يا ام عقل خربان ، وليس معنى ان واحدة رفضتة ان الاخرى سترفضة.
- طبعا سترفضة اليست ابنة خالتها، والاثنتين من نفس العجينة ثم نحن لا نعرفها ولا هى تعرفنا .. نظر الرجل الى اعلى رافعا يديه قائلا:
- يارب انا صابر على بلائك، ولكن اسألك ان تخلصنى من هذا البلاء عن قريب.
- اتدعى على يا حاج .
- لو اجتمع الناس كلهم فى الدعاء عليك فلن يؤثر عليك... اذهبى واعدى لى كوبا من الشاى ولا تتدخلى بينى وبين رشاد مرة اخرى .
- وقف واتجه نحو ابنه قائلا:
- ماذا قلت يا (رشاد)انا طوع يدك يا ابى .. افعل ما تراه صوابا فلن اعارضك..اتركنى الان لاذهب الى العجول

(33)

- لم كل هذا العبوس والعجول كلها تماثلت للشفاء كما ترى ، ومزرعة الدواجن ما شاء الله تحقق مكسبا لم تكن تتخيله

- أمعك سيجارة؟

فجلس الدكتور (عيد) بجواره وأخرج علبة سجائره وقال له :
- العلبة كلها .. تفضل .

فأخذ (رشاد) لفافة ، ووضعها فى فمه وقال له :
- اشعلها لى .

فأشعلها له ، وأخذ هذا نفساعميقا ، ثم أخذ ينفث الدخان فى الهواء وقال (عيد) :
- المشكلة صعبة لتلك الدرجة .. احك لى ، فضفض ، فأنا صديقك ، وصديق عجولك .
- أبى يا (عيد) ، يريد أن يزوجنى بأى طريقة .

فأخذ هذا يضحك حتى استلقى على قفاة ، وقال له وهو يربت على كتفه :
- بدلا من أن تكون سعيدا .. وهل يوجد أحد فى هذا الزمان يلح عليه والده كى يتزوج ؟ تزوج يا (رشاد) ، الزواج شىء عظيم .. إنه أجمل شىء فى هذه الدنيا .
- وما يدريك ؟ إذا كنت لم تتزوج بعد ؟
- لا يعرف قيمة الزواج إلا واحد عذب مثلى . ثم لماذا تكره الزواج يا (رشاد) ؟
- أنا لا أكره الزواج ، ولكن لم يحدث نصيب بينى وبين ابنة عمى التى كنت أعرفها وتعرفنى .
- ربما يكون هناك نصيب مع غيرها .
- غيرها لا أعرفها .
- لا داعى لأن تعرفها ، تزوجها .

- لا داعى للسخرية .
- أمرك غريب يا (رشاد) .. أنت لابد أن تتعرف على من ستتزوجها ، وتجلسا سويا .

أعاد النظارة إلى عينيه قائلا :

- أنت تعرف أن ليس لى خبرة بمعاملة البنات ، وإذا جلست مع إحداهن ، يجف حلقى ، ويلتصق لسانى ، وأتفصد عرقا ، ولا أعرف كيف اتصرف .

صمت (عيد) مفكرا ثم قال :

- أتعرف كيف تخرج من تلك المشكلة ؟
- كيف؟
- اعتبر أي بنت تريد أن تتعرف عليها عجلا .

فغر فاه مندهشا ، ثم قال :

- أمجنون أنت ... عجلا ؟!!
- نعم ، أنت أفضل من رأيته يتعامل مع العجول ، لدرجة أنى ظننت أنك تحدثهم ويحدوثونك.
- ذلك لأنى أحبهم ، واعطف عليهم .
- اعتبر البنات عجول ، واعطف عليهن وحبهن .

نظر إليه غير مصدق ما يقوله ، ثم قال :

- طبعا ألست طبيبا بيطريا ؟ الأفضل أن تتخصص في علاج الحمير فقط... هذا إذا لم يرفع الحميرشكوى ضدك ؛ لأنهم سيكتشفون أنك غير مؤهل لعلاجهم .

ضحك (عيد) طويلا ثم قال :

- أنا أقصد أن تكون واثقا من نفسك ، وتتعامل معهن بكل بساطة وتلقائية و ...

فقاطعه قائلا :

- الكلام سهل، ولكن التنفيذ صعب ، انا لم يسبق لى التعامل مع أى بنت ولا حتى فى الجامعة ، أى مكان كان يوجد فيه طالبات كنت أغادره على الفور، وإذا وجهت إحداهن لى الحديث ، أتعثر ولا أجيب ، حتى أنهن تجنبوننى .
- إذن لن تخرج من تلك المشكلة الا بالزواج ، نعم ، خير علاج لأى مشكلة هو موجهتها واقتحامها .
- أهذا رأيك؟
- نعم ، أعط تفويضا للحاج (عبد المقصود) كى يبحث لك عن بنت الحلال .
- موجودة .
- على خير ، وإلى أن ياتى يوم الفرح ، ألن تدعونى على العشاء الليلة ؟

نظر إليه متعجبا ، قائلا :

- ألا يوجد فى بيتكم طعام ؟ فلا يكاد يمر يوم إلا وتتعشى عندنا .
- بهائم البلد كلها تتمنى أن اتعشى عندهم يا أخي
- لا ، الأفضل أن تتعشى عندنا ، حتى لا تغار بهائمنا .
- الشرف والفخار يحل فى بيتكم ، حينما أتناول العشاء عندكم ، ثم إني أريد أن أتحدث مع الحاج .
- فيم ؟
- كى يبحث لى عن عروسة .
- الا يكفيك بهائم البلد .

(34)

دخل عليها وهو يحمل اللوحة التى أتم رسمها ، كان سعيدا كالطفل الذى يحمل شيئا يعتز به ، محتضنا إياه ، فض غلافها لتراها (ليلى) ، قائلا لها وعيناه لا تتوقف عن تتبع جوانب اللوحة، وبريق غريب يفيض من عينيه :

- أول لوحة أرسمها منذ عشرين عام ، ما رايك ؟

أطالت النظر إليها ، ومالت بعنقها على كتفها الأيسر ، وظلت مدة تتأمل فى اللوحة ، وهو تارة يتأملها وأخرى يتأمل اللوحة .. قالت بعد فترة صمت :

- أكثر من رائعة يا (عمر) و....

وضعت يدها على فهما ، وكأنها تلفظت بشيء ما كان يجب أن تتلفظ به ، وقالت معتذرة :

- معذرة يا أستاذ (عمر) أن ناديتك باسمك هكذا ، فجمال اللوحة أسرنى .
- أنا فى مسيس الحاجة أن تنادينى بعمر ، فيجب أن تزول الكلفة بيننا ... المهم أأعجبتك اللوحة حقا ؟
- خسارة .
- فقال مندهشا :
- خسارة!!
- نعم ، خسارة أن تمضى عشرين عاما ، بدون أن ترسم شيئا .
- وهذا ما أنا نادم عليه أشد الندم .
- ولم الندم ؟ أنت تستطيع ان تنجز الآن ما كنت ستنجزه طوال العشرين عاما .
- هذا شيء مستحيل .
- لا يوجد شيء مستحل ، نحن الذين نطلق الأسماء ،إن شئنا جعلناه مستحيلا ، وإن شئنا جعلناه ممكنا ... ثم إن حبك لعملك ، هو الذى سييسر عليك كل صعب .

فقال بأسف:

- ولكن أجمل أيام العمر مضت ، وكأنى لم أعشها .
- دائما نجعل الشيء الجميل خارج استطاعتنا ، وبعيدا عن أيدينا ، ودائما يمثل الماضى لنا أسفا وندما ، لماذا لا ننظرإلى المستقبل وإلى الأيام القادمة باعتبارها شيئا نملكه ونملك تشكيله ، وملئه بالأمل ، والعمل على تحقيقه ،الماضى مضى ويجب ألا نحاسب أنفسنا عليه ،لأن الحاضر والمستقبل قد ينسل من بين أيدينا ، ونحن مشغولون عنه بحساب الماضى .
- أتظنين أن هناك متسعا وبيقية فى العمر، لانجز ما كان يجب أن أنجزه طوال العشرين عاما
- وما عشرين عاما او ثلاثين ؟ إنه مجرد رقم ، فقد نعيش يوما ونسعد فيه ما لم نسعد طوال العشرين عاما ، وقد ننجح فى فعل شيء لم ننجح فى فعله طوال العشرين عاما ،فإذا كانت تلك السنوات التى مضت ، ضاعت هباء وبدون جدوى ، فأنت الآن مندفع بقوتها وخبرتها ، وهى التى تلهب عقلك ووجدانك كى تملأ ايامك القادمة .

نكس رأسه قليلا ، ثم رفعها قائلا :

- أتدرين أنى أخشى الموت ؟
- ومن منا لا يخشاه ؟
- أحيانا التفكير فيه يسلبنى القدرة على العمل ، بل يشبح إحساسى بالحياة .
- الأمر يجب أن يكون على العكس تماما .
- كيف ؟
- إحساسنا بالموت ، وإنه قريب منا ، وإدركنا بمحدودية بقائنا فى تلك الدنيا ، يجب أن يكون دافعا وحافزا لنا على العمل واتقانه ، وإنجازه فى أسرع وقت ، ثم أن الموت هو سر جمال الحياة .

نهض ، وقال مندهشا :

- الموت هو سر جمال الحياة.. أول مرة أسمع ذلك !!
- لا يهم ، فليس تكرار سماع شيء يجعله حقا ، المهم تصورأن الزهور لا تذبل وتموت هل تظن أنها سوف يكون لها نفس الجمال وتأثيرها فى النفس ؟
- لا أظن .
- كذلك الجمال الإنسانى .

صمت مفكرا فيما قالت ، ثم قال :

- نعم كما تقولين ، والفن هو الذى جعل الزائل خالدا ، والمحدود غير محدود، يحاول أن يخرج من سيطرة الموت ، وسطوته ، ويحاول أن ينتصر عليه .
- بالضبط .

نظر إليها طويلا ، ثم قال :

- لو تدرين ما لكلماتك من أثر على ، إنها تجعل الحياة رحبة أمامى ، وتجعل ما يبس يخضر ، وما ذبل يزدهر مرة أخرى ، أتدركين كل هذا يا (ليلى) ؟

حاولت أن تغير الموضوع ، أو تهرب من ملاحقة كلماته ، فقالت :

- الذى أعرفه ، أنك إنسان عظيم ، وتستطيع أن تحقق كل ما تتمناه .
- أصبحت أمنياتى كثيرة ، وبيدك أن تحققى واحدة منها.
- هل بعمل لوحة واحدة ؟
- لا ، إنى أشعر أنى أود أن أرسم العشرات .
- اذن لا تضيع الوقت فى الكلام هيا انهض وأول ما تنجز اخرى اخبرنى على الفور .
- نهض (عمر) وشعر بنشاط وخفة وحيوية غريبة ... تفجر التناغم الدافىء الذى كان يشعر بة ايام شبابه، تصالح غريب وعجيب بينه وبين من حوله ، وضع كل ما يشعر بـه من احسيس ومشاعر نحوها فى نظرة عينية ولمسة يدة ، وغادر المكان.

(35)

قالت (نجلاء) :

- ماهو الموضوع الهام الذى اتصلت بى من أجله؟
- (فتحى) .
- ما به؟
- إنه إنسان لا يستحق أن أثق فيه ، وأمنحه عواطفى .
- لم ؟
- كان له علاقة بأكثر من واحدة ... أليس كذلك؟
- كان .... ولسنا سنحاسب الرجل على ماضيه .
- ومازالت له علاقات ببنات داخل النادى وخارجه .
- من الذى أخبرك بذلك ؟
- ليس هذا المهم... ولكن أليس ما قلته عن (فتحى) صدقا أم لا ؟

فقالت وهى تحاول أن تتهرب من الإجابة :

- أنت تعرفين ، أن الشاب تتعدد علاقاته مع عدد من البنات ، حتى يعثر على فتاة أحلامه.
- والبنت تظل تحت اختيار سلامته ، إن شاء تمسك بها ، وإن شاء تركها،لأن شهرزاد لم يجد فيها فتاة أحلامه ، ولا تخرج البنت من هذه التجربة إلا بصدمة فى هذا الذى ظنت أنه يحبها ، وأساء إلى سمعتها.
- ولماذا تغضبين ؟ نفس الأمر مع البنت .
- كيف ؟
- هى الأخرى ستتاح لها الفرصة ، لكى تختار وستتمتع بنفس القدر من الحرية فى الرفض أو القبول .
- وفى نظرك ، تلك هى الصورة المثلى ، للعلاقة بين الرجل والمرأة .
- نعم ، فنحن على مشارف القرن الواحد والعشرين ، ولن نتصرف فى حياتنا كما كان يتصرف أجدادنا ، الذين كانوا يعيشون فى القرون الماضية ، وإلا سنكون كالكائنات المتخلفة ، التى لا تتقدم ولا تتطور .

فقالت (ولاء) ساخرة :

- والتنطو والتقدم ، لا يكون فى نظرك إلا فى نوعية العلاقة بين الرجل والمرأة .
- أساس كل تقدم وتتطور ، يبدأ من العلاقة بين الرجل والمرأة ، فإذا تتطورت تلك العلاقة ، تتطور كل شىء ، بدليل أن فى الدول المتقدمة والمتطورة العلاقة بين الرجل والمرأة ، على نفس المستوى من التطور و.....

فقاطعتها قائلة :

- أنا مقتنعة بكل ما تقولينه ، ولكن هناك شيء ليس قابل للتغير ، أو باصطلاحك ليس قابل للتطور .
- ماهو ؟
- كرامة وسمعة البنت ، فإذا كان فى المجتمعات المتقدمة حدث تطور للعلاقة بين الرجل والمرأة وتخلصت المرأة مما يسمى كرامة أو سمعة ، لأن هذا من معوقات التطور فى نظرهم أو نظرك ، فالأفضل أن أوصف بالتأخر والجمود ، وكل تلك الأوصاف وأظل محتفظة بكرامتى ونقاء سمعتى ...المهم ... نحن بعدنا عن الموضوع ... أرجو أن تخبرى (فتحى) ، أنى لست على استعداد فى إقامة أى نوع من العلاقة ، والأفضل أن يتفرغ لعلافاته ، حتى يعثرعلى فتاة أحلامه ولكن بعيدا عني .

صمتت (نجلاء) قليلا ، ثم قالت:

- لقد يسرت علي الأمر ، وأرحتنيني من الحرج .
- اى حرج تقصدين ؟
- أخبرنى هو الأخر، أنه لايريد تلك العلاقة ، وأنه فى حل من أى وعد لك ، وخطوبته الأسبوع المقبل ، وكلفنى أن أسلم لك تلك الدعوة .

وأخرجت بطاقة الدعوة، وسلمتها لها ، أمسكت (ولاء) الدعوة بين أصابعها وشعرت بغضب وغيظ ، وإهانة وجهت لها ، سألتها وهى تحاول أن تكظم غيظها .

- وما رأيك أنت .. أذهب أم لا ؟
- هذا شيء أنت التى تقررينه ، على كل هو سيقيم الحفلة هنا فى النادى .

نظرت (نجلاء) خلف (ولاء) ، وقالت وكأنها تحدث نفسها :

- لماذا لم يأت إلا فى هذا الوقت بالذات ؟

فسألتها (ولاء) وهى تنظر خلفها :

- من ؟

كان (فتحى) وبجواره حسناء ترتدى بنطلونا وقميصا ، وشعرها منسدل على كتفيها ونظارة سوداء فوق عينيها ، وبيدها سلسلة ، تنتهى بكلب صغير الحجم ، تقدم منها وعلى شفتيه ابتسامة غريبة ، حياهما ، ثم قام بالتعارف قائلا وهو يشير إلى من تقف بجواره :

- زيزى .. خطيبتى .

وقفت (نجلاء) ، وتقدمت منها ، وعانقتها قائلة :

- لم أكد أعرفك ، لقد تغيرت كثيرا .

فقال وهو ينظر إلى (ولاء) :

- أربع سنوات فى فرنسا ... لا بد أن تتغير .

فسالتها (نجلاء) :

- ولكن ماذا كنت تعملين طوال تلك السنوات فى فرنسا؟

فقالت ، وهى تسوى من شعرها :

- صمم دادى ان أنهى دراستى فى فرنسا .
- ومتى رجعت ؟
- منذ أسبوع .
- مبروك على الخطوبة .
- شكرا .
- ولكنك حضرت منذ أسبوع .. ألا ترين أن الخطوبة تمت بسرعة ؟

فنظرت إلى (فتحى) ، وأمسكت بيده قائلة :

- وماذا أفعل إذا كان توحة مستعجل .

فضحك (فتحى) قائلا :

- كما يقولون : خير البر عاجله .

نظرت (زيزى) إلى (ولاء) قائلة :

- أنا لم أرك من قبل .

فقالت (نجلاء) :

- (ولاء) ، عضوة جديدة فى النادى .

فقالت وهى تجذب سلسلة الكلب وتنصرف .

- أهلا.... ولا تنسى يا (نونو) أن تتصلى بي ... هيا يا (توتو) .
فقال (فتحى) وهو يسير ورائها:
- لاتنسى يا (نجلاء) موعد الحفلة.. وأنت يا (ولاء) .
وانصرفا ، وأخذت (ولاء) و(نجلاء) تتابعهما حتى غابا عن نظريهما.
قالت (ولاء) :
- كأنك كنت لا تعرفين من سيخطب؟
لقد قال لى إن اسمها (زيزى) والزيزات كثيرات فى النادى .

حينما عادت إلى البيت ، أسلاعت بالدخول إلى حجرتها ، وأغلقتها ، وانفجرت فى البكاء ، وبكت كما لم تبك من قبل ، وبين الحين والأخر ، كانت تسأل نفسها عن سبب البكاء فلا تدرى..أيمكن أن تكون قد أحبته ؟ وإذا كان هذا صحيحا ، فقد اكتشفته بعد وقت متأخر، ولكن أمعقول أن تحبه بدون أن تدرى ؟ ومثاليتها وكبرياؤها كانا سببا فى ضياعه منها ... ولكن أكانت حريصة على الاحتفاظ به ؟ المشكله ليست فيها هى ، ولكن فيه هو أكان صادقا معها ، أم كانت بالنسبة له مجرد رقم ، وحينما يأس منها ، تركها وبحث عن غيرها ؟
ظلت الأفكار تتجاذبها من كل ناحية ، ولم ينقذها من ذلك سوى النوم .

(36)

- والى متى ستظلان على هذا الوضع ؟
وقالت (كوثر) :
- يا (فاتن) ، تلك المرة لابد أن تتنازلى وتجلسى معه ، وتنفذى كل ما يطلبه .
- لو تنازلت هذه المرة ، سأتنازل في كل مرة .
- فليكن ، من أجل الحفاظ على بيتك .
- ولم لا يتنازل هو ؟ ويكون أشد حرصا على هذا البيت .
- هو طوال عمره يتنازل ، فليس أقل من أن تتنازلى فى تلك المرة .
فقالت (زينات):
- (فاتن) معها حق فى موقفها ، ويجب أن تظل متمسكة بموقفها ، وإلا كل ما فعلته طوال تلك السنين سينهار .
- يا (زينات) ، أختك تسير فى طريق ، لا يعلم الا الله علام سينتهى .. هى تضع بيتها كله فى كفة ، وماتطلبه فى كفة ، ولابد ستخسر واحد من الاثنين .. وعلى المرأة أن تضحى بكل شىء ، فى سبيل بقاء بيتها .
فقالت (زينات) :
- يجب أن نساعد (فاتن) ، على أن تحصل على ما تريده ، فهى أدرى بمصلحتها .
- لا ، يجب أن نبصرها بما هى مقدمة عليه ، وهى الآن لا تدرى أين مصلحتها .
فقالت (فاتن) غاضبة :
- أنا لست قاصرة يا (كوثر) ، كى تبصرينى أين مصلحتى ، وأنا أكبر منك وأعرف أكثر منك .
توقفت (كوثر) عن الكلام ، حينما رأت ملامح أختها تغيرت ثم انفجرت فى البكاء فأشارت (زينات) (لكوثر) أن تغير الموضوع ، أخذت تواسيها وأحضرت لها كوبا من الليمون وبعد أن هدأت بعض الشىء قالت لها :
- أريد أن أحدثك فى موضوع خاص (بولاء) .
فقالت (فاتن) وهى تجفف دموعها :
- خير .
- عريس يريد أن يتقدم (لولاء) .
- من ؟
- (رشاد) ابن الحاج (عبد المقصود) .

فقالت (فاتن) :
- ولكن الذى أعرفه ، أنه هناك شبه اتفاق بينكما وبينه على (ريرى)
- نعم ، ولكن (ريرى) رفضت .
فقالت (فاتن) :
وتظنين أن (ولاء) تقبل ما رفضته (ريرى) ؟
- أنا كنت رافضة أن أفاتحك فى الموضوع ، ولكن (مصطفى) طلب منى مفاتحتك ولك ان ترفضى أو تقبلى .
فقالت (كوثر) :
- التى ترفض أو تقبل ، فهى صاحبة الشأن .
فسالتها (فاتن) :
- تقصدين من؟
- (ولاء) .
- أتظنين أنها سترفض .
فقالت (زينات) :
- طبعا ... لأن (ريرى) رفضته .
- وربما لنفس السبب الذى من أجله رفضته (ريرى).
صمتت (زينات) ، وهزت رأسها ، وقالت (كوثر) :
- ماعليك إلا أن تعرضى الأمر على (ولاء) وكما قلت هى صاحبة الشأن .
- سوف أعرضه عليها.. وإن كنت على يقين أنها سترفض .
- الواضح أنك رافضه الموضوع من أساسه.
- وماذا يفيد رفضى إذا كانت هى موافقة .
- أظن رأيك سيؤثر عليها .
- لا ... (ولاء) ليست مثل بقية أولادى ... فلها رأيها ، وهى عنيدة ولا تقتنع إلا برأيها وورأي والدها .
فقالت (زينات) :
- إذن ، لم يبق إلا أن تأخذي رأيها الآن .

(36)

- أظنك اندهشت ،عندما سمعت صوتى فى التليفون ؟
أشعل (كمال) لفافة تبغ ، وأخذ رشفة من فنجان القهوة ، ونظر إليها قائلا:
- جدا .
- عرفت صوتى .
- تذكرته ، وإن كان قد شاخ بعض الشيء .
- عشرين سنة ليست بالوقت القليل .
- نعم .
- أصبحت مشهورا يا(كمال) ... صورك تملأ الجرائد والمجلات ،وأحاديث التلفاز...
- الحمد لله .
- ولكن ، أتظن أن كل هذا عوضك ؟
- عن ماذا ؟
- الحب .. والزواج .. والأولاد .
- عملى يملأ كل حياتى .
- لماذا لم تتزوج للان ؟
ابتسم قائلا :
- كسل .
فقالت مندهشة :
- كسلان أن تتزوج !!
- الواحد منا يكسل عن عمل أشياء كثيرة فى حياته.. بالنسبة لى كسلى إنصب على الزواج .

نظرت إليه طويلا ، ثم قالت :
- أم أن تجربتك الأولى تركت أثرا سيئا ، فلم ترد أن تكررها ؟
- التجربة تختلف باختلاف المرأة ... ثم أن تجربتى لم تفشل ، أنت التى أنهيتها بصورة حاسمة ، حينما عرفت أنى لن أمكنك من تحقيق طموحاتك المادية.
- وليس عيب أن يكون للمرأة طموحات مادية ، تدفع حبيبها أو زوجها ليحقق ذلك .
- الطموحات المادية ليست بعيب ، حينما لا تكون على حساب طموحات أخرى .
- نحن اختلفنا منذ البداية ، وكانت هوة الخلاف ستزيد إذا بقينا مع بعض .
- واخترت من يمكن أن تسخريه فى تحقيق طموحاتك المادية ، على حساب طموحاته وأحلامه .
- ولكنه قبل ذلك ورضى به ، قبل أن يترك طموحاته وأحلامه ، لكى يحقق طموحاتى وأحلامى أنا .
- لذلك قبلته .
- ورفضتك .
- والآن ؟
- على ما يبدو أنك لم تنس ، أنى فضلت صديقك عليك .
- لو كان (عمر) يعلم الذى كان بيننا، ربما لم يوافق على أن يتزوجك ؛ لآن الذى بينى وبينه ، شىء عظيم .

مضت فترة صمت ، طلب (كمال) من العامل فنجان قهوة أخر ، ثم سألها :
- قلت لى أننى لم أنس أنك فضلت (عمر) عليَّ .. ماذا تقصدين من ذلك ؟
- ما من مرة يزورك فيها (عمر) إلا ويعود وهو ناقم على كل شىء، وهو مبهور بما حققته من نجاح ، ويرى فيك مثله الأعلى ، ويرى فيك الصورة التى كان يريد أن يحققها .
- وبدلا من ذلك ،حقق نجاحا وكون ثروة لا بأس بها.
- وكل هذا بفضلى أنا، فأنت خير من يعلم (عمر) فلم يفكر لحظة واحدة فى المال .
- أعرف هذا ، وأعرف أنك نجحت أن تجعليه يفكر كما تفكرين .
- هذا فيما مضى ، أما الآن .....فلا .
- كيف؟
- لابد وأنه حكى لك عما حدث بيننا فى الأونة الاخيرة , وأنه رفض أن يعود إلى عمله بالخارج , ويريد أن ينفصل عنى , ويترك البيت, يريد أن يعود الى تلك الحياة التى كان عليها قبل أن نتزوج .

فقال ساخرا :
- غريبة ! كيف فقدت سحرك وسيطرتك عليه بعد طول تلك المدة ؟!
- نعم ، كان هادىء طوال تلك السنين ، وإن كان تحت هذا الهدوء والسكون بركان ينتظر الفرصة ليثور .

أشعل لفاقة أخرى بدل من التى اطفأها وسألها :
- للآن لم أعرف سبب اتصالك ، ومقابلتك لى .
- أريد منك شيئين .
- أولاهما ؟
- أن تقنعه أن يرجع عن هذا الطريق الذى ينوى السير فيه ، وتبصره أن بعمله هذا سيهدم الكثير, وأول شىء يهدمه هو ذاته... (عمر) كالسمكة وأنا البحر، لا يستطيع أن يعيش بعيدا عنى ، قد يكون قد كرهنى ويريد التخلص منى والابتعاد عنى , ولكنه لا يستطيع أن يعيش بدوني .
- ثانيها ؟
- أن تبتعد عنه , لا تتصل به ، والأفضل أن تنهى صداقتك له .
- أمعقول هذا ؟
- وهل كان معقولا أن تضحى بحبك من أجله .
- لأنى كنت قد اتخذت قرارا بشأن هذا الحب .. وعرفت أنه قد يدمرنى ، ويقضى على .
- ولماذا لم تحذره في ذلك الوقت ؟
- احترمت اختيار .
- دائما كنت تقوده .. وهو يحترم فيك تلك القيادة...أنت تركته كتجربة .
- كيف ؟

- أردت أن تعرف ماذا ستكون نتيجة زواجى منه ، فأنت وضعته مكانك ...مثل حكاية (الدوبلير) فى السينما , حينما يأتون بشخصية تشبة البطل ليقوم بتلك الأدوار الخطيرة , والتى قد تمثل خطورة على البطل ...تركت (عمر) يقوم بما خفت أن تقوم به ، وأى رجل يتخلى عن حبه الأول يحس أن هناك رباط خفى يربطه بمن أحب , ويود أن يعرف ماذا ستكون حياتها وهى بعيدة عنه , سعيدة أم غير سعيدة ، وأيضا لتستمع بالتجربة التى وضعت صديقك فيها .

أسند (كمال) وجه بيده ، ونظر إليها ، وقال بسخرية :

- أظنك لو ألفت كتابا فى التحليل النفسى ، سيلاقى رواجا عظيما .

أمسكت حقيبتها، ووضعت النظارة على عينيها ، ونظرت حولها ، وقالت بغضب:

- ماذا قلت فيما عرضته عليك؟
- سأذهب إليه ، وأقنعه بأن يكف عن أفكاره , ويعود إلى عشه السعيد، وإلى زوجته المخلصة ,كى لا يهدم ذاته كما تقولين ، أما مسألة أن أقطع صلتى به، فلا أرى لها أي مبرر ، ثم لمصلحة من أضحى بصداقة (عمر) ؟
- من أجل مصلحته .
- هذا من وجهة نظرك أنت أيضا . منذعشرين سنة تركته يختار, ولم أتدخل فى اختياره هذا ، بل لم أحك له عما كان بيننا من حب ، كى لا يؤثر هذا على اختياره , وأصارحك ، كنت أتمنى ألا يختارك , لأنه كان لا يزال هناك بقية من حب لك فى قلبى, وكنت انتظر أن تغيرى أفكارك ، وتتخلى عن طموحاتك وأحلامك فى العمل بالخارج وتحقيق الحلم المادى . وحينما أخبرنى (عمر) بأمر زواجكما، تألمت وحزنت بعمق وطويلا.. ومع ذلك لم أخبره بشىء ، لأنى كما قلت لك احترمت اختياره ... تأتى أنت الآن ، وتقولين أقطع كل صلة بينك وبينه فى سبيل مصلحته!

صمت قليلا ، وأخذ يتأمل ملامحها التى غيرها الزمن ، ثم قال :

- لا أدرى ، كيف فى يوم من الأيام أحببتك ، أما أنى كنت واهما فى ذلك الحب، أو أنى تغيرت كثيرا .

تململت فى جلستها ، وهى تنظر حولها، ثم وقفت وهى تعض على شفتيها ، وقالت:

- أهذا قرارك الأخير؟
- سأحاول أن اقنعه بألا يفكر في موضوع الانفصال ، أما أن أقطع علاقتي به فهذا لن يكون في مصلحة أحد .

نظرت إليه طويلا ، ثم قالت :

- أفضل ألا يعرف بأمر مقابلتى لك .

أومأ إليها ثم تركته وانصرفت .

(37)

- لا بد يا (إيهاب) أن تتخذ خطوة إيجابية ، لن تستمر علاقتنا هكذا ؟
- و ما تلك الخطوة الإيجابية في رأيك ؟
- أن تتقدم و تطلبني .

عصر (إيهاب) جبينه بأصابعه ، ثم قال :

- أنت تعلمين ظروفي و ...

فقاطعته بحدة قائلة :

- و ما ذنبي أنا أن أظل أسيرة ظروفك , ثم أن تلك الظروف قد تستمر سنوات , و إذا كنت رفضت ابن عمي , فهناك غيره سوف يتقدم لي و سيكون موقفي محرجا .

صمت قليلا , و قد شعر بهزيمة و انكسار , كلماتها كلذع الجمر على أعصابه , نظر إليها و قال وهو يشعر بجفاف حلقه :

- بيدك أن نتخلص من هذا الحرج .
- كيف ؟
- أن تضعي حدا لهذا الحب .
- و استطاع لسانك أن ينطق بها .
- نعم , لأنه بيدي , أما قلبي فلا أملكه .

قال وهو يتأهب للانصراف :
- و من الآن , اعتبري كل ما بيننا و كأنه لم يكن .
- (إيهاب).. لا تحدثني بهذا الأسلوب , وإن لم تكن متمسكا بحبنا , فأنا أيضا لست حريصه على بقاء ما بيننا .
- إذن ، اتفقنا ... سلام .

و تركها و انصرف ، لا يلوي على شيء .
-

(38)

سارت تتهادى كملاك .. صافحته , و جلست أمامه , و النضارة و الحيوية و الجمال يفيضون من عينيها .. سألته :
- هل انتظرت طويلا ؟
- نعم ، وإن كان انتظارا ممتعا .

ضحكت ، وهي تطوح بشعرها إلى الوراء و قالت :
- إذن ، ليتني تأخرت أكثر .

ابتسم و هو يتأمل ملامحها الآسرة قائلا :
- و لكن حضورك أجمل من انتظارك .

أسكرها هذا الإطراء , و قالت و هي تنظر حولها :
- ما رأيك في النادي ؟

فقال و هو يتأمل الأشجار و بعض النباتات :
- إنه مكان جميل , و بالأخص و أنت متواجدة فيه .
- إذن ، لماذا لا تشترك في النادي ؟
- لأن ليس معي ثمن الاشتراك .
- معقول ؟!
- نعم ... فأغلب الشعراء فقراء .
- و لكنهم أغنياء بالمشاعر والأحاسيس .
- و ما أدراك ؟

فغضت نظرها , ثم رفعت عينيها إليه :
- كل كلمة ، و كل إماءة تدل على ذلك .
- إذن ، أنت تدركين بما أشعر به .
- أنا لست غبية إلى تلك الدرجة .

انتابته فورة من المشاعر, و شعرأن الدماء تتدفق ساخنة في عروقه ، ثم قالت له :
- هل ذهبت إلى الناشر في القاهرة ؟
- هذا ما اتصلت بك من أجله , فإني أريد أن أعبر عن شكري ، فقد ذهبت إلى الناشر , و قدمت له ثلاثة دواوين , و وعدني بأنه سوف يبدأ بنشر أحدهم قريبا و الباقي بعد ذلك تباعا .
- و هل اتصلت بي لتراني لهذا السبب فقط ؟

و قبل أن يجيب قالت له :
- على كل حال ، لست أنا التي يجب أن تشكره , و لكن والدي ، فعليك أن تزوره في البيت و تقدم له الشكر .
- أخشى أن يكون مشغولا .
- مساء الخميس دائما يكون في البيت , و ليس وراءه ما يشغله .

(39)

- لم أكن أنتظر منك هذا الرد .
- لم ؟

- معنى أنك وافقت على رؤيته ، والجلوس معه, إنك قد تقبلينه كزوج !
فمطت شفتيها بدون إكتراث لتعجب أمها وقالت :
- و لم لا ... إذا رأيت فيه الرجل المناسب .
- مع أنك تعلمين أن (ريهام) رفضته .
- أنا لست ساذجة إلى تلك الدرجة , بحيث أبني قراري على قرار غيري .
- كما يقولون : لو كان فيه خير ما رماه الطير .
- أنا لم أر منه لا خيرا ولا شرا .
نهضت الأم , و هي تنظر إلى ابنتها قائلة :
- لا فائدة من الجدال معك , سوف أخبر زوج خالتك , أن يأتي بعد غد ، و إن كنت أعرف رأيك مقدما .
- و أنا لن أتخذ قراري إلا بعد استشارة أبي .
فقالت و كأنها فوجئت :
- بابا !!
- أظننت أنني لن ...
فقاطعتها بحدة :
- أنا أدرى بمصلحتك .
- لا أشك في ذلك , و كذلك لا أشك في حرصه على مصلحتي .
هزت رأسها ، ثم نهضت وانصرفت بدون أن تلوي على شيء .

(40)

كان مستغرقا في قراءة ملفات القضايا ، وتسجيل مذكرات حول ملف كل قضية ، حينما شعر بعين تراقبه ، رفع نظره ، فإذا هي واقفه , و حاول أن يهرب من نظرات العتاب و اللوم , و بعد تردد نهض ، و قدم لها مقعدا .
قالت ، وهي تلاحقه بنظراتها :
- أسبوع كامل لم تتصل بي , ولم تقابلني ... لم أعرفك أنك بتلك القسوة .
فقال و هو ينظر إلى العملاء الجالسين في الحجرة :
- هذا مكتب ... و لن نستطيع أن نتحدث هنا .
فقالت بإصرار :
- لن أخرج من هنا إلا و أنت معي .
- لا أستطيع أن أترك المكتب الآن .
- إذن ، سأنتظر .
- أمامنا ساعات ، حتى يحين موعد إغلاق المكتب .
- اطلب لي فنجان شاي .
يعرف إصرارها و عنادها , نهض و استأذن من الأستاذ وأخذها و انصرفا .

حينما جلسا في مكانهما المعتاد , و كان الوقت ضحى , و المكان خال من الرواد .. فجأة أجهشت في بكاء حار , حتى أن جسدها أخذ يهتز و يرتعش , حاول أن يتماسك في بداية الأمر، ولكن في النهاية ذاب عطفا و حنانا عليها , و أحس بمقدار الحب الذي يفيض من قلبه , كان طوال الأسبوع الماضي في صراع حاد بينه و بين قلبه , ظننا منه أنه يستطيع أن ينزع جذور الحب ، حتى و لو كان فيه إدماء لقلبه , و لكن الآن فقط أحس أنه كان واهما , قال لها :
- لا داعي للبكاء .
هدأت بعض الشيء , و لكنها لم تتوقف عن البكاء .
- قلت لك لا داعي للبكاء .
قالت ، و هي تجفف دموعها :

- استطعت أن تبعد عني طوال الأسبوع .
- الله وحده يعلم ، كيف مر علي هذا الأسبوع .
- إذن ، لم نعذب أنفسنا ؟!

صمت قليلا ، و كأنه يحدث نفسه :

- معك حق .. لم نعذب أنفسنا ؟!

استغرق في التفكير بعض الوقت ، ثم قال فجأة :

- ألم تكوني ترغبين في أن أذهب لأطلب يدك .

نظرت إليه غير مصدقة ، وابتسمت من بين دموعها و قالت :

- لم أكن أعرف ، أن غيابي عنك ، سيغيرك لتلك الدرجة .
- المهم ، أنا ذاهب ، وأعرف مقدما رد والدك .

قالت و هي تجفف دموعها، و تخرج مرآتها من حقيبتها، و تنظر فيها :

- قلت لك أن ماما..

فقاطعها بحدة قائلا :

- أنا سأقابل والدك ، و ليس والدتك .

فأعادت المرآة إلى حقيبتها و قالت :

- و لم انفعلت هكذا ؟!
- لأن كل كلامك عن والدتك .. والذي سأحدثه هو والدك .
- و أنا قلت لك أكثر من مرة ، أن ماما ستنفذ ما أريده , و ستضغط على بابا ... المهم متى ستزورنا ؟

فقال بعد تردد :

- بعد غد إن شاء الله .
- و لماذا أنت متجهم هكذا ؟
- كنت أتمنى أن آتي لزيارتكم ، وأنا في غير تلك الظروف .
- قلت لك لا تحمل هما ... دعنا من كل هذا الآن , واحك لي كيف قضيت الأسبوع الماضي ..

(41)

- صارحيني يا (شوق) ... ما الذي بين (جالا) و (حنان) ؟

حاولت (شوق) أن تتهرب من السؤال أو تتجاهله , فحاصرتها أمها :

- لا تتهربي من سؤالي , و كوني كعهدي بك , لا تخفي عني شيئا و لا تكذبي علي .

أخذت (شوق) تفكر في إيجاد تبرير لخصام كل من (جالا) و (حنان) و سمحت لنفسها أن تكذب على أمها ، ولأول مرة , و لكن هذا لتتجنب السبب الحقيقي ، لأنها لا تدري وقع الأمر عليها إذا كاشفتها بشكوكهما , قالت لها :

- اختلاف بسيط على الملابس .
- كيف ؟
- أنت تعلمين أن (جالا) تستعير ملابسنا لتخرج بها , رفضت (حنان) أن تعطيها فغضبت منها .

الأم أدرى الناس ببناتها , لم يقنعها هذا التبرير، فقالت لها :

- لا , الأمر أكبر من هذا , أنت لا تقولين الحقيقة .
- صدقيني يا ماما .. الأمر كما أقوله لك ، و سوف يعودان كما كانا من قبل .

و حاولت أن تصرفها عن الموضوع ، فنهضت ، و اقتربت منها ناظرة إليها :

- ماما ... أنت غيرت تسريحتك .. ؟

فرفعت يدها لتسوي من شعرها و ابتسمت قائلة :

- (الكوافير) أصر على تغييرها .. أليست جميلة ؟
- بلى .. وهذا (التايير) في غاية الشياكة .

فضحكت قائلة :

- إنه قديم .. و لكن لم أكن أرتديه .
- أتصدقين يا ماما .. أن زميلاتي لو رأينك معي لظنن أنك أختي .

ضحكت طويلا ، ثم قالت :
- لأن المرحوم والدكن ، تزوجني وأنا صغيرة ، و قد أنجبتكن مبكرا .
نهضت (شوق) ، و طوقت عنق أمها بذراعيها ، و قالت :
- و لكن أخبريني يا أمي ، إلا تفكرين في الزواج ؟
صمتت قليلا , ثم قالت و كأنها تحدث نفسها :
- أنا لم أفكر في الزواج و أنتن صغيرات ... أأفكر فيه و أنتن مقبلات على الزواج ؟
- هذا الأمر يجعلك تفكرين في الزواج عن ذي قبل .
كيف يا صاحبة العقل الراجح ؟
- لأننا كلنا سنتزوج ، و نتركك وحدك .
- و لكني لن أترككن .
- نفترض... إذا تقدم لك عريس ، هل ستوافقين ؟
شعرت أن البنت تنصب لها فخا ، أو تستدرجها إلى الكلام ، أيمكن أن تكون شعرت بشيء , و إذا كانت وصلت شيء ، فطبيعي أن تعرفه البنات الأخريات , ربما لاحظن في الفترة الأخيرة اهتمامها بمظهرها . و إلا لم تحدثها في هذا الأمر الذي لم يحدثها أحد من البنات فيه من قبل ؟
تنبهت من شرودها و قالت بحدة :
- هيا ، انهضي لتذاكري دروسك , و لا تضيعي وقتك في كلام فارغ .
- و لكن ..
فقاطعتها و هي تتأهب للخروج :
- هيا يا (شوق).. فورائي أعمال كثيرة .

(42)

- ألم يكن من المفروض أن يحضر (عمر) المقابلة .
فقالت (فاتن) بلا مبالاة :
- وجوده أو عدم وجوده , لن يغير من الأمر شيء .
- لقد شعرت بالإحراج حينما سألني (عبد المقصود) عنه .
- ألم تتصرفي ؟
- قلت له أنه في القاهرة لإنهاء بعض الأعمال , المهم ما رأي (ولاء) أأعجبها رشاد أم لا ؟
قالت (فاتن) بنوع من الترفع :
- في حجرتها ... اذهبي لتسأليها .
فنظرت إليها (كوثر) مستنكرة موقفها :
- ماذا حدث لك يا (فاتن) ؟! أسألها و أنت موجودة ؟!
فظهر الامتعاض والضيق على ملامح (فاتن) ، و قبل أن تغادر الحجرة استوقفتها (كوثر) :
- أظن ليس لك رغبة في إتمام هذا الموضوع .
- القرار في يد صاحبة الشأن , و ليس لي في الأمر شيء .
و تركتها و خرجت , و وجدت (ولاء) في حجرتها تتصفح بعض المجلات , جلست بجوارها و سألتها :
- ما رأيك يا (ولاء) في (رشاد) ؟
تركت ما بيدها ، و نظرت إليها قائلة :
- لن أقول رأيي ،إلا بعد أخذ رأي بابا .
- و لكن الناس بالخارج ينتظرون ردنا .
- أظن يا ماما و على حد علمي ، من حقي أن أمنح وقتا كافيا للتفكير .
فقالت بسخرية :
- و ما مقدار هذا الوقت ، كي أخبرهم ، لينتظروا قرارك .
- أسبوعا على الأقل .
- و بعد الانتظار ، سيكون رفضا أم قبولا ؟

- أنا لم أفكر بعد .... و لم آخذ رأي بابا .

تركتها بدون أن تعقب , و ذهبت إلى أختها ، و هي في قمة الانفعال و الغضب و وحاولت أن تهدىء من انفعالها .. سألتها أختها :

- ماذا أقول للحاج (عبد المقصود) ؟
- تريد مهلة ، لتفكر .
- هذا حقها ...
- فليكن .

(44)

- أين بابا يا عم (كمال) .

حاول أن يتهرب من السؤال ثم قال :

- ألم يخبرك أين هو ؟
- ربما نسي , لأنه لو أخفى شيئا عن العالم كله ، فلن يخفيه عني , لأنك تعلم أني أحبه و أؤيده في كل ما فعله و يفعله ، بل وأبعد من ذلك .
- ماذا تقصدين من أبعد من ذلك ؟

فقالت بنوع من التحدي الجميل :

- أنت تعلم ما أقصده يا عمي .. و أظن هو أخبرك عن الذي بيننا .
- أظن أنك لا تعرفين بما يمر به والدك الآن .
- أعرف .

فقال مؤكدا :

- والدك يمر بأخطر مرحلة في حياته .... إنه يحاول أن يستعيد ذاته ... و إن فشل فالله وحده يعلم ماذا سيحدث .
- أمن أجل هذا، ابتعد عنا ؟
- لا أدري .
- و لكني في حاجة إليه الآن .
- ها أنذا مثل بابا .

نظرت إليه و ترقرق الدمع في عينيها .

- لا يغني أي شخص مهما كانت قرابته ، عن وجود بابا .

أخذها تحت ذراعه ، و قال لها :

- هيا لنذهب إليه , فكلمتك أنهت الموقف .

وحينما وصلا ، تعانق الأب و ابنته , و تركهما (كمال) و أخذ يتجول في أنحاء الشقة ، والتي علقت على معظم جدرانها لوحات .

اندهش (كمال)من كم اللوحات .. أيمكن قد أنجز هذا العدد في هذه المدة الوجيزة , لاشك أنه يعمل ليل نهار , كل اللوحات عن الإسكندرية , لمسات عاشق في غاية الشاعرية والنبل ، الألوان مزيج من الوجد والشجن الذي يحيط بالوجود الأسيان , موضوعات كثيرة ومتعددة , البحر , الشط , النوارس , الميناء , قوارب الصيادين شباكهم , الأسماك ، الأصداف , الرمال , القلعة ، و قصر رأس التين , الأحياء الشعبية , حواريها , أزقتها , حاناتها , مقاهيها , مبانيها , شروقها و غروبها , ليلها نهارها , ضحاها , شمسها , قمرها .... لم يكتف بالحاضر بل إرتد إلي الماضي من خلال الأماكن الأثرية و متاحفها ... استطاع أن يستحضر هذا العبق الدافئ المنعش الطازج الناعم ، بحيوية الفنان الذي يرتقي بمعشوقته على بقية مدن العالم , كثير ما حاول أن يصل إلى تلك الحالة من الوجد اللامنتهى ، الذي يشعر الإنسان فيه أنه ذاب ، في لحظة سرمدية .

- سأله :
- ما رأيك ؟

فقال كمال :

- من الآن ، سوف أحجز لك صالة لتعرض فيها .
- انتظر بعض الوقت .

- لم ؟ فعدد اللوحات يكفي .
- ما يزال في رأسي الكثير يا (كمال) .

وأخذ يسعل سعالا جافا .. و لاحظ (كمال) ، شدة نحافته و مدى تدهور صحته و أرجع ذلك إلى أنه أجهد نفسه , فما أنجزه في شهور ينجزه غيره في سنوات , و قال له :

- أظن أنه قد آن أن تستريح ، بعد هذا المجهود , و بدل ما تعد معرضا ليكن معرضين , و الذي في رأسك اجعله للمعرض الثاني ، و أنت في حاجة شديدة للراحة .
- لقد استرحت عشرين سنة .

فقال و هو يتأهب للانصراف :

- الآن أتركك مع أجمل الزهرات (ولاء) .

فأمسك به (عمر) وقال :

- انتظر .. فمنذ مدة طويلة لم تزرني .. و كلما أذهب إليك ، الخادم يخبرني بعدم وجودك .. ما الأمر ؟

صمت قليلا ثم قال بعد تردد :

- في وقت أخر أخبرك .

وتركه وانصرف ، قالت (ولاء) تخاطب والدها :

- معقول يا بابا .. لا نراك طوال تلك المدة .
- معذرة يا (ولاء) .. و لكن طوال تلك الفترة مشغول كما ترين .

تأملت ملامحة ثم قالت :

- شكلك تغير كثيرا ... ألا تأكل ؟!

فضحك طويلا :

- لا ، كل ما في الأمر أن عم (سيد) الطباخ لا يفتح شهيتي , المهم كيف حالك و حال إخوتك و ماما ؟

فقالت و قد شردت بعض الوقت :

- كلهم بخير .

أمسك يدها و سألها :

- هناك شيء تخفينه ... ما الأمر يا (ولاء) .. تحدثي .

فنظرت إلى الأرض قائلة :

- لقد تقدم لي عريس .
- مبروك ... و لكن كنت تعارضين تلك الفكرة ، إلا بعد أن تنهي تعليمك .
- الإنسان يعتقد فيما هو في حاجة إليه.
- و هل أنت في حاجة إلى تلك الخطبة

ترددت بعض الوقت , ثم قالت ، و هي تتجنب النظر إليه :

- أحيانا يكون الإنسان في حاجة إلى من يحميه من نفسه أو يجنبه أمورا و مواقف هو في غنى عنها .
- احذري أن يكون قبولك فكرة الخطبة مبدئيا ، هو رد فعل لموقف تعرضت له .
- التحذير في مكانه .
- لماذا اختلفتما ؟
- الخلاف منذ البداية , نظرته فكره , آراءه تختلف معي
- لم تتفقا في شيء إطلاقا ؟
- ربما رغبه كل منا في تحقيق ذاته .

صمت قليلا ، ثم سألها :

- و ما مواصفات الخطيب و اسمه .
- اسمه رشاد ... بن الحاج (عبد المقصود) .
- أعرف الحاج (عبد المقصود) .. فقد قابلته مرة أو مرتين .
- و (رشاد مهندس) زراعي ناجح جدا في عمله و مشاريعه .

ابتسم (عمر) و قال :

- وماذا يعيبه ؟
- خجول .. و شكله و ملابسه و طريقة كلامه ، تجعل أي فتاة تنفر منه .

- و أنت لست أي فتاة .
- لأنك علمتني ، أن الشكل و المظهر يجب ألا نعتمد عليهما في تقدير الشخص .

أمسك يدها بحب و حنان ، و نظر في عينيها الجميلتين وسألها :

- و ماذا قررت ؟
- نسيت أن أخبرك ، أن ماما غير موافقة عليه بالمرة .
- طبعا من أجل شكله و مظهره .
- و شيء آخر .. أن (ريهام) ابنة خالتي ، بعد أن تقدم لها رفضته .
- طبعا ... فهذا سبب كاف يجعل ماما ترفضه .

سادت فترة من صمت قطعها بقوله :

- و كيف ستقنعين ماما ؟
- أنا لست في حاجة إلى إقناعها ، لأنها أعلنت قرارها ، و أنا أعرف مبررات هذا القرار, وأنت تعرف ماما إذا تمسكت برأيها .
- و إذا رفضت أنا الأخر .
- أكون الشخص الثالث الذي يرفض هذا الأمر .

ربت على كتفها قائلا :

- أنا موافق على هذا العريس ، لأني أشعر أن هذا فيه مصلحتك .
- إذن لا بد أن تحضر لتتعرف عليه . أم أنك لن تحضر .
- إنه من أسعد الأيام لدي ... فكيف لا أحضر ؟

قالت، وعينها تترقرق بالدموع :

- بابا ، كل يوم حبك يزداد في قلبي .

وتعانق الأب وابنته طويلا .

(45)

- مبروك يا أم (فاتن) .

فقالت ساخرة :

- علام ؟
- على خطبة (ولاء) .
- كنت أتمنى مستقبلا أخر .
- وأنت خبيرة بتخطيط المستقبل ، فلماذا لم تقنعيها .
- لا أظن سأنجح في ذلك .
- لم ؟
- لأنك أنت الذي دفعتها لتوافق عليه .
- أنا لم أدفعها , و لكن طلبت موافقتي فوافقت .
- أترى أنه مناسب لها , و يستحقها ؟
- أهله طيبون ، وله مستقبل عظيم .

فقالت بإمتعاض :

- كان يجب أن نتفق على رأي .

فقال وهو يهتز، تحت نوبة سعال انتابته :

- تقصدين نتفق على الرفض .
- و لم لا ؟
- (ولاء) لم تعد صغيرة , وهي دون غيرها تعرف مصلحتها .
- ما كانت وافقت على أول شخص ، طرق الباب خاطبا .
- أنت لا ترفضين الموضوع ؛ لأن بنت أختك رفضته , لذلك فالأمر أمر مظهرك أمام الناس .

فنظرت إليه مندهشة :

- و ما أدراك ؟
- لقد حضرت إلي (ولاء) و حكت لي عن كل شيء .
- إذن ، اتفقتما على كل شيء .

أخذ يسعل بقوة :

- وهل هذا يضيرك في شيء ؟
- لا .

نظرت إلى ملابسه ، وابتسمت مشيرة إليه :

- ألا ترى أن الألوان غير مناسبة ؟ و ما هذا ؟ ألا تأكل ؟
- هناك أشياء أهم من اللبس و الأكل .

و سعل سعالا جافا , فقالت :

- وأهم من صحتك ؟
- على ما يبدو أني أصبت بالبرد .

شعرت بسرور خفي ، حينما رأت هذا التغير الكبير على مظهره ، وصحته ، وهذا دليل على أن حالته قد ساءت و هو بعيد عنها , و تلهفت أن تعرف تفاصيل أكثر عن حياته , و ليس أمامها إلا (ولاء) .

قطع حبل تفكيرها قائلا :

- والآن سوف أنصرف .
- ألن تبقى لتتناول العشاء معنا ؟
- ورائي أعمال كثيرة .

(46)

- ألا يعوقك عملك عن الكتابة .
- لوعاقني عملي فلن أكتب , لأن الذي يعيشني هوعملي, وليس الكتابة , ثم أنا لا أكتب كثيرا .
- لم ؟
- الإحباط , الإحساس بعدم جدوى ما أكتبه , وإن كانت اللحظات التي أكتب فيها هي من أجمل اللحظات التي أعيشها .
- و هل تستمتع و أنت تكتب ؟
- قمة الاستمتاع .
- لم ؟
- لحظات مقطرة من الوجود ، بكل ما فيه من شجن و سعادة .
- ألهذا ما يكتبه الشاعر يكون عزيزا عليه ؟
- نعم .
- وأنت ما القصائد العزيزة عليك ؟

صمت قليلا ثم قال :

- تلك القصائد التي كتبتها منذ أن رأيتك .

فقالت بدلال و سحر صبياني :

- هل كتبت قصائدا في ؟
- كثيرا .
- إذن ، اقرأها علي , أو هاتها لأقرأها .
- أخاف .
- مم ؟
- أن تهرب التي في الحقيقة من التي في الخيال .
- لعلهما يكونان شيئا واحدا .
- أكون أسعد الشعراء على الأرض

صمتت قليلا ثم قالت ، وقد توردت وجنتاها :

- المدة التي قضيناها معا قصيرة جدا و ...

فقاطعها قائلا :

- المشاعر و الأحاسيس لا يحدها زمان ولا مكان .
- أظنك متسرعا في مشاعرك يا (سمير) و ...
- ألم أقل لك أنني أخاف .
- و أنا أيضا أخاف
- مم ؟
- ليس من شيء ,و إنما عليك .

ارتعشت شفتاها قليلا ، و نظرت إليه نظرة لن ينساها ما عاش , ولا يدري أيفرح أم يحزن ؟ و لكن ماذا تقصد من قولها هذا ؟ و ماله يبدد أسعد اللحظات بالبحث عن معاني كلامها , يكفيه أنه استطاع أن ينقل إحساسه إليها , وأن تدركه , ليس هذا فقط بل تشاركه , أحس أنها قريبة منه , احتضنها بقلبه و عينيه , و لم يبق إلا أن يضمها بذراعيه , و هنا دخل والدها تسبقه ضحكاته قائلا ، و هو يمد يده مصافحا (سمير) :

- طبعا جلسة شاعرية .

جلس واضعا قدما فوق الأخرى قائلا :

- ما هذا يا (نشوى) ؟ ألم تأمري بشيء للأستاذ (سمير) يشربه .
- حالا يا بابا .

قال (سمير) :

- اسمح لي أن أعبر عن شكري ،لاهتمامك بموضوع النشر .
- هذا شيء بسيط يا أستاذ (سمير) , و على فكرة , لقد اتصل بي الناشر اليوم و أخبرني أن أبلغك أنهم قرروا نشرديوان لك , و يطلبونك لتكتب العقد .
- لا أجد كلمات تعبر عن شكري لك .
- أتعرف يا أستاذ (سمير) أن وجود الشعر هام جدا في حياتنا , إنه مثل هذه الزهور على المنضدة , أو على مكتبي في المستشفى , قد لا أشم رائحتها أو أنتبه إلى جمال ألوانها و بديع أشكالها , و مع ذلك أكاد أجن إذا لم أجدها أمامي , فوجودها يمدني بإحساس بالأمن و الإستقرار و الخير , كذلك الشعر , مجرد إحساسي بأنه موجود يطمئنني أن الدنيا بخير ، ربما يكون في هذا ظلم للشعر ، و لكن هذا هو إحساسي , ذلك لأني رجل عملي بعيد عن الأدب و الشعر .

فقالت (نشوى) :

- لا يا بابا , هذا فيه ظلم للشعر و الشعراء أيضا .

فقال لها :

- أنا لا أدري لم أخترت الدراسة العلمية يا (نشوى) و لك ميول أدبية ؟

و سألها (سمير) :

- ألم تجربي أن تكتبي ؟
- والله فكرة ... لماذا لا تكتبين .. حاولي , و علي أن أنشر أول شيء تكتبينه في أكبر دور النشر .

فضحكت طويلا ثم و قالت :

- لا ... أنا أكتفي بقراءة الأدب و بالأخص الشعر , فأين أنا و كتابة الشعر .

فقال (سمير) :

- الشعر يفخر أن تنتسبي إليه بالكتابة أو القراءة .

فقال الدكتور :

- (سمير) هذا مجامل لطيف .

ثم نهض مخاطبا ابنته :

- هيا ... مري الخادم ليعد العشاء , (سمير) سنتناول العشاء معا .

إلا أنه اعتذر , و خرج بعد أن ودع (نشوى) .

(47)

- و ماذا يعمل والدك ؟
- لديه محل ... حلاقة .

صمت قليلا ثم سأله :

- ألديك شقة ؟
- نعم .
- مساحتها ؟
- حجرتان و صالة .
- هل لك إيراد أخر، سوى راتبك من مكتب المحاماة .

دخلت (ريهام) تحمل أكواب العصير , وأعطت كوبا لوالدها و أخر (لإيهاب) ثم جلست بالقرب من (إيهاب) , شرب الأب عدة رشفات ثم وضع قدما فوق الأخرى , و قال :

- ما رأيك يا أستاذ (إيهاب) في الزواج المبكر للشباب ؟
- هذا عين الصواب .
- لا ... أنا لا أتفق معك .
- لم ؟
- لأن أي شاب في حاجة إلى أن يبني نفسه أولا ، ثم يفكر بعد ذلك في الزواج لنأخذك مثلا ... أنت لم تتخرج إلا منذ سنوات قليلة ، و تعمل في مكتب محاماة , و راتبك يكاد يكفي مصروفك , عندك شقة صغيرة , ربما تكون في حي شعبي داخل حارة داخل زقاق لا تصلح شقة للزواج ولا حتى مكتب , وإذا اتفقت معك أنها تصلح مكتب , فأمامك سنوات حتى يعرفك الناس و يثقوا بك , فمن الظلم لنفسك أن تفكر في تحمل أعباء الزواج من الآن .

نظرت (ريهام) إلى والدها و قد بوغتت من كلامه و قالت :

- بابا ...

لم يلتفت إليها قائلا :

- لا تظن أني رفضت طلبك , و لكني أبصرك , وهذا واجب علي كوالدك , يا بني هذا زمن مكلف , و أكثر الذين يعانون هم الشباب , والواجب أن يعملوا للتخفيف من معاناتهم لا أن يضيفوا إلى أعبائهم أعباء أخرى , مرة أخرى لا تظن أني أرفض طلبك , و لكن (ريهام) تعودت على مستوى مرتفع من الحياة و ....

فقاطعت والدها قائلة :

- بابا ... أنا كأي فتاة عادية , و أستطيع أن أتحمل .

نهض (إيهاب) و قد شعر أنه عري من جميع ملابسه أمام (ريهام) , انكسار و خزي و إهانة , لا يدري كيف ولم تحملها ؟ و بالكاد استطاع أن يخرج الكلمات من فمه قائلا :

- أظن الآن فقط عرفت رد حضرتك على طلبي , و لكنك نسيت شيئا هاما يا أستاذ (مصطفى) أننا نحن الشباب نملك الغد , و نستطيع أن نفعل المعجزات .
- أنا متفق معك , ولكن هناك مثل يقول (نحن أولاد النهاردة) أما الغد فهو بظهر الغيب كما يقول الخيام ... تشرفنا يا بني.

وتصافحا و انصرف (إيهاب) لا يلوي على شيء .

- قالت لها من بين دموعها :

(48)

- أرأيت ما فعله بابا مع (إيهاب) ؟

أخذتها في أحضانها , و أخذت تربت على ظهرها :

- بابا يريد مصلحتك يا (ريري) .

نحت ذراعيها عنها , و نظرت إليها مندهشة قائلة :

- ما هذا الذي تقولينه .. أين وعدك لي أنك ستساعديني ، و تجبرين بابا على قبول (إيهاب) ؟...ألم تعديني بذلك ؟!
- ظننت أنك ستختارين شابا من مستوانا , و ليس والده حلاق ، و هو مازال يعمل في مكتب محاماة .
- و لكني أحبه , و لن أتزوج غيره .

تعرف صلابة رأي ابنتها , و أنها إذا صممت على شيء ، فلابد أن تنفذه , و إذا أرادت شيئا لا بد أن تناله , لا يعنيها بعد ذلك ما يترتب على ذلك , واستشفت تصميما غريبا في كلماتها ، ولأول مرة تؤيد زوجها و تخالف ابنتها , رغم ما تجد في تلك المخالفة من ألم و أسى , فطلبات ابنتها لا تقبل المناقشة , و مقدمة على كل طلبات أفراد العائلة حتى زوجها , و لكن أمر زواجها ليس طلبا يلبى أو يرفض , إنه مستقبلها و مصيرها , وليس أمامها من سبيل سوى إقناعها , قالت و هي تمس على شعرها :

- (ريري) يا حبيبتي .. الزواج لا يقوم على الحب فقط , أنت في حاجه إلى من يقدم لك الأمن و الإستقرار والحياة الهانئة , ولست التي تستطيعين الإستغناء حتى عن الترف و الرفاهية و(إيهاب) لن يستطيع أن يوفر لك حتى الحد الأدنى .
- و لكني أحبه ، و على استعداد أن أضحي بكل شيء من أجله ، وأقولها لك يا ماما سأتزوجه .. سأتزوجه .
- و ماذا سنقول لبابا ؟
- بابا يريد الإنتقام مني لأني رفضت ابن أخيه .
- لقد وافقت عليه (ولاء) ابنة خالتك .
- طبعا لأن الاثنين يناسبان بعض .

صممت (ريهام) قليلا ، ثم قالت :

- ماما .. لم لا نتزوج و يأتي (إيهاب) ويعيش معنا ، أليس لي نصيب في هذا البيت الكبير ؟
- طبعا لك ، ولكن منظرنا أمام الناس ، والواجب أن يأتي العريس بالشقة ، وكل شيء .
- و من أين سيأتي (أيهاب) بكل شئ ؟
- لقد قلتيها .. من أين سيأتي , فهو ليس معه شيء .
- و لكني أحبه .. و لن أتزوج غيره .

صمتت الأم قليلا .. ثم قالت ، وهي تنهض .

- اتركي الأمر لي .. انهضي واغسلي وجهك .

(49)

- أنا اليوم سعيد .. فقد خطبت ابنتي (ولاء) بالأمس .
- مبروك يا (عمر) .

صمت قليلا ثم سألها :

- متى سنتزوج يا ليلى ؟

فقالت ، و قد تغيرت ملامحها .

- (عمر) لقد تكلمنا في هذا الموضع كثيرا .

سعل طويلا ، ثم قال وهو يتنفس بصعوبة :

- نعم تكلمنا عنه كثيرا, ولكن لم نصل فيه إلى قرار .

أما هي فقد وصلت إلى قرار, ولكن ما عاهدت نفسها ألا تعلنه له إلا بعد الإنتهاء من المعرض الذي يود إقامته , لأن ربما يكون له وقع سئ عليه . تنبهت من شرودها و قالت :

- لا أريدك أن تشغل بالك بأي شيء , سوى المعرض , ومن رأيي أن تقيمه في أقرب وقت لكي تنتهي , فاستمرارك في العمل بهذا الشكل يقضي عليك .
- سعادتي تزداد كلما أنجزت شيئا ، لم أكن أتخيل أني سأنجزه .
- أنت بهذا تقتل نفسك يا (عمر) ، حرام عليك .
- أتخافين علي ؟
- على الأقل اذهب إلى الطبيب .
- أعرف ما سوف يقوله .
- إذن ، لم لا تسمع ما سوف يقوله ؟
- لأنه سيمنعني من العمل .
- أنا أشعرأن هناك ثار بينك و بين الأيام .
- الشيء الوحيد الذي سيجعلني أنهي ما بدأته وعدك أن نتزوج .

- ألم أقل لك لا تشغل بالك بشيء سوى العمل .
- بم أشغل فكري إن لم أشغله بأعز و أحب إنسانة إلى قلبي ؟

نظرت في ساعتها قائلة :

- ألا يكفي ما أضعناه من وقت اليوم ؟
- ليت ما بقي من عمري أضيعه في الجلوس معك و التحدث إليك .

قالت ، وهي تتهيأ للانصراف و تدفعه للعمل :

- إذن لن تنجز شيئا .. هيا يا (عمر) .

(50)

- اسمعا ما سأقوله لكما , ماما شعرت بالذى بينكما، وستظل تسأل حتى تعرف السبب... وإلى متى ستظلان متخاصمتين , وأعرف أن كل منكما تريد أن تصالح الأخرى , ولكن عزة النفس المتضخمة عندكما ..هيا يا (جالا) اعتذرى (لحنان) .

نهضت (جالا) بعد تردد ، وعانقت أختها ، وبادلتها تلك عناقا بعناق .

- والآن سأحضر الشاى والكيك .

وبعد أن احضرت (شوق) الشاى والكيك ، قالت وكأنها تبوح بسر خطير .

- لقد تأكد لى الآن أن فى حياة ماما رجل .

فاقتربا منها ، وفم كل منهما ملآن بقطع الكيك ،وكلهما لهفة :

- كيف ؟ اخبرينا ...فأنت تجلسين معها أكثر منا .
- لقد فاتحتها فى أمر الزواج , فتغيرت ملامحها , وتهربت من الإجابة عن أسئلتى .

فقالت (حنان) بسخرية :

- كل هذا لا يكفى ياعبقرية .
- ماما لم تكن تذهب إلى (الكوافير) ، ولم يكن لديها مكياج ولا بارفان, ولم تكن تهتم هذا الاهتمام بمظهرها, وما من مرة ادخل عليها حجرتها إلا وأجدها شاردة ...أتصدقوننى لو قلت لكما ان صوتها تغير ؟

فقالت (جالا):

- ومن يكون هذا الرجل ؟ أنعرفه ؟

فقالت (شوق) :

- بالطبع لا .

قالت (حنان)

- أمعقول (ماما) تعرف رجلا ، وممكن أن تتزوجه ؟

فتساءلت (جالا) :

- ولو تم الزواج...هل ماما ستذهب لتعيش معه,أم هو سيأتى ليعيش معانا هنا ؟
- فقالت (حنان) غاضبة :
- هل هذا كل همك؟
- نعم , فمحال أن تتركنا لتعيش فى مكان أخر , ومحال أيضا أن تأتى برجل إلى بيتنا .

قالت(شوق) :

- معك حق , وماما تعرف هذا .

فعقبت (حنان) .

- أيمكن أن تمر ماما بمرحلة مراهقة متأخرة .

فقالت (جالا) :

- ولم لا, ماما تزوجت بابا وهى صغيرة ، وأنجبتنا , وتحملت مسئولية تربيتنا وحدها , فربما تعيش الآن المرحلة التى لم تعيشها فيما مضى .

فقالت (حنان)

- ولماذا نجهد عقولنا ؟ فلنسألها .

فقالت (شوق) مندهشة :

- أجننت.... ماذا نقول لها؟

- إذن سنظل هكذا ، نضرب أخماسا فى أسداس .
فقالت (جالا) ، وهى تأتى على كوب الشاى :
- اتركا هذا الموضوع ... غدا كل شىء يظهر .. ربما نكون مخطئين فى كل ما نفكر فيه

(51)

- ولكن (ريرى) متعلقة به
فقال لها غاضبا :
- مامعنى (ريرى) متعلقه به ؟ ألم تخبرينى أن جارتك هى التى أتت به ؟
- لقد كذبت عليك .. فهى تعرفه من أيام الجامعة.
نهض واقفا وكأنه كتلة مشتعلة من الغضب :
- تعرفين كل هذا، وتدلسين على البنت , نعم فتلك هى تربيتك لها وأخر تدليلك .
- البنت لم تخطىء , والشاب غرضه شريف ، وقد جاء ليطلب يدها منك .
- من أجل هذا ، رفضت ابن عمها .
- لن نرغم البنت ،على التزوج من شخص لاتحبه .
- وهذا الذى تحبه...ليس معه شىء , وأبوه حلاق .. أأضعيدى فى يد حلاق؟
- أليست مهنة شريفة ؟
- دعك من مهنة أبيه , هل هذا الشاب يستطيع أن يوفر لإبنتك الحياة التى تعيشها الآن؟
فقالت بعد تردد:
- البركة فيك .
- لا أفهم ، ماذا تقصدين ؟
- نساعده .
- أنت جنيت لا شك فى هذا ... كيف نساعده ؟ تكلمى؟
- نعطيه شقه يتزوج فيها ، ونكتبها باسم (ريرى) .
- ليست المشكله مشكلة شقه , من أين سيجهزها .. وكيف سيوفر لها الرفاهية التي لا تستطيع أن تستغنى عنها ؟ ألاتعرفين كيف تعيش ابنتك ، أخبرى ابنتك أن تصرف ذهنها عن هذا الشاب ، وإلاحطمت البيت فوق دماغكم .

(52)

انفجر (سمير) فى الضحك المتواصل حتى أن رواد المقهى أخذوا ينظرون إليه مندهشين ،سأله :
- ماالذى يضحك فى هذا الأمر؟
- وماذا كنت تنتظر من والدها غير ذلك؟ ثم هل لعاقل أن يدخل جهنم بقدميه ؟
- أى جهنم تلك التى دخلتها ؟
- بيت(ريهام).
- لا أفهم شيئا .
- معنى أنك دخلت بيتها ، وجلست مع والدها ، أنك على استعداد أن تتحمل وتنفذ كل طلباتهم ، من شقة وجهاز وشبكة وفرح....أم كنت تظن أنه سيرحب بك ويوافق عليك؟
- ولكن (ريهام) أفهمتنى غير ذلك, وألحت كثيرا أن أذهب كي أطلبها .
- ربما ظنت أنك جاهز ماديا .. ألم تصارحها ؟
- هى تعرف كل شيء عن ظروفى .
- فهمت.
- فهمت ماذا؟
- على مايبدو أنها أرادت أن تتخلص منك , فقالت بيد ابى لا بيدى .
- لا يا(سمير).. أنت لاتعرف مقدار حبها لى .

- إذن ، فسر لى ..لم أصرت أن تطلبها من والدها ، وهى تعلم أن ظروفك لاتسمح ؟
- أظنه نوعا من التحدى .
- من يتحدى من ؟
- كانت تعلم مقدما رفض والدها , ولكنها أرادت أن تعمل ما عليها ، كى لا يلومها أحد بعد ذلك على فعل شيء.
- وهل ستوافقها على ذلك؟
- لا أعرف ... أشعر أنى فاقد اتزانى ,ومشلول عن التفكير .
- الحمد لله فإنى أحسن حالا منك .

فقال ساخرا:

- أحسن حالا ، كيف ؟
- نعم ، فإنى أعيش أروع قصة حب , لم أدرك أن الحب بهذه الروعة
- صارحتها .
- نعم .
- لم ترفض .
- ولم تقبل .
- كأنك كنت معنا .
- إنك أحمق .
- لم ؟
- احتمال رفضها فى أى وقت ، وتحت أى ظرف وارد .
- كذلك احتمال قبولها مستقبلا وارد.
- ومصير هذا الحب؟
- ألا فلتعلم ياصديقى .. نحن الشباب العاثر الحظ أمامنا طريقان ، أما لا نحب بالمرة , أو نحب ، ولكن بدون أمل فى دوام هذا الحب .
- وهل بأيدينا أن نحب أولا نحب ؟

نهض (سمير) وأخذ بيد(إيهاب) قائلا:

- هيا لتتناول العشاءمعي .

فقال (إيهاب) غير مصدق :

- تلك دعوة صريحة على العشاء أأنت فى كامل وعيك ؟
- نعم .
- ولكن ما المناسبة ؟
- لقد مضيت عقد نشر ديوان شعر .

فتهلل(إيهاب) فرحا وقال :

- ألف مبروك يا (سمير) ... هيا ...تلك مناسبة يجب أن نحتفل بها .. فليس كل عشر سنين ننشر ديوانا .

(53)

- ماذا حدث للأستاذ (عمر) ؟
- لقد دعانا لنقضى السهرة فى شقته، وفجأة شعر بألم شديد فى صدره ، وذهب فى غيبوبة، أخذه الدكتور (زكريا) إلى المستشفى ، ولم نتركه إلابعد أن تحسنت حالته فى الصباح .

فضرب كفا بكف ،وقال :

- كل يوم أذهب إليه ونشرب القهوة سويا .. لم يكن يشكو من شيء .

- أليس له زوجة وأولاد ؟
- طبعا يا بنى .
- إذن ، لماذا يعيش منفردا ؟
- لقد سألته وأخبرنى أنه يريد التفرغ لعمله ، وإن كنت أشك فى ذلك ، دعك من ذلك وأخبرنى... متى ستفتح مكتبك؟
- ليس المهم أن أفتح مكتبا...ولكن المهم هل سيعمل أم لا.
- أمرك عجيب يا (إيهاب)...ولماذا لا يعمل يابنى ؟
- الشقه فى مكان بعيد ، وأنا ليس لى اسم وسط الأسماء الكبيرة للمحاميين .
- وهل تظن أن الأسماء الكبيرة أصبحت هكذا بين يوم وليلة ؟ أم أنك ستظل تعمل عند الأستاذ .
- أفضل أن أعمل عنده ، بدلا من أن أتركه ، ثم أندم بعد ذلك.
- الشقه شقتك...فأفعل بها ما تشاء .

(54)

- أظن أني فعلت ما على .
- آسفة عما حدث يا (إيهاب) من بابا .
- لقد تحملت الإهانة ،وكل هذا الكلام الجارح من أجلك .

اقتربت منه أكثر، قائلة :

- أعترف لك ، بعد حدوث ما حدث ، زاد حبك فى قلبى .
- ياسلام!!
- بذهابك إلى بيتى ، وطلبك الزواج منى أثبت أنك تحبنى .
- وهل كان لديك شك فى ذلك؟
- (إيهاب)...لقد قررت أن نتزوج فى أقرب وقت .
- أأنت مجنونة ؟!
- أنا عاقلة ، ومسئولةعن تصرفاتى ، أنا لم آتى إلى تلك الحياة لأجعل الأخرين يشكلون حياتى ....لقدحضرت إلى ولدى لتطلب يدى ، وأنا أعلنت لهم بكل صراحة أنى أريدك.
- ولكنهم رفضوا.
- هم أحرار ، وكذلك نحين أحرار....هيا ، ألن تعقد قرانى ؟
- لاشك أنك مجنونة .
- نكن مجانين فعلا ، إن لم نفعل ما أقوله لك.
- لنتروى يا (ريهام) بعض الشيء .

احمرت وجنتيها وانبجس الدمع من عينيها ، وقالت بانكسار :

- أهب لك نفسي ، متحدية أهلى ، ومضحية بكل شيء ، ثم تقول لى تروى ، أول مرة اكتشف أنى رخيصة جدا عندك ، ماذا تظن الذى دفعنى الى كل هذا غير حبى لك ؟

أخرجت منديلا من حقيبتها ، وأخذت تجفف به دموعها ، وقبل أن تنصرف قالت :

- لن ترى وجهى بعد الآن .

أمسك بيدها ، أعترف لنفسه أنها أقوى منه ، وكذلك حبها أقوى من حبه ، أو ربما لأنها ، تغلب جانب العاطفة ، وهو يغلب جانب العقل ، شعرأنه يذوب حبا فيها،وكل كيانه يفيض بالعشق والوله نحوها ،وأنها فى تلك اللحظة ، تمده بقوة ليتحدى ويحقق المعجزات... قال :

- انتظرى حتى ترى الشقة ، ونفرشها ، أم أننا سنعيش على البلاط .

جلست تحت إلحاح منه ، إلا أنها تجنبت النظر إليه ، فقال لها :

- يجب أن تعرفى أن الأمور فى حاجة إلى وقت كى نرتب كل شيء ، سوف آخذك الآن لترى الشقة ، ثم بعد ذلك تأتى مرحلة عقد القران .

اغتصبت ابتسامة ، ثم قالت :

- هيا بنا.

(55)

رفض (التاكسى) الدخول إلى المكان ؛ لكثرة المطبات ووعورة الطريق ، دفع (إيهاب) له الأجرة ، ثم نزلا وسارا على الأقدام ، العيون تلاحقهما ،أوشكت أن تتعثر أكثرمن مرة ، وأخيرا وصلا إلى البيت الذى به الشقة ، فى الدور الأرضى ، الرطوبة المستكنة فى الجدران شوهتها، و رغم أنه فتح الناقذة إلا أن الرائحة الراكدة كانت تزكم الأنف ، وكان فى إحد الغرف كرسى ، ومنضدة ،جلست لتستريح ثم نهضت لتكمل جولتها، الحمام ضيق للغايه ، أما المطبخ فهو مكان لايصلح لشيء بالمرة ، به موقد وحوله بعض العلب بها شاى وقهوة وسكر، أشعله (إيهاب) وأخذ يعد الشاى ، نظر فى عينيها ليلمح أى تغيير وقال :

- بعد مارأيت الشقة ...أظنك ستعيدين التفكير فى الأمر.

فقالت بعدما أطالت النظر فى عينيه .

- يكفى أنه أجمل مكان فى العالم ؛ لأنك موجود فيه .

فأمسك يدها ، قائلا :

- الذى يخيفنى الآن ، هو تمسك غير المعقول بى ، وعدم اهتمامك بأى شيء دون ذلك.

اقتربت منه أكثر فأكثر، وذابا فى قبلة ، أنسيتهما كل مافى الوجود.

(56)

لقد تعبت كثيرا ، حتى استطاعت أن تجعل منه شخصا ،لا تخجل من الظهور به فى الأماكن العامة ، غيرت طريقة تسريحة شعره ، وإطار نظارته العريض الباهت ، وحتى عدساتها ، وملابسه العتيقة ، وطريقة كلامه ونطقه للحروف وإماءاته.. ولكن رغم تعبها ، كانت سعيدة ،لأنها عثرت على الشخص المنشود، فقد اكتشفت مدى نبل أخلاقه ، ومعدنه الصافى الطيب ، وأسلوبه الصريح فى المعاملة لمن حوله . قالت له :

- مارأيك فى هذا المكان؟
- لابأس به ، وإن كنت أفضل أن أجلس فى الدوار ... قصدى فى البيت عندكم .
- المفروض يا (رشاد) أن نخرج باستمرار ، وننطلق ونتحدث ونرى الناس ، والناس يشاهدوننا .
- أسوأ مافى هذا المكان ، هم الناس .
- ألم نتحدث فى هذا الموضوع أكثر من مرة...حياتنا مع الناس ، فليس أقل من أن يكون لدينا القدرة والشجاعة فى التعامل معهم ، بل وإجبارهم على احترامنا .
- لدى سؤال ...هل أنت تغيرين من شكلى لأنى لا أعجبك ؟ وإذا لم أكن أعجبك فلماذا وافقتين على الزواج منى؟
- أنا لا أقيم الشخص أو أحكم عليه من شكله ومظهره ، وأصارحك ، أول مرة رأيتك فيها ، كنت على وشك الانفجار فى الضحك ، وتمالكت نفسى بصعوبة ، وكنت على وشك أن أرفضك، ولكنى بعد ذلك ، وجدت فيك صفات عظيمة .
- لو أقاموا مسابقة عالمية لاختيارأسعد شخص فى العالم ، لاشك أنى سأكون ذلك الشخص .. والسبب يرجع إليك .

وفجأة اقتحم عليها الجلسة (فتحى) ، وقال محدثا (ولاء) متجاهلا (رشاد) :

- أهلا بالآنسة (ولاء) ، لم أرك منذ مدة طويلة و....

فقاطعته ، وهى تشير إلى (رشاد) :

- اسمح لى أن أقدم لك (رشاد) ...خطيبى .

بوغت من قولها ...تراجع خطوة إلى الوراء ، ونظرإلى (رشاد) ، وتأمله من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، ثم قال ، بدون اكتراث .

- أهلا .

وقالت تخاطب (رشاد) :

- الأستاذ (فتحى) أمين صندوق النادى ،على فكرة (رشاد) يريد الاشتراك فى النادى.
- لامانع.. سوف أرسل لك استمارة عضوية ، ومبروك على الخطوبة .

وبعد أن انصرف ، سادت فترة صمت بينهما ، قالت (ولاء) :

- لم تسألنى عن الأستاذ (فتحى) .

فقال ، وقد تغير صوته بعض الشيء :

- لقد اخبرتينى .

شعرت ببعض الضيق ، فقالت:

- هيا لنعد البيت

(75)

- أليس عندها سيارة .
- بلى... فوالدها غنى .
- ولم لا يحضرها ، والدها فى سيارته .
- لأن والدها منفصل عن أمها ،.ويعيش فى شقة بمفرده .
- ألم يتزوج ؟
- قد يتزوج .
- أما ان تزوج أولا .
- (ولاء) تخمن أنه على علاقة بامرأة..وتلك العلاقة ، قد تنتهى بالزواج .
- وماذا تعمل تلك المرأة ؟
- صاحبة محل لبيع الهدايا .

أو شكت الأرض أن تميد من تحت قدميها ، إذن كانت شكوك أختيها فى محلها إنها لاتصدق أذنيها ... شعرت بضيق شديد ، حتى لاحظت (نجلاء) ذلك فسألتها:

- مابك ؟
- صداع شديد، سوف أعود إلى البيت .

(58)

- كل هذا بسبب إجهادك المتواصل فى العمل ، أنت تعمل بجنون ، ستقتل نفسك .
- أجمل مافى المرض رغم مرارته ، أنه يعرفك ويكشف لك عن مدى حب الأخرين لك؟

وألتفت ، مشيرا الى الزهور التى تملأ الغرفة حوله :

- وأيضا تمضى ساعات وسط تلك الزهور الجميلة البديعة ، لقد فكرت طويلا ،
- لماذا يقدمون الزهور للمريض؟
- طبعا ، لكى يدخلوا البهجة على نفسه .
- هذا هو التعريف المتعارف بين الناس .
- ألديك تفسير أخر؟
- نعم ، بتقديمهم الزهور للمريض ، يقولون له الحقيقة ، ولكن بطريقة رقيقة .
- أى حقيقة ؟
- يريدون أن يقولوا له أن موتك شيء طبيعى ، ويجب أن تواجه قدرك بكل شجاعه ، مثل تلك الزهور ، فهى تستقبل قدرها بكل جمال ونبل...فغدا أو بعد غد ستموت.

فقالت له تلومه :

- لماذا تفكر كثيرا فى الموت؟
- لأنى سائر إليه لامحالة ، المجنون هو من لا يفكر فيه .
- دع عنك هذا التفكير.

- على فكرة ...لقد اتصلت (بكمال) كى يحجز له صالة عرض .
- ولكن لديك عدد من اللوحات ، لم يكتمل بعد .
- ساعرضها بدون أن تكتمل ، فالاكتمال يعطى إحساسا بالنهاية .
- والله يا (عمر) فكرة جيدة .
- جهزى نفسك ، لأنك أنت التى ستعدين ديكور المعرض وكل شيء .

حاولت أن تعتذر ، ولكنه أشار إليها أن لاجدوى من الاعتذار .

(59)

وهنا فتح الباب ، ودخلت (فاتن) ووراءها (ولاء) وخطيبها (رشاد) ، ولم يكن (عمر) يتوقع مجيئهم ، أخذت (فاتن) تطيل النظر إلى تلك المرأة التى لم تقابلها من قبل ، قالت تخاطب (عمر) بكل ترفع وكبرياء:

- الحمد لله على سلامتك.

أحس (عمر) أن ليلى تشعر بالحرج ، والأعين تنظر إليها ، فقال وهو يشير إليها :

- مدام (ليلى) مهندسة الديكور التى ستعد المعرض .

فقالت (ولاء) وقد تهللت أساريرها :

- إذن ، ستعرض قريبا يا بابا .
- إن شاء الله .

نهضت (ولاء) وصافحت (ليلى) قائلة :

- أهلا وسهلا مدام (ليلى) .

نظرت إليها (فاتن) وقد تغيرت ملامحها وقالت :

- أظنك يامدام قد بدأت فى تصميم ديكور المعرض ،وبدايتة ، زيارة فى المستشفى ، وأظن هذا من ضمن الترتيبات المعرض .

شعرت (ليلى) أنها غير مرغوب فيها ، فأخذت حقيبتها ، وانصرفت على الفور.

فقال (عمر) وقد أحسن بما تعرضت له (ليلى) من إحراج وإهانة :

- مالذى جاء بك يا(فاتن) ؟

فقالت ، وهى تنظر إلى ابنتها :

- طبعا محيئي غير مرغوب فيه ،عكرنا صفو الخلوة عليكما .
- ابنتك وخطيبها جالسان، فلا داع لمثل هذا الكلام
- طبعا, فأنت محرج من موقفك هذا.
- لم أكن في حاجة إلى زيارتك ولا إلى رؤيتك .

أحست أنها تلقت صفعة على وجهها ، امام ابنتها وخطيبها ، إلا أن دخول (كمال) المفاجئ صرف ذهنها عن التفكير في كيفية رد الصفعة ، وكان دخوله بمثابة ملطف للجو المتوتر ،الذي شاع في الحجرة ، قال له (عمر) :

- لكى أراك ، لابد أن ادخل المستشفى ، ما الأمر (كمال)؟ تغيبك عني تلك المدة ورائه شئ .

فقالت (ولاء) :

- أهذا معقول يا عم (كمال) ؟ ونحن معتمدون عليك أنك بجواره .

فتبسم (كمال) قائلا :

- يا (ولاء) يا ابنتي ...أبوك اشعل الغيرة في قلبي ، فكما يعد لإقامه معرض ،فأنا أيضا أعد لإقامة معرض .

فقال (عمر) :

- يا (كمال) .. أنت طوال عمرك تقيم معارض ، هنا وفي الخارج ، وكل وسائل الإعلام ورائك.. أما أنا فمعرضي الأول ، وقد يكون الأخير .

فقالت (ولاء) :

- ربنا يخليك يا بابا ، وتقيم مائة معرض .

جاءت الممرضه بجرعه دواء ليأخذها (عمر)، وبعد ذلك سأل (عمر) كمال :

- ما حقيقه الأمر يا كمال ؟ ما سبب تغيبك عني طوال تلك المدة؟ أظن لولا دخولي المستشفى ما رأيتك الآن .
- مشاغل شغلتني عنك .
- لم يحدث من قبل أن يشغلك عني أى شيء .

فنظر(كمال) إلى (فاتن) ، واقترب من (عمر) وربت على كتفه ، قائلا :

- ليس الآن يا (عمر)... المهم متى ستخرج ؟
- سوف أخرج غدا ، وقررت أن أبدأ تجهيزات إقامة المعرض .
- عظيم... سوف أحجز لك صالة وأدعوالصحفين والمهتمين بالفن ، وأجهزلك الدعاية من الآن .

(60)

- أهلا بسيادة المدير .... كيف حال المستشفى والإدارة .
- لم أكن أعرف أن العمل الإداري مرهق هكذا .
- هذا في البداية ، ولكن بعد ذلك سوف تتعودي على كل شيء.

صمت قليلا ثم ، قال :

- لقد اخبرني دكتور(زكريا) أنك أمرت أن تتحمل إدارة المستشفى نسبة من فواتير علاج المرضى .
- لا تنس أن الطب خدمة إنسانية قبل كل شيء .

أشعل لفافة ، ثم قال :

- ما تفعلينه يعتبر دعاية طيبة للمستشفى في أول عهدها .

فتعجبت قائلة :

- أنا لا أفعل ذلك للدعاية ، ولكن لأني مؤمنه به.
- يا (نشوى) ، العمل شيء ، والعواطف الإنسانية شيء أخر ،وينبغي أن تفرقي بين الاثنين ، وإلا ستكوني مديرة.....

فقاطعته قائلة :

- اسمح لي أن أقول لحضرتك يا بابا، أن الطب ليس عمل ككل الأعمال ، فالإنسان قد يصبر على أشياء كثيرة ، وقد يجد بدائل لأشياء كثيرة ،إلا فيما يخص صحته.
- إذن ، نحن لم نختلف ، لأننا نصون ونرعى أهم ما لدى الإنسان ،على هذا يجب أن يدفع ما يتوازي وقيمة هذا الشيء .
- ولكن هناك إناسا لا يقدرون على الدفع .
- إذن ، لا يعالجون .

صمتت قليلا ، ثم استدارت عنه ، قائلة .

- آسفة يا بابا ...لا أستطيع أن أدير المستشفى بهذا المنطق

وقف مبتسما ، وخرج من وراء المكتب ، ثم اقترب من(نشوى) وربت على كتفها ثم جلس أمامها ممسكا بيدها وقال .

- فى بداية حياتى العملية ، كان يحكمنى مايحكمك مشاعر، ولكني وجدت كل زملائي يتقدمون بسرعة وأنا أقف في مكاني لا اتقدم خطوة ، بل تأخرت خطوات ، وكانت العيادة في حاجة إلى أجهزة غالية الثمن ، وكان لي متطلبات كشاب في بداية حياته فتنبهت ، وعشت بمنطق الذين يعيشون حولي .
- هذا ضعف يابابا .

ضحك عاليا ، ثم نهض ، ورجع إلى مكانه ، خلف المكتب :

- دعينا من هذا الأمر، واخبريني ...كيف حال شاعرنا الهمام .

شردت قليلا ، ثم قالت :

- (سمير)... إنه إنسان نبيل ، وهو يقدر ما أسديت له من خدمة
- هل نشر ديوانه ؟
- أظن سيذهب بعد غد ، لاستلام نسخ من الديوان .
- أظنك سعيدة بذلك .
- أتصدق انه كتب إهداء لي على الديوان .

صمت قليلا ، ثم قال :
- لقد لاحظت ، أن علاقتك به توثقت ، وأصبحتما تتقابلان كثيرا .
- ماذا تقصد حضرتك؟
- اخشى أن ينشأ بينكما شيء ما ، والدكتور (فاضل) على وشك الانتهاء من رسالة الدكتوراه في الخارج ، ولا تنسى وعدنا له ، قبل أن يسافر .
نظرت إلى الأرض ، ولم تقل شيئا ، واستأنف قوله :
- ان ثقتي بك كبيرة ...وأعرف أنك تفكرين جيدا .

(61)

- لا بأس على والدك يا (ولاء) .
- شكرا يا (حنان) على شعورك الطيب .
- طبعا نحن مدعوون لزيارة معرض والدك .
فاندهشت قائلة :
- ومن الذى أخبرك ؟
- الدعايه تملأ الأسكندريه كلها ، ولكنك لم تخبرينى أن والدك فنان كبير
- كانت مجرد هواية ، وبعدما عاد من الخارج رأى أن يقيم معرضا لأعماله .
- وأنت سعيدة مع خطيبك ؟
- نعم ، فهو إنسان طيب ... أجمل ما فيه أنه ليس له ماضى أو أى علاقة من أى نوع
- ربما يكون له وجه أخر لا تعرفين عنه شيئا .
- لا أظن .
- أنا فكرتى على الرجال سيئة بصفة عامة .
فقالت ساخرة :
- مرة واحدة هكذا .
- أتستطيعين أن تفسرى لى ، لماذا يتزوج الرجل أخرى بالإضافة إلى زوجته الأولى ؟
- الشرع أباح له ذلك .
- نعم ، أباح له ذلك ، لأنه يعلم شرهه ونهمه ، فعمل ذلك لإرضاء غرائزه .
- ومن ينكر طبيعة الرجل وغرائزه ؟
- كأنك تقبلين وترضين أن يتزوج والدك أمرأة أخرى غير أمك ؟
نظرت إليها باندهاش ، وأحسنت أنها لا تتناقش معها حول فكرة عامة ، بل نتحدث عن شئ محدد ، وتذكرت أن والدها قد تحدث عن والدتها مرة ، وأنه أشترى هدية عيد ميلادها ذات مرة ، من محل تمتلكه أمها ، أيمكن أن يكون أبوها تزوج بدون أن تعرف ؟ أيمكن أن تعرف (حنان) شيئا عن أبيها هى لا تعرفه ؟ أحست أن صمتها طال ، فتنبهت من خواطرها ، ثم قالت :
- الغريب فى الأمر، أننا نحن الأبناء نتخيل أننا أوصياء على أبائنا وأمهاتنا ، فإذا كان أبى مثلا ، يريد الزواج بأمرأة أخرى ، فأنا لست وصية عليه .
- ولماذا تسمينها وصاية .
- إذن ، بما تسمينها ؟
- حق الأبناء ، على الأباء .
- وهذا الحق ، لا يكون إلا بالتدخل فى حرية اختيارهم ؟!
- أفهم من هذا ، أنك توافقين أن يتزوج والدك بغير والدتك .
فهزت رأسها قائلة :
- ولماذا أرفض إذا كانت تلك رغبته ، وأيضا رغبه المرأة التى أختارها .

أسرعت (نجلاء) إليهما قائلة وهى تلهث :
- أنسيتما أن المحاضرة قد حان موعدها .. والدكتور يغلق الباب بعد دخوله ... هيا أسرعا .

(62)

- يا بنى،هذا يوم السعد أن تتزوج ، أخبرنى من أبيها لكى أذهب وأخطبها لك منه ؟
فقال بعد تردد :
- لقد رفض أبوها .
فقال مندهشا
- أبوها رفضك !!
فقال بأسى :
- نعم ، لأنهم أغنى وأعلى من مستوانا .
- معه حق ، فأنت لا تصلح لها ، ولا هى تصلح لك ، طالما نحن لسنا من مستواهم .
- نعم يا أبى ... ولكن هى متمسكة بى ، وغير راضية عن رأيه هذا .
- ولكن البنت ليست ملك نفسها ، كما تعرف يا بني .
- لا ، بل تملك إرادتها ، وتتحدى أهلها ، وتصر على أن تتزوج .
- وماذا بيد البنت يا بنى ... إنها لابد أن تكون طوع أهلها .
فقال ، وهو يتجنب النظر إليه :
- لقد عقدنا العقد .
- تقصد بعد أن وافق أبوها .
- لا ... من وراء أهلها .
- وهل هذه المبادئ والأخلاق التى ربيتك عليها .. تذهب لتتزوج من بنت رغما عن أنف أهلها ورغما عن أنفى .
- رغما عنك ، كيف تقول هذا يا أبي ؟
- نعم ، طالما لم تخبرنى بشيء ، ولم تأخذ رأيي .
لم يجب بشيء ، ونظر إلى الارض ، وقال الأب بأسف وحزن :
- واضح يا بنى ، أنك تعد فى حاجة إلى ، وأنك بدأت تعتمد على نفسك فى كل شىء وفى غنى عنى .
أمسك بيد والده قائلا :
- كيف يا أبى ... أنا لا أستطيع الاستغناء عنك .
مد الأب أصابع يده ، ليبدد دمعة طفرت من عينيه ، وقال :
- أتدرى يا (إيهاب) إن أهل الحارة ، وكل جيراننا يحسدوننى على أنك ابنى .. كنت أرى فى عيونهم هذا .. وكان هذا يسعدنى .. كنت إذا حلقت لأحد الأغنياء أقول لنفسى أنا أغنى منه ، لأن عندى ابنى (إيهاب) ، كنت أذا خلوت إلى نفسى و أتأمل حالى اكتشف أنى عشت طوال عمرى مكافحا ، من صبى حلاق إلى أجير ، إلى صاحب محل ، لقد حرمتني الدنيا من أشياء كثيرة ،لكنها انصفتنى بك ، وعوضتنى عن كل الحرمان ، كنت انتظر اليوم الذى أذهب فيه لأخطب لك , وأتشرف بك , وأقول للجميع ، هذا ابنى المحامى , وأعمل لك حفلا ، أدعو فيه كل الأصدقاء والجيران ، ولكن على ما يبدو ، أن الدنيا لا تنصف محروما .
- وربت على كتفه ، وتركه ، وانصرف .

(63)

- لقد بحثت عنك فى كل مكان , واتصلت بك فى البيت أكثر من مرة , فلم أجد أمامي حلا إلا أن أتى إليك فى المستشفى .
فقالت ، وهى تسوى بعض الأوراق على المكتب ، وترد على مكالمات التليفون :
- كما ترى يا (سمير) ... إدارة المستشفى تجعلنى مشغولة جدا .
- لا يا (نشوى)... شىء ما ، يجعلنى أشعر أنك تتهربين منى .
- ما الذى يجعلك تتخيل هذا ؟

- شيء بسيط ... أنى منذ جلست ، لم تتقابل عينى وعيناك .

دخل بعض الأطباء لتوقيع عدد من الأوراق , وكذلك الممرضات لتلقى التعليمات وهى منهمكة فى عملها وقبل أن يستأنفا حديثهما دخل طبيب وصافحها وقال مهنئا :

- مبروك يا دكتور (نشوى) ، سمعت أن الدكتور (فاضل) سيعود بعد غد من المانيا.

فسألها (سمير) :

- من الدكتور (فاضل) ؟ ومبروك على ماذا ؟

ارتفعت عيناها إليه ، ولكن حلما ارتدت مرة أخرى , متجنبة نظاراته ، ولم تحر جوابا، فقال :

- سألتك ...فلم تجيبى .

استجمعت شجاعتها ، وقالت :

- إنه خطيبى .

أحسن أن الأرض مادت من تحت قدميه , فارت رأسه بأشلاء أفكار، وامتلأ قلبه بالغضب والحزن , وقال بصوت مذبوح :

- متى كان هذا ؟
- لقد اتفق مع بابا ، ولكن لم تتم الخطبة رسميا ...فقد أجلها بعد أن يحصل على الدكتوراة
- ولماذا لم تخبرينى بذلك ؟
- لم تأتى مناسبة ... ثم أنك لم تسأل .
- نعم ، فالخطأ عندى ، ولكن ... ولكن كل هذا الحب فى قلبى لك ماذا أفعل به .
- أنا لم أعدك بشيء .
- ولم تمنعينى عن حبك .
- أحسست أنك فى حاجة الى هذا الشعور .
- ولكنك كنت تعلمين ، أنك تستغلين هذا الشعور .
- تمنيت أن أحافظ عليه .
- بيدك ، أن تحافظين عليه .
- ووعدى .
- تحللي منه .
- النكث بالوعد ، سيؤدى إلى ظلم إنسان لا ذنب له ، عاش سنوات على أمل .

نهض واتجه نحو الباب ثم استدار قائلا :

- واضح أنك قد اخترت ... وأشكرك أن مدت لى يد العون ، وقدمت لى ما كنت فى حاجة إليه .

وانصرف ،لا يلوي على شيء .

(64)

- أمعقول ما أراه ..لا ..لست أنت(رشاد) ، الذى أعرفه ,شياكة وأناقة ووجاهة..أكل هذا من أثر الحب؟!

ابتسم (رشاد) فى حياء , وامتدت يده إلى نظارته , ولكن حالما أعاد يده ، فتلك الحركات التى كانت تلازمه ،عودته (ولاء) على الاقلاع عنها ، قال :

- أتعرف يادكتور(عيد) الإنسان مثل النائم ، يأتى الحب ويوقظه على أجمل صباح ,ويفتح حواسه على أرق المشاعر والأحاسيس .

صفق (عيد) على يديه ، قائلا :

- لقد أصبحنا شعراء أيضا ,اللهم أرزقنا مثلما رزقت عبدك الفقير(رشاد) .
- إنى أتعجب , كيف أمضيت عمرى هذا بدون أن أحب .
- إذن ، خير البر عاجله ...أتدرى ماذا يلزمك الآن ؟
- ماذا ؟
- شقة فى الأسكندرية على البحر, وتغير سيارتك , أو تهبها لى ، وتأتى بأخرى ، على أحدث موديل ... وأظن هذا طلبات العروس .

فابتسم (رشاد) وقال :
- أبدا ...إنها تريد أن تعيش فى القرية , كى لا أبتعد عن مباشرة العمل فى المزارع , وتعرض أن تساعدنى فى عملى .

فقال باندهاش :
- فرق كبير بين (ريهام) و(ولاء) ، وأنت الذى كنت تريد الاضراب على الزواج ، بعدما رفضتك (ريهام) .
- أحيانا يكون الإنسان أعمى , ويسير فى طريق مسدود , ويظن أن هذا هو طريق سعادته , مع أنى كنت أتمنى أن تكون (ريهام) هى التى تشاركنى حياتى .

فقال متعجبا وهو يضرب كفا بكف :
- لا إله الا الله... ألم تخبرنى ، أنك سعيد بالارتباط (بولاء) ، ما هذا التناقض؟
- (ريهام) ماضى عشت معه بخيالى سنوات طويلة منذ الطفوله ولم يزد عن ذلك ,ولكن (ولاء) حاضر كل يوم يزداد اشراقا وجمالا .

(65)

- ماهذا ؟ كل أصدقائك يسألون عنك , وحينما ذهبت إليك فى المدرسة ،أخبروننى أنك فى أجازة ,وحينما أتيت عرفت من والدتك أنك لا تخرج من غرفتك,وأطلقت لحيتك , وأنك لا تأكل ، ما الأمر يا (سمير) ؟!

فقال والحزن يعتصره ، وقد تشققت شفتاه ، وذبل وجهه :
- صدمت يا (إيهاب) ...صدمت .
- ماذا تقصد ؟
- (نشوى) .
- ما بها ؟
- رفعتنى إلى سابع سماء , وهوت بى إلى سابع أرض .
- مازلت لا أفهم .
- أخبرتنى ، أخيرا أنها مخطوبة .
- ولماذا لم تخبرك بذلك منذ البداية .
- اللعبة الخالدة لحواء , اللغز الذى حير العقول .
- ولكن اهتمامها بك , وسعيها لأن تنشر ديوانك , وحفظها لقصائدك ، وجلساتكما فى النادى والبيت .

فقال متضايقا:
- كفى ... كفى ...يا(إيهاب) , كل هذا كان عبثا وخداعا , وهما وضلالا .
- وأخرة عزلتك ، واعتكافك .
- محاولة لاسترداد توازنى , وألملم شتات نفسى ... ومحاولة للنسيان .
- هراء ما تقوله , لن تنساها , لأن فى عزلتك تلك تمضغ الحزن وتتجرع الأسى , إن كنت صادقا فى نيتك ، وتريد أن تسترد توازنك ,أخرج , ومارس حياتك , وانتصر على تلك الأزمة بإرادتك, وشعرك , وكما تعلمنا , أن الألم أكبر صانع للمعجزات .
- اتركنى الآن يا(إيهاب) ، فإنى فى غنى عن سماع تلك العبارات الجوفاء .
- فليكن ,ولكنى لن أتركك حتى تنهض , وترتدى ثيابك , وننزل لنسهر مع (الشلة) كلهم يسألون عنك , وكانوا ينوون أن ياتوا معى ، ولكنى منعتهم , والحمد لله أنهم لم يحضروا ، كى لا يروا تلك المأساة أو المهزلة .

وسادت فترة صمت , قطعها (إيهاب) بقوله :
- على الأقل إنك أفضل منى , ليت ماحدث معك حدث معى .
- ماذا تقصد ؟
- لقد عقد ت عقدى على (ريهام) .

قال مندهشا :
- وهل تم هذا فى السر ؟

- نعم .
- كيف حدث ذلك ؟
- بعد رفض والدها لى , أصرت هى على أن نعقد العقد, وفى نوبة تهور، نفذت لها ما طلبت .
- أشعر أنك نادم على ذلك .
- منذ أن أخبرت والدى ، لا يكلمنى , ولا ينظر الى , وأمى تبكى دائما , ولا أدرى ماذا أفعل الآن ؟
- ليس أمامك إلا أن تسير فى الطريق إلى أخره .
- هذا هو الجنون بعينه .
- لم ؟
- والدى غضبان , وأهلها لو علموا، سيغضبون هم أيضا .
- الزمن كفيل أن يجعلهم يقبلون .
- وكيف سنعيش ؟ مرتبى لا يكاد أن يكفينى منفردا .
- تبحث هى عن عمل , ألم تحصل على شهادة ؟

ابتسم فى سخرية وأسى قائلا :

- أنت لا تعرف كيف تعيش (ريهام) .
- تضحى .
- التضحية سهلة ، حينما تنحصرفى كلمة ...لقد أخذتها لترى الشقة ، ورأيت التغير الذى طرأ على ملا محها , وسمعت الكلمات التى لم تقلها بلسانها , الحى الذى توجد به الشقة لم تتخيل أنه فى الاسكندرية , وأنه يوجد فى الاسكندرية ,أماكن بهذا السوء، ولك أن تستنتج الباقى .
- الم تكن تعرف ظروفك , وشرحت لها كل شىء ؟
- كانت تعرف كل شىء .
- وماذا ستفعل الآن؟
- ألم أقل لك أنك خير منى ، أنا في مأزق وأزمة يا (سمير) ، ولا أدري كيف أتصرف .
- حينما نعجز عن الخروج من الأزمة ، فدع الزمن يفعل فعله ، ربما هو الذي يجد لنا مخرجا ، وإن كان هذا نوعا من الاستسلام والخضوع ، الذي يصادر إرادتنا ويرهن حريتنا .

(66)

- لقد ذهبت إلى المستشفى ، فأخبرونى أنك خرجت .
- نعم خرجت بالأمس .
- ولكن الطبيب أخبرنى ، أنهم لم ينتهوا من عمل التحليلات .

فقال ، وهو يحمل عددا من اللوحات ، فأسرعت وحملتهم عنه :

- أنا مثل الحديد .
- الم يحذرك الطبيب من العودة إلى العمل ، قبل أن تستكمل العلاج ؟
- افرضى يا (ولاء) مت فى المستشفى , من سيقيم المعرض؟

فقالت تعاتبه :

- لماذا تقول هذا الكلام ؟
- لأنى أفضل أن أموت واقفا ، من أن أموت على فراش أبيض فى المستشفى ، وحولى المحاليل ، ويثقبون جسدى عشرات الثقوب .

دمعت عيناها ، وهى تنظر إليه نظرات ملؤها الحب والحنان .

- لم تتحدث يا أبى بتلك الطريقة ,ألا تعرف مدى حبنا لك ؟ أم أنك أصبحت قاسيا على كل من حولك .

فتح ذراعيه ، وأخذها فى أحضانه قائلا :

- الموت حقيقه ,لا أحد ينكرها .
- نعم , ولكن يجب أن نموت مرة واحدة ,لا أن نموت كل يوم .
- نموت كل يوم ، كيف ؟!
- حينما نذكر الموت , فكأننا متنا .

ضحك وقال لها :

- رأيك ظريف فعلا يا(ولاء) ، أتدرسين علم النفس أم الفلسفة ؟
صمتت قليلا ، مستجمعة قوتها ، وسألته :
- أريد أن أسألك سؤالا...واجبنى بصراحة .
نظر إلى وجهها الجميل ، وقال:
- وهل بيننا غير الصراحة ؟
- مهندسة الديكور التى كانت فى المستشفى , هى صاحبة محل الهدايا ؟
لم يكن يتوقع هذا السؤال , وإن لم ير بأسا أن تعرف كل شىء , ليعرف وقع الخبر عليها ورد فعلها , ولكن العجيب هو ما الذى جعلها تربط بين شخصية (ليلى) فى المستشفى ، وشخصيتها فى محل الهدايا , وتتوقع أنها نفس الشخص , قال لها:
- نعم .
- لها ابنة معى فى الكليه ؟
- حنان .
صمت قليلا مفكرة , وهى تنقر بظفرها على أسنانها البيضاء , ثم سألته :
- هل ستتزوجان ؟
- ما رأيك ؟
- أى شىء يحقق سعادتك ، أنا موافقة عليه .
- أليس هذا ردا غريبا ، من ابنة سيتزوج أبوها ؟
- كما أحب أمى فإنى احبك, وحبى لك يجعلنى أرحب بأى شىء يحقق لك الهناء .
- وكيف عرفت بهذا الأمر؟
- لم أكن أعرف شيئا , ولكن استنتجت من كلام (حنان) .
- ولكن (ليلى) لم تخبر أحدا من بناتها .
- ربما قد علمن بطريقة أو بأخرى ...ولكن ما سبب قلقك ؟
- إذا علمن بالأمر بطريق أخر غير (ليلى) ، فالامر مختلف .
- النتيجة واحدة ... سواء علمن من الأم أو من غيرها .
- لا أظن .
- المهم ...متى ستعلنان الزواج ؟
- بعد الانتهاء من المعرض إن شاء الله .
- ولكنى قلقة عليك ، من كلام الطبيب فى المستشفى .
- الأطباء يريدون كل الناس على الأسرة البيضاء ,... المهم كيف حال(رشاد) على ما يبدو إنه إنسان طيب.
- نعم ، هو كذلك .
- هيا كى نفرح بكما .
- نفرح بك أولا يا بابا .
ضحك ، ثم أخذها بين ذراعيه وقبلها .

(67)

- ما الأمر يا (حنان) ؟ دائما صامتة , ولا تذهبين إلى الجامعة ، ولم أعد أسمع ضحكاتك ، كعهدى بك ، حتى (جالا) و (شوق) إذا جلست معهما ، نادرا ما يتحدثان , أخبرينى يا (حنان) ...أهناك شىء لا أعرفه ؟
حاولت أن تتهرب من نظراتها .
- أبدا يا ماما .
- هل لديك مشاكل فى الكلية ؟
- ما الذى جعلك تفكرين فى ذلك ؟
سألتها (حنان) :
- ماما ..لماذا الرجل والمرأة يتزوجان؟

نظرت إليها مندهشة ، ثم قالت :
- لقد بلغت من النضج والرشد ما يجعلك تجبين بنفسك على هذا السؤال .
- أقصد لماذا يتزوجان ، وقد سبق لهما الزواج ؟
- للرجل ان يتزوج أكثر من امرأة , فالشرع أباح له ذلك .
- هذا للرجل ...وماذا عن المرأة ؟
- ما تقصدين ؟
- أقصد أن لو المرأة قد تزوجت من قبل , ولديها أولاد فلم تتزوج ثانيا ؟
- ربما لكى تسعد هذا الرجل ، الذى يكون فى حاجة إليها .
- وأولادها .
- إن كانوا فى حاجة إليها , فيجب أن تضحى بكل شىء فى الدنيا ، من أجل سعادتهم أولا .
- نهضت (حنان) وعانقت أمها ، وأخذت تقبلها , وعيناها تدمع .

(68)

- من المرأة التى كانت مع بابا فى المستشفى ؟
- مهندسة الديكور, كما قال بابا .
- لا يا (ولاء) ، هى أكثر من مجرد مهندسة ديكور...أهناك علاقه بينها وبين بابا..؟

لم تجب (ولاء) , فأى كلمة تقولها ، قد تستنتج أمها منها شيئا عن علاقة والدها بتلك المرأة , والكذب لم تتعود عليه ، ولا تحب أن تظهر بتلك الصفة , وكأن الأم أحست بما يدور فى عقل ابنتها , فقالت لها بعدما اقتربت منها وأحاطتها بذراعيها .

- أنا لى حق عليك , فأنا أمك, ويجب أن تصارحينى بكل شىء ، ولن أخبر بابا بأى كلام سمعته منك.

ثم تركتها ، وجلست بعيدا عنها , وقالت وقد ارتعش صوتها :

- أى كلام مهما تقولينه ، ومهما كان ، فلن يؤثر فى ، فأنا متوقعة من (عمر) أى شىء , متوقعة أن يكون متزوجا، بتلك المرأة ، التى رأيتها فى المستشفى , وماذا كنت تظنين بعد حدوث ما حدث بيننا ؟ ولن أنسى ماقلته أنه قد يبحث عن شىء خارج المنزل فقده داخله ، ربما قد أكون أسأت فهمه .

صمتت قليلا ، ثم قالت :

- كل هذا ليس له فائدة ، كل ما أريد معرفته منك ,هل هو سعيد معها ؟

فقالت (ولاء) ، بدون سابق تفكير:

- هما لم يتزوجا بعد ...ولكن بعد الانتهاء من المعرض سيتحدثان فى الزواج وترتيباته , وإن كنت أظن أن أمامها عقبة .
- ماهى ؟
- بناتها .
- ألديها بنات ؟
- ثلاث ، وكلهن فى الجامعة .
- هل يعترضن على زواج أمهما .

وتأملت (ولاء) ملامح أمها ، أحست أنها منكسرة ، ورأت بوادر دموع فى عينيها , شعرت بإشفاق وحب نحوها , لم تحسها نحوها من قبل , واقتربت منها وسألتها:

- أظن أن كلامى ، قد سبب لك ضيقا.

حاولت أن تستجمع شجاعتها , قالت وهى تربت على كتفها :

- أبدا ياحبيبتى ...لدى ما يملأ حياتى, أنت وأخواتك .

(69)

فى البداية استسلمت للأمر، وحاولت أن تبسط الموضوع ، ما الفرق وهومنفصل عنها ، إن كان متزوجا أو غير متزوج ؟ فهذا الأمرلا يعنيها، وطبعا ستطلب الطلاق ، لقد فشلت ونجح فى الانفصال والاستغناء عنها بأخرى ، شعرت أن ثقتها في نفسها قد انهارت ، وشعرت أنها فى حاجة إلى أن تبكى وتبكى ، لكنه ما زال زوجها ، وما زالت شعورها بالثقة مترسبا فى أعماقها ، ثقة فى انوثتها لتحاول الاحتفاظ به ، لتحاول استرداده ، وبذلك تنقذ نفسها من الانهيار، لم تعرف أن له كل تلك الاهمية فى حياتها ، لقد حاولت طوال المدة الماضية أن تنكر ذلك ، ولكن بدون جدوى ، ربما شعرت بذلك بعد ما اكتشفت أنه سيتزوج .. نعم لم تكن تتخيل فى يوم من الأيام أن يقدم على ذلك ... لذا تحول الاطمئنان إلى نوع من الاهمال له ، كل ما تشعر به الآن، اصرار على استرداده ، إذن لتقابلها.

وجدتها منهمكة فى تنسيق اللوحات على الحوائط ، اقتربت منها فشعرت (ليلى) بوجودها، فقالت بدون أن تلتفت لها :

- ليس اليوم الافتتاح ، من سمح لك بالدخول ؟

أخذت (فاتن) تنظر إليها ، وتتأمل ملابسها وملامحها ومكياجها ، وقبل أن تنتبه إليها (ليلى) ، قالت لها (فاتن) :

- مبروك .

وقالت لها ، وهى ماتزال منهمكة فى تعليق اللوحة :

- ولكن المعرض لم يفتح بعد .
- إنى أبارك لك على زواجك .

تركت ما بيدها واستدارت ، وفوجئت بها ، ابتسمت ابتسامة باهتة، ومدت يدها لتصافحها ، ولكنها لم تمد لها يدها .

ومضت فترة صمت بينهما ، شعرت(ليلى) بالضيق من نظراتها المتفحصة ، أرادت أن تكون وقحة معها ، ولكنها رأت أنه من الأفضل أن تكظم غيظها ، قالت لها وهى تشيرإلى مقعدين فى جانب من القاعة :

- تفضلى .

وبعد أن جلست (فاتن) ، ووضعت قدما فوق الأخرى ، قالت :

- أردت أن أكون اول من يهنئك بزواجك من (عمر) ، هو إنسان طيب ، لكنه مدلل كالطفل ، فعلى ما يبدو أنى فشلت فى تلبية احتياجاته .

ومطت شفتيها ، ونظرت لها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها . حاولت(ليلى) أن تتمالك أعصابها ، وقالت ببرود :

- ومن أخبرك بمسألة الزواج ؟
- ليس هذا مهما ، وصدقينى أنى لست نادمةعلى شىء ، فنحن منذ سنوات تقريبا منفصلان ، وأتمنى له السعادة ، وعزائى أن لى أولادى يملئون على حياتى ، الأم ممكن أن تضحى بالزوج ، ولكن مع الأولاد الأمر مختلف هل لديك أولاد؟
- نعم ، ثلاث بنات .
- وكيف ستوفقين فى رعايتهم ، ورعاية الرجل المدلل ؟
- بناتى لهم على حق ، وهذا زوجى له على حق ، وأستطيع ألا أجعل حقا يطغى على الأخر ، كما أنى أستطيع أن أشعر زوجى أنه ملك متوج فى بيته ، لا مجرد كم مهمل وإذا كانت المرأة تميل إلى السيطرة والتحكم ، فينبغى أن تعرف أن الرجل إذا خضع فلن يستمر خضوعه إلى الأبد .

ابتسمت فى سخرية ، وقالت وهى تخرج مرآة صغيرة من حقيبتها ، وتسوى خصلة شعر انسدلت على جبينها .

- إنه لم يخفى عليك أخص خصوصياته .
- الرجل فى حاجة إلى قلب حنون يشكى له كل مواجعه .
- وأنت كنت هذا القلب ، وأنا كنت تلك المواجع .
- سخريتك واستخفافك بالمشاعر، هى التى نفرت (عمر) منك .

نهضت (فاتن) ، وقد اكتسى وجهها بحمرة الانفعال :

- أنا لست فى حاجة الى نصائح ، وبخاصة منك .
- ولماذا أنا بصفة خاصة ، فأنا لم أضيرك فى شىء ؟
- تحطمين حياتى ، وتخطفين زوجى ، ثم تقولين لم أضيرك .

فنهضت مقاطعة إياها :

- أنا لم أخطف زوجك ولكنه سعى إلى ؛ لأنه لم يجد عندك الحب والتقدير، فأنت لم تحبيه ، ولم تفكرى فى يوم من الأيام أن تقدريه ، أو تقدرى أبسط مشاعره ورغباته ، انظرى حولك..... (عمر) صنع معجزة أقام معرضا فى مدة وجيزة ، رسم عشرات اللوحات ، غدا تتحدث عنه وسائل الاعلام ، أنا فجرت طاقات إبداع وعمل كانت مدفونة طوال عشرين سنة ، بسبب إهمالك وسخريتك وعدم تقديرك له ، كل لوحة رسمها كان يحملها محتضنا إياها ويأتى إلى ، وبالتقدير لعقليته ورجولته استطعت أن أدفعه إلى الأمام .

صمتت بعض الوقت لتعرف وقع كلامها عليها ، ثم استأنفت قولها :

- (عمر) إن أحبنى لم يحب فى المرأة ، لأنه ببساطة لم يكن فى حاجة إلى امرأة، بقدر ما كان فى حاجة إلى قلب وعقل يفهمانه ويقدرانه ، أول مرة فتح لى قلبه ، شعرت أنه حطام رجل ، ضائع حتى عن نفسه ، فاقد الإحساس بوجوده ، كان أشبه بالغريق الذى يمد يده لأى إنسان ، وكان لابد أن أخذ بيده ، كنت تستطيعن أن تجعلى منه أعظم الرجال ، ولكن تسلطك وأنانيتك ، جعلته يصير إلى ما صار إليه .

لم تستطع (فاتن) أن تمنع دموعها ، التى فضحت ندمها وضعفها ، فى تلك اللحظة من المكاشفة والمصارحة، قالت (ليلى) :

- ليتك بكيت قبل ذلك ، ربما تغير الأمر .

أخرجت (فاتن) منديلا ، وجففت دموعها ، وقالت وهى تنصرف :

- واضح أن(عمر) أحسن الاختيار .

(70)

تعجبت (ليلى) من نفسها ، لماذا لم تخبر(فاتن) بأنها لم توافق على طلب (عمر) لها بالزواج ، وأنها مصممة على رفض طلبه هذا ، ولكنها أجلت مكاشفته بعد انتهاء المعرض ، حتى لايؤثر هذاعلى عمله ، والذى جعلها تصمم على التأجيل تلك الأزمة الصحية التى يمر بها ، ولكن لم أخفت ذلك عن زوجته؟ هل خوفا من أن تخبر زوجها بذلك ؟ أم لأنها أرادت رد الإهانة التى وجهتها إليها ؟ أرادت أن تؤلمها أطول وقت ممكن ، أم أنها قد ترجع فيما عزمت عليه ، تتمنى ذلك ، وتتمنى أن تمضى بقية عمرها معه ، ولكن قدرها كقدر كثير من الناس ، لا يعيشون إلا من أجل غيرهم .. رسالة لابد أن تؤديها ، ولا تفرغ من تأديتها إلا فى أخر يوم من عمرها .

هل هى نادمة ان دخل (عمر) فى حياتها ، وأحدث فيها ما أحدثه ؟ ليست نادمة . يكفى أن هدت إنسانا تائها ، وزرعت فى نفسه الأمل ، بعد ما كان اليأس يحيط به من كل ناحية .

تنبهت إلى دخوله الصالة ، ومعه صحفى ومصور ، وكان يشير إلى عدد من اللوحات ، ويتحدث فى حماسة وسعادة وبكل ثقة .

أجاب على بعض الأسئلة ، وبعد أن انصرف الصحفى والمصور، دخلت القاعة ، اقترب منها ، وتناول يدها وقبلها .

(71)

- أحسن حل ، أن نترك البيت .

قالت (حنان) بغضب :

- لا تجعلانى أندم أنى أخبرتكما .

فقالت (جالا) :

- أكنت تريدين أن تخفى عنا شيئا هاما كهذا ؟

- كنت أتمنى ألا أخبركما ، حتى أعرف ماذا سأفعل ، ولكنى عجزت ، فقلت نفكر نحن الثلاثة ، أفضل من التفكير بمفردى .

قالت (شوق) :

- يجب أن نترك لماما البيت ، حتى نتيح لها الفرصة ، لتفكر بكل حرية .

فردت عليها (حنان)

- تفكر بكل حرية ، أم أنك تريدين الضغط عليها .
- لن نضغط عليها قبل أن نترك البيت ، سنكتب لها رسالة نشرح لها فيها كل شيء.
- وأين سنذهب يا فالحة ؟
- عند أحد من أعمامنا .
- يا وقاحتك.. معقولة تفكرين بهذا الأسلوب ، الآن اخترنا أعمامنا هروبا من ماما ، وهى التى ضحت من أجلنا بكل شيء .
- وفى النهاية ، كانت التضحية واضحة جدا .

فقالت (جالا) وهى تضع يديها على كتف كل أخت :

- تعاليا نفكر بهدوء .. أولا هناك سؤال هام ، هل ماما ستتزوج بدون أن تخبرنا ؟

فقالت (حنان) :

- لابد أن تخبرنا .. وإلا هل ستتزوج فى السر ؟
- لا أظن .
- إذن ، يا ذكية ، أنت وهى ، متى ستخبرنا ماما ؟
- حين يقترب موعد الزواج .
- وطالما لم تخبرنا .
- إذن لم يقترب موعد الزواج .

فقالت (جالا) :

- وقد لا يوجد زواج بالمرة .

فقالت (حنان) :

- كيف وقد اخبرتنى (ولاء) أنهما سيتزوجان فور الانتهاء من المعرض .
- ومتى سينتهى المعرض ؟
- إنه لم يبدأ بعد .

فقالت (شوق) بانفعال وغضب :

- لا أدرى من أين تأتين ببرودة أعصابك تلك ، كل الشواهد تدل على أن ماما ستتزوج.
- إنى هادئة ، لأنى أفكر بعقلى لا بعواطفى .
- أخر شيء ، كنت أتصوره ، أن تتزوج ماما .

قالت (حنان) مخاطبة (جالا) :

- طالما أنت تفكرين بعقلك .. أخبرينا ماذا نفعل لو أخبرتنا ماما ؟

صمتت (جالا) قليلا ، وعبثت بطرف قلمها فى شعرها الناعم ، ثم قالت :

- ليس أمامنا إلا أن نوافق ، ونبارك هذا الزواج .

قالت (شوق) بانفعال :

- أنا على استعداد أن انتحر ، ولا أوافق على هذا الزواج .
- انت مازلت صغيرة ، ولست ناضجة عقليا .

أرادت (شوق) أن ترد لها الإهانة إلا أن (حنان) جذبتها وسألت (جالا) :

- وما النضج العقلى يا كبيرتنا ؟
- نفرض أن شخصا تقدم لواحدة منا ، طلبا للزواج ، ماذا سيكون رد ماما .
- الموافقه مبدئيا ، بعد أن نوافق عليه .
- إذن فكرة الزواج يجب ألا نرفضها ، وإلا طبقنا ذلك على أنفسنا ، إذ كيف نحلل لأنفسنا شيئا ، ونحرمه فى نفس الوقت ،على ماما ؟
- نعم ، ولكن تلك ماما .
- وهل كونها ماما ، نحرم عليها الزواج ؟

- وضحى أكثر ، يا باردة الأعصاب .
- لكى لا نأخذ موقفا من ماما ، ويسجل هذا الموقف علينا ،يجب أن نوافق مبدئيا على الزواج ، وإن شئنا ، نعترض على الشخص .
- ولم؟
- الأسباب كثيرة .. أنه متزوج ... لديه أولاد .. شكله ,مركزه , نحن لن نعدم الأسباب لذلك .

قالت (شوق) ، بعد تفكير :

- أنا لدى فكرة أخرى ، تصرف نظرها عن هذا الزواج .
- ماهى ؟
- كل واحدة منا تمرض شهرا ، وأنتما تعرفان حالة ماما ، لو واحدة منا مرضت تظل جالسة فى البيت ، ولا تخرج .
- وحينما تنتهى الشهور الثلاثة ؟
- نمرض نحن الثلاثة ، مرة واحدة .
- لا ، حرام عليك ، فأعصاب ماما لا تتحمل كل هذا .

قالت (جالا) ، وهى تجلس إلى مكتبها ، وتفتح كتابها :

- الامتحانات على الأبواب ، لا أحد منكما تخبر ماما عن أى شىء ، فربما تصرف نظرها فى اللحظة الأخيرة ، عن هذا الزواج العجيب .

(72)

- لم أرك فى مثل هذا الانهيار من قبل .
- لقد قابلتها .
- لم ؟ وما الداعى إلى ذلك ؟
- رغبة فى استرداده ، والحفاظ عليه .
- كل هذا طيب ، ولكن لماذا ذهبت إليها ؟
- لا أعرف إلى أى مدى وصلت علاقتهما .
- وهل عرفت ، كل ما تريدين معرفته ؟

جففت دمعها ، ثم قالت :

- لست حزينة على شىء ، إلا أنه عرفها ، واتفق على الزواج وأنا مازلت على ذمته .
- وهل كان الأمر يختلف ، لو كان طلقك قبل ذلك ؟
- نعم .
- كأنك تأكدت ، أنه سيتزوجها .
- لا يوجد شى لا تعرفه ، حتى أخص خصوصياته .
- ألم تتحدثى مع (عمر) ؟
- لا فائدة .

سادت فترة صمت ، قطعتها (كوثر) ، بقولها :

- أكثر من مرة قلت لك ...

فقاطعتها (فاتن) بغضب :

- أرجوك يا (كوثر) ... أعصابى لا تتحمل لوم أو عتاب ، أنا لست أول من يتزوج عليها زوجها ، ولن أكون الأخيرة .
- كانك ستظلين على ذمته .
- إن طلقت فهى نار ، وأن بقيت فهما ناران .
- وهو .
- أظن سيترك لى أن أختار .
- وأنت ، ألم تستقري على وضع ؟

- استقر !! ومن أين الاستقرار ؟ كل ما حولى ينهار ... أكيد كان فى حياتى شىء خطأ ، أو كلها كانت خطأ

(73)

- أظن هذا العريس ليس مثل الذين سبقوه ، فهو كامل من كل النواحى .
- قلت لك أكثر من ألف مرة ، لن أتزوج أحدا غير (إيهاب) .
- (ريرى)... كنت أسمع كلامك فى كل شىء ، وأنفذ لك كل طلباتك ، ولكن إلى هنا والأمر زاد عن كل حد .
- كيف يا ماما ؟
- موقفى فى غاية الحرج مع والدك ، ثم إن رفضك فى المرات السابقة كان له مبرر ،أما الآن ، فلا أجد مبررا، ثم إن زواجك من (إيهاب) مستحيل .

فقالت بعد تردد :

- المستحيل هذا، فعلته .

اقتربت منها ، وسألتها :

- كيف؟

فقالت ، وهى تنظر إلى الأرض :

- لقد عقد (إيهاب) على .

لطلمت أمها وجهها ، ولم تسطتع أن تحملها قدماها ، فانهارت على أقرب مقعد وقالت :

- يانهار أسود.. عقدتما العقد ..أقلت هذا ..أم أنا سمعت غلط ؟

فقالت بتحد:

- أقولها لك مرة أخرى .. لقد عقدت عقدى على (إيهاب) .

أخذت تلطم وجهها بكلتا يديها ، وتنظر حولها ، وكأنها تبحث عن طريق للهرب مما سمعته ، وهي تقول بصوت متقطع :

- الله يسامحك يا (ريري)، لماذا تفعلين بأمك كل هذا ... كيف واتتك الجرأة أن تفعلي ذلك ؟! لا أدري ماذا اقول؟ ولا ماذا أفعل ؟ المهم الآن والدك ... قد يطلقني إذا علم بالأمر ... نعم ، يجب ألا يعرف شيئا .

فقالت (ريري) بهدوء أعصابها المعروف :

- سيعلم يا ماما ، عاجلا أم أجلا .
- إنه مريض بالسكر، وضغطه مرتفع...كيف سيتحمل هذا الخبر؟
- لماذا ؟ أنا لم أفعل مصيبة
- المصيبة الكبرى هي ما فعلتينه ، إنك لا تدركين بشاعة عملك...لم أدرك إلا الآن أني كنت على خطأ في تربيتك...كيف أمنحك كل تلك الثقة والحرية ، ثم تخذليننى ، ، شجاري الدائم مع والدك كان بسببك ، وعلى أسلوب تربيتك ، إذن كان على حق وكنت أنا على خطأ ، طلبت منه أن يترك لي أحدد وحدي أسلوب تربيتك ، نعم ، أنا غلطانة .... واستحق الطلاق ....طلاق! هذا شئ هين ... استحق القتل ... كنت أتباهى وأفتخر أمام كل الناس ، أني أثق فيك ثقة عمياء , وأعطيك كل الحرية لتلبسي ما تشائين ، وتتحدثين مع من تشائين ، وتخرجين وترجعين كما تشائين....والنتيجة ....النتيجة سوداء على دماغي .

اقتربت (ريري) منها ، واحتضنتها وقالت :

- لماذا يا ماما ؟ أنت ربيتني أحسن تربية ، وأنا أعترف بذلك .
- هذا واضح جدا ، بدليل أنك تزوجتي بدون علمي ... أخبريني إلى أي مدى وصلت علاقتك بزوجك .
- لا ماما ... نحن لم نفعل شيئا ، سوى عقد العقد فقط .
- إذن ، كما تم العقد في السر، يتم الطلاق في السر .
- وهل فعلت كل هذا كي أطلق ؟
- نعم , وأنا أوعدك ، أن لا نضغط عليك في الزواج من أحد لا ترغبين فيه ، بل أوعدك ان يتم زواجك من (إيهاب) .

ضحكت (ريري) ، ثم قالت :

- أنا متزوجة منه الآن ... كيف سأتزوج منه بعد ذلك ؟!

امسكت برأسها ، ومالت إلى الأمام ، ثم رجعت برأسها إلى الخلف .

- لم أعد استطيع التفكير ، أفكاري مشتتة ، لو حدث لي شيء ، أو مت ، فأنت السبب , منك لله يا (ريهام) ..لا أدري ماذا أفعل , وماذا أقول لوالدك ؟
- أنا لدي الحل .
- ما هو ؟ ما هو ؟
- أن يتقدم (إيهاب) مرة أخرى , ويوافق عليه أبي .
- لو عرف ما حدث ، قد يطردنا من البيت .
- لن يطردنا من البيت ؟ اليس البيت باسمك ؟
- ومن أجل البيت باسمي تفعلين ما فعلت ؟ يا ترى ماذا ستفعل بي يا (مصطفى) ؟
- ماما... أنا لن أترك هذا الرجل يشكل حياتي كما يريد .
- هل جننتي يا (ريهام) ؟ هذا الرجل والدك .
- وهذا لا يعطيه الحق أن يتدخل في اختيار شريك حياتي .
- هو أدرى بمصلحتك .
- ماما الموضوع انتهى ، وأنا تزوجت (إيهاب) ، ليس أمامكم سوى الرضا بالأمرالواقع , والأفضل أن يعرف بابا اليوم قبل الغد ، وأى ضغط لكى انفصل عن (إيهاب) لن أقبله , ولا أريد منكما أى شيء , فبعد أن أجهز الشقة، سأخبركما بموعد الزفاف ,هذا إن أردتما أن تحضرا

(74)

- حل كل مشاكلنا في الطلاق .

فقالت مندهشة :

- نحن لم نتزوج بعد يا (إيهاب) .

فقال في يأس وقنوط :

- ولن نتزوج أبدا .
- لماذا تقول ذلك؟
- انظري حولك .. ما هذا الذي نفعله ؟ أهذا هو البيت الذي كنت تحلمين به , الرطوبة تأكل الجدران , لا هواء ولا شمس , ظلام على مدى الأربع والعشرين ساعة , أثاث اشتريناه متهالك ومحطما ، كأحلامنا , الشجار لا ينقطع حولنا من الجيران ، وألفاظ تذوبين خجلا من سماعها ... خاصمك أهلك ، وهجروك , وخاصمني أهلي ، وحينما يعرف الناس بحكايتنا سنكون مضغة في أفواههم ، يتسلون بها في أوقات فراغهم .

اقتربت منه ، قائلة في تضرع ، وقد امتلأت عيناها بالدموع :

- (إيهاب) يا حبيبي ... أنا لا أصدق ما أسمعه ... بعد أن ضحيت كل التضحيات وتحملت كل هذا العناء ، من أجل أن أبقي معك ... تقول هذا !!

قال ، وهو يشعر أن الحزن والأسي يعتصره :

- يا (ريهام) تضحياتك وتضحياتي لن تقف عند حد , بدايتها أنك عملت في محل لبيع الملابس , وتحملت حماقات صاحب المحل والزبائن , هذا في البداية , الله أعلم إلى أين سنصل بعد ذلك ، أكيد ما نفعله خطأ , لم لا نرضي بإرادة أهلنا ومجتمعنا , أنت لست لي , وانا لست لك , لماذا نعاند ؟ ولماذا نتمرد ؟ هم المنتصرون في النهاية , هم أقوياء , ونحن ضعفاء , كل ما فعلناه خطأ .

قالت والدموع تنساب على وجنتيها :

- محاولة الحفاظ على حبنا ، في نظرك خطأ .
- تلك المحاولة ، قد تقتله بدلا من أن تحيه .
- لا ... لقد خدعت فيك ... أنت لست (إيهاب) الذي أعرفه , والذي أحببته , لقد أحببت رجلا قويا , يستطيع أن يقف أمام العلم من أجل حبه .وأكيد لست أنت .

جلس (إيهاب) على مقعد وأمسك رأسه بيده وقال وكأنه يحدث نفسه :

- لقد حاولت .. ولكني تعبت,عجزت , واستمرارنا نوع من الغباء , أنا قد أقدم لك الحب فقط , ولكنك في حاجة إلى أشياء أخري لا أستطيع , ولا تقولي أن غدا نحقق أحلامنا , الحاضر الكئيب العقيم , لا يولد أملا , غدا كاليوم , إن لم يكن أشد عتامة منه .

قالت في يأس وحزن :

- أظن أن أي واحدة ، لا تستطيع أن تضحي كما ضحيت .... وضعنا هذا يمثل مهزلة , ويجب أن نضع حدا لها ... أنا موافقة على الطلاق والآن وفورا .

(75)

- كيف حدث ذلك ؟
- وماذا كنت تنتظر، غير ذلك ؟
- لقد ضحت كثيرا من أجلك .
- ليتها لم تفعل ... الله وحده يعلم كم عانيت ، وكم تعذبت ، حتي استطعت أن أتخذ هذا القرار .. عزائي الوحيد أن ما فعلته كان من أجل مصلحتها ، فأنا لن استطيع أن أحقق لها السعادة .
- مع أني لا أوافقك على ما فعلته , إنما أشعر أن هذا هو الأفضل لك ولها .
- والحمد لله .. فقد خطبت
- أحقا ما تقول ؟
- نعم , اتصلت بي وأخبرتني بذلك ، وقالت أن تلك أخر مرة أسمع فيها صوتها .
- إنها كانت تحبك بصدق وإخلاص .
- شيء مؤسف ... أجمل أيام حياتنا تضيع ما بين الحزن , وخيبة الأمل ... إذن متي نسعد بحايتنا ؟
- هناك مخلوقات ، نصيبها في تلك الدنيا الهم والحزن .. نحن تلك المخلوقات .
- إذن لماذا نعيش ؟

فضحك قائلا :

- لنحمل مزيدا من الحزن والهم .

نهض قائلا :

- هيا لنسير على البحر , عسي نجد عنده ما يخفف ما بنا .

(76)

- كنا قد اتفقنا على ألا نفاتحك في الأمر , و لكن لم نستطع تحمل الوضع هكذا، و أنا آسفه يا ماما .. إن كنت تحدثت معك في هذا الأمر .

مشاعر متناقضة اجتاحتها , الغضب و الخجل و الندم و الحزن و الأسى و السخرية , وهي تنظر إلى بناتها ، وهن جالسات ينتظرن ما سوف تقوله ، و لا تدري ماذا تفعل الآن ؟ أتثور في وجوههن و تلقنهم درسا , أم تتحدث معهن بهدوء و تعقل ؟ و لكن لماذا تلومهن ؟ ألم تظن زوجة (عمر) أنها ستتزوجه ؟ حتى

(عمر) يعيش على أمل هذا الزواج قالت و هي تدقق النظر إليهن :

- أتنكرن أن هذا حق من حقوقي ؟

فقالت (شوق) :

- نعم يا ماما و لكن ...

فقاطعتها قائلة :

- الحق لا يقبل استثناء ... فكما لكل واحدة الحق في أن تتزوج الرجل الذي تختاره .. أنا أيضا لي الحق , و لقد حرمت على نفسي هذا الحق سنينا , خوفا عليكن أن يؤثر على نفسيتكن أو على دراستكن , و ضحيت بكل شيء ، حتى أصبحتن على وشك التخرج ، أظن أنه قد حان الوقت أن أعيش ما تبقى لي من عمر, و أظن أني قد أديت رسالتي , و لم أقصر فيها , و تستطعن الآن أن تعتمدن على أنفسكن في كل شيء .

قالت (حنان) :
- معك الحق في كل ما تقولينه يا ماما , و لكن أنت التي أوحيت لنا أن دخول رجل في حياتنا كفيل أن يفسدها , و كان هذا ما يبرر عدم زواجك ، لذلك نحن لم نتخيل لحظة أنك ممكن أن تتزوجي , و يدخل في حياتنا غريب .
- إنه ليس غريب ... إنه زوجي .

فقالت (شوق) :
- و هذا لا يبرر أن نقبله يعيش بيننا , يا ماما لقد عشنا و كأننا دائرة مغلقة .. يا ماما هناك مشاعروأفكار كثيرة لا نستطيع أن نعبر عنها .
- لماذا ؟ قلن كل شيء , لقد عودتكن على الصراحة و الوضوح .
- بصراحة يا ماما, و لا تغضبي من قولي هذا , زواجك ينتقص من كونك من كونك ....

فقاطعتها قائلة :
- من كوني أم .... أليس كذلك ما تودين قوله ؟ أنتن أنانيات بدرجة لم أكن أتصورها , أعلم أن الأمر صعب عليكن أن تريننني زوجة لرجل غريب , و لكن كان من الواجب أن تتحدين هذا الشعور، و تضحين لإسعادي , كما ضحيت لإسعادكن , وعلى ما يبدو أن الأبناء لا يعرفون شيئا سوى الأخذ ، والأخذ بدون مقابل ، وهذا خطأ الأباء و الأمهات عودوا أبناءهم على هذا .

نهضت (جالا) و أخذت أمها في حضنها و قالت :
- ماما ... أنا موافقه على زواجك , و كذلك (حنان) و (شوق) ، لا بد أن توافقا , و إن لم تفعلا ، فهو جحود وإنكار لأعظم جميل .

أزاحت الأم ابنتها ، و نظرت إلى (حنان) و (شوق) و كانت دموعها تنسال على وجنتيها , و ما هي إلا لحظات حتى نهضا و عانقنها ، و بعد أن هدأت تلك السورة من المشاعر و الأحاسيس , قالت الأم و هي تبعد دمعة انحدرت :
- و مع كل ذلك اطمأنن , فإني لن أتزوج , فإن كنت عشت ما مضى من عمري في تربيتكن و تعليمكن , فإني أتمنى أن أعيش ما بقي مع أولادي لأسعد بأحفادي .

صرخات هستيرية انطلقت من حناجرهن , وهجمن عليها حتى أنها لم تتحمل ثقلهن فسقطت على الأرض ، و هن بجوارها و فوقها , يبكين و يضحكن , شعرن بالخجل و الندم على ما بدر منهن ، و حاولت (جالا) أن تبرر موقفهن قائلة :
- أعذرينا يا ماما , فالحب من أكبر أنواع الأنانية , فالذي دفعنا أن نقول ما قلناه هو حبنا لك , وعدم رغبتنا أن يشاركنا أحد في حبك .

و قالت (حنان) :
- و لكن لماذا لم تخبرينا ، عن حكاية ذلك الزواج المزعوم .
- هذة حكاية طويلة , سوف أحكيها في وقت أخر , المهم لي طلب عندكن .

فقلن في صوت واحد :
- كل طلباتك أوامر .
- أريد أن تلبسن أجمل ما لديكن , و تحضرن معي اليوم افتتاح المعرض .

(77)

- معقول يا (كمال) ... تخفي عني تلك الحقيقة طوال هذة السنين .
- كانت صداقتنا على حد السيف , و كان لابد وأن أظل محافظا على هذا السر ، وعلى صداقتنا .
- الآن فقط فهمت إصرارك على عدم زيارتي في البيت , مع أنك كنت تزورني كثيرا قبل أن أتزوج , و فهمت سر تغيرك في الآونة الأخيرة ... كبرت في نظري أكثر من قبل يا (كمال) , واغفر لي ظني فيك ، أنك كرهت أن أثبت وجودي ، ولكن (فاتن) ألا يكفيها ما مضى , تريد أن ....

فقاطعه (كمال) قائلا :
- (فاتن) تحبك ، ولكن على طريقتها .

- الظاهر أنك مازلت تنفذ ما طلبته منك .
- أبدا يا (عمر) .. لقد فكرت فيما قالته لي , فخرجت من ذلك أنها تحبك ، و لكن كما قلت ، على طريقتها هي .. الحب كالماء يتلون بلون كل قلب يدخله .
- ما الذي تريد أن تقوله يا كمال ؟
- أنت تعرف ما أريد أن أقوله .
- وأنت تعلم أني قد انتهيت إلى قرار , و اليوم سأذهب إلى (فاتن) لأصارحها بكل شيء .
- إذن أجل هذا بعد الإنتهاء من المعرض .
- لن أضيع يوما واحدا بعد الإنتهاء من المعرض , لأني سأتزوج
- لا أملك إلا أن أدعو لك بالتوفيق .

(78)

- بعد ما عرفت كل شيء من (ليلى) ، ماذا تريدين أن أقوله ؟
- من حديثها عنك , شعرت أنها تحبك بصدق .
- إنها سيدة طيبة القلب .
- نجحت معك , بينما أنا فشلت .
- النجاح ليس معجزة , و الفشل ليس نهاية العالم .
- و لكنك معها حققت ما يشبه المعجزة .. حققت ما كنت تتمنى طوال عمرك أن تحققه .

قال متجنبا النظر عينيها، والتي بدأت تلتمع بالدموع , كم يحس بإشفاق نحوها , و هو يرى هذا العناد و التمرد ينكسروينهار, و لكنها مازالت تعاند و تحدثه و كأن الموضوع لا يعنيها في قليل أو كثير .

قال :

- نعم , أنا مدين لها بكل النجاح الذي حققته .
- إن كنت فشلت معك , فلست أنا الوحيدة المتحملة هذا الفشل
- كيف ؟
- ربما لو كنت قاومتني ، أو عاندت ،أو صممت ، كما فعلت الآن ، ربما كنت تغيرت .
- و لكني لم أفعل كل ما ذكرتينه معها .
- كان من الواجب عليك , فأنا زوجتك .
- وهي قدمت لي ما كنت في مسيس الحاجة إليه ، مع أنها ليست زوجتي , فمازلت الآن رجلا غريبا عنها ,على كل فقد فشلنا نحن الاثنان .
- كنت تتمنى ذلك .
- كنت أتمنى أن أجد فيك ما وجدته في(ليلى) .
- و الآن جئت لتخيرني بين البقاء أو الطلاق .
- واجب علي , طالما سأتزوج بأخرى , فأنت أم أولادي ومعك عشت عمري .
- نادم عليه .
- لا يهم ما مضى , الآن أشعر أني متصالح مع كل شيء .. المهم رأيك ؟

قالت وهي تنظر إلى الأرض وقد بدأ جسدها يهتز مما تكبته من انفعال وتوتر :

- طوال عمرنا معا كنت أنا الآمرة و أنت المطيع , أما الآن فأنت الآمر .. فإن شئت أبقيتني , و إن شئت طلقتني .
- دائما أشياء كثيرة تتحقق بعد فوات الأوان ... على كل سنتحدث في هذا الأمر في وقت لاحق
- أتمنى لك السعادة التي لم أستطع أن أحققها لك .

(79)

- ألم تكتب شيئا جديدا ؟
- لا
- لم ؟
- إحساسي بعبثية كل شيء أكتبه .

وابتسم قائلا :
- أتدرين أن الشعراء والكتاب أكبر سذج في التاريخ الإنساني .
- لم ؟
- لأنهم يظنون أن الناس تتلهف لكل ما يكتبونه , وتعمل به .
- أظن أن هذا ما يحدث .
- أبدا , فالناس لا يقرأون إلا لمجرد التغيير , حينما يسأمون من كل شيء يبحثون عن شيء لم يمارسوه , فيتناولون كتابا و يقرأونه , ولكن حالما تتخطفهم مشاكلهم يتركون الكتاب , و لما يتعدوا العشر صفحات .
- إنك يائس يا (سمير) .
- حتى هذا لا أشعر به .
- أرجو ألا يكون ما حدث ، له تأثير عليك .
- أتصدقين... لقد اكتشفت أني أقوى مما أتصور, في البداية أحسست أن كل شيء انهار , و أن الكون حولي يضيق , و يعتصرني حزن وأسى ، و لكن كما يقولون , كل شيء يبدأ صغيرا ثم يكبر إلا الحزن , يبدأ كبيرا، ثم يصغر .
- أشعر أنك لم تعد (سمير) الذي عرفته .

مضت فترة صمت تأمل (سمير) خلالها الأشجار، و قد تساقطت الأوراق بعد ما ذبلت على أغصانها , و سرى في ضحى هذا اليوم الخريفي دفء حزين ... سألها :
- أسعيدة ؟

وضعت قطعتين من السكر في كوب من الشاي أمامها ، والتقطت الملعقة و أخذت تذيبهما :
- أعيش على أمل أن تأتي السعادة يوما ما .

نظرت طويلا إلى ملامح وجهه ، ثم سألته :
- أشعر أنك تود أن تسألني ، لم اتصلت بك .
- نعمل ، هذا ما كنت سوف اسأل عنه .
- لا أدري ، شعرت أني أود أن أجلس و أتحدث معك , و ترددت كثيرا في البداية , و لكن قررت في النهاية أن أتصل بك ,, أرجو ألا أكون قد سببت لك أي ضيق .
- اتصالك و جلوسك الآن ، لم يسبب لي أي ضيق , فبعد تأمل طويل عرفت أن كل شيء كان من طرفي , فأنا المسئول عن كل ما حدث ، و ما بقي لي من تلك التجربة إنسانة عظيمة تجلس أمامي ، أكن لها كل تقدير و إعزاز و أتمنى لها كل سعادة .
- هذا ما توقعته ، فأنت إنسان نبيل القلب .

ساد صمت عميق , والعصافير تثب حولها جذلة , و تغريدها يملأ المكان مختلطا بهمس أغصان الشجرة التي يجلسان تحتها .

قالت :
- أتمانع لو اتصلت بك ثانية ؟
- بالمرة .
- و أنت لو شعرت أنك تريد أن تتصل فلا تتردد .
- أعدك .
- أوعدني أيضا أن تكتب ... فهناك شخص ينتظر أن يقرأ ما سوف تكتبه .
- هذا أكبر حافز يجعلني أكتب .

(80)

- أظن (عمر) لن يحضر الليلة .

فقال (إيهاب) :
- الافتتاح غدا , فهو مشغول بترتيبات المعرض .

وعقب (سمير) :
- اللقاء الذي أجراه معه التليفزيون ، كان لقاء ممتعا .

فقال فياض :

- و لكن اللوحات التي عرضها البرنامج غير مفهومة بالمرة .

فقال (إيهاب) :

- مالك أنت و الفن , أمض أنت بقية عمرك في الدروس الخصوصية .
- كل شيء بحسابه يا (إيهاب) .
- معك حق .

قال (زكريا) :

- هل ستذهبون غدا المعرض ؟
- بالطبع . فقد سلم (عمر) كل واحد منا دعوة .
- متى سيصدر الديوان الثاني لنفرح به يا (سمير) .

صمت قليلا ثم قال :

- قريبا ... قريبا جدا إن شاء الله .

(81)

- مبروك يا (عمر) ، المعرض ناجح بكل المقايس، الجمهوروالنقاد والمهتمون بالفن يملأون الصالة.
- كل هذا بسبب مجهودك فى الدعاية ، و الاتصال بالنقادوالمهتمين بالفن .
- لو لم يعرفوا أن المعرض يستحق ، ماحضروا .

قال (عمر) وكل ملامحه تنطق بالسعادة والسرور:

- لم أكن أتصور حضور كل هؤلاء الناس .
- المفاجأة الكبرى يا (عمر)، تلك دعوة للعرض فى إيطاليا بعد الانتهاء من العرض هنا .
- معقول ماتقوله.... ستجعلنى أصدق أنى فنان .
- أنت خلقت لتكون فنانا ، وسيكون لك مستقبل عظيم .

ابتسم فى سخرية قائلا :

- مستقبل....الله وحده يعلم ، كم بقى من العمر .
- الشيء الوحيد الذى يعلو فوق الزمن هو الفن، لاتجعل شيئا يعكر جمال الحاضر، ثم أن أعمارنا لاتقاس بالسنين والأيام، ولكن بما أنجزناه ، وأظن أنك أنجزت شيئا يستحق التقدير والإعجاب.

ولاحظ (كمال) أن (عمر) يتلفت كثيرا ، وينظر فى ساعته ، فسأله :

- هل تنتظر احدا ؟
- (ليلى)...لاأدرى لم تأخرت فى الحضور؟
- مازال الوقت مبكرا ، فلا تقلق .
- أيمكن يا (كمال) أن الدنيا تصالحنى ، بعد طول خصام ؟
- ولم لا ؟
- وهل هذا طبع الأيام ؟ نجاح المعرض إلى درجة أنى سأعرض فى الخارج ، وزواجى من (ليلى) أخشى أن الدنيا تخبيء لى شيئا .
- كل الخير إن شاء الله... المهم الآن تواجدك مع النقاد والصحفين ، فهيا اذهب إليهم.

(82)

- أنت ؟!
- زيارة غير متوقعة.... أليس كذلك ؟
- تفضلى.... فأنت لست غريبة ، فالبيت بيتك .

دخلت (ليلى) ، وجلست ، و(فاتن) مازالت واقفة ، لم تتخلص من أسر المفاجأة ، قالت (ليلى) تخاطب (فاتن) وهى واقفه أمامها لاتدرى ماتقوله ولا ماتفعله :

- اجلسي يامدام....هل ستظلين واقفه؟!

- أمرك.
- كما توقعت، أنك هنا .
- وأين تظنين أن أكون .
- مع (عمر) ..تقفين بجواره .
- أظن أنك الأولى بذلك منى .
- لماذا ؟ فأنت الأولى ؛ لأنك زوجته .
- وأنت ستكونين زوجته .
- من قال ذلك ؟
- أنت .
- أنا لم أقل ذلك ، أنت التى ظننت أنى سأتزوجه ، فسايرتك فى الحديث .
- ولكنك لم تنفى ظنى .
- كنت أريد أن أرسل لك رسالة....وأظن أنها وصلتك .
- طالما لن تتزوجيه ، لم فعلت معه كل ذلك ؟!
- حينما تمتد إليك يد غريق ، ستمتد يدك إليه بدون تفكير، إحساس جميل وممتع أن تهدى إنسانا.
- أظنك نوعا نادرا من البشر .
- أى إنسان كان سيفعل مافعلته ، إذا صادف إنسانا نبيلا طيب القلب مثل زوجك .

نهضت (ليلى) ، ووضعت يدها على كتف (فاتن) ، وقالت :

- يجب ألانضيع الوقت فى الكلام ، هيا لتذهبى إلى المعرض وتقفى إلى جانب زوجك فى أسعد لحظاته ، لاتضيعى فرصتك الوحيدة والأخيرة فى التردد .

(83)

- أمعقول ماتفعلينه يا (ليلى) ؟ أين كنت؟

نظر خلفها مندهشا ، فقد رأى ثلاث حسناوات يقفن خلفها فى قمة جمالهن وزينتهن ، وأدرك أنهن بناتها ، قالت وهى تشير إليهن :(جالا) و (شوق) و (حنان). ابتسم ، وصافحن واحدة بعد الأخرى ، سألته :

- ما رأيك فيهن ؟
- الحديث عنهم شىء ، ورؤيتهن شىء أخر .

أخذن يتصفحنه من قمة رأسه ، إلى أخمص قدميه ، ثم قالت (جالا) :

- نحن سعداء بحضورنا ، وفى غاية الإعجاب بتلك الأعمال الفنية الرائعة .

فقال وهو يشير إلى (ليلى) :

- إن كان لأحد فضل فى هذا المعرض ، فهو لماما .

فقالت(شوق) :

- أنت بهذا تقلل من جهدك وإنجازك .
- لا ، ولكنى أعطى الفضل لصاحبته .

سألته (حنان) :

- ألم تحضر (ولاء) ؟

فتلفت حوله قائلا :

- ربما تكون على وشك الحضور .

فقالت (جالا) .

- هيا نكمل مشاهدة المعرض .

وحينما انصرفن من أمامه ، أمسك عمر (ليلى) وسألها :

- هل تحدثت معهن ، فى موضوع زواجنا .
- ليس الأن مجال الحديث فى هذا الموضوع .

أحس بشىء غريب فى صوتها ، ونظرات أغرب في عينيها ، ثم أنه لم يستطع أن

يفسر سبب مجيء بناتها معها ، هل أخبرتهن بموضوع الزواج أم أنها لم تفعل ؟ ولاحظ أنها تتجنب الوقوف معه ، وفجأة رأى زوجته وأولاده ، وحينما رأوه ، تقدموا منه ، وأخذ الأولاد يقبلونه ، قالت (فاتن) :

- (عمر) لقد كنت مخطئة فى حقك طوال تلك السنوات ، لم أقدرك حق قدرك ، لقد أثبت أنك رجل عظيم ، تفخر أى امرأة أن تكون زوجها .

فقال ونبرة سخرية ، تشيع فى صوته :

- ألست معى ، أن هذا الكلام جاء متأخرا .
- امنح لى فرصة ، أكفر فيها عن الخطأ فى حقك .

إن شيئا ما يحدث...(ليلى) تبتعد ، وتتجنب الوقوف معه ، ومعها بناتها ، (وفاتن) تقترب منه ، وتحاول أن تمحى ما صدر منها طوال السنوات الماضية...أيمكن أن يكونا قد اتفقا على شيء؟!

- ما الأمريا (عمر) ؟..أأنت واقف هنا ،والجميع يبحثون عنك .

وكأنه غريق ووجد ما يتعلق به ، تعلق (بكمال) وأخذه بعيدا عن (فاتن) :

- (كمال) ...أكاد أن أجن...ما يحدث لا أفهمه .

ضحك (كمال) قائلا:

- ما زلنا فى اليوم الأول للمعرض، اليوم يوم ميلادك يا (عمر) فى عالم الفن والأبداع.
- (ليلى) يا كمال...أتمنى أن ما أحس به وأفكر فيه أن يكون وهما وليس حقيقة.
- مع الأسف يا (عمر) غنه حقيقة وليس وهما .
- إذن أنت تفكرفيما أفكر فيه .

صمت (كمال)مفكرا فيما سوف يقوله (لعمر) ، وربت على كتفه مواسيا ثم قال :

- لقد أخبرتنى (ليلى) عن كل شيء ، الليلة ستخرج من حياتك.

امتقع وجه (عمر) وتسارعت دقات قلبه ، وسأله :

- أنا لا أفهم شيئا ، ماذا تقصد بقولك هذا ؟
- لقد انتهى دور (ليلى) ، ولن تراها بعد تلك الليلة .
- ما هذا الذى تتحدث عنه ؟! ووعدها لى بالزواج .

ووضع يده فى جيبه ، أخرج علبة من القطيفة ، وقال وقد التمعت عينه بالدموع :

- لقد اشتريت لها هدية الزواج...لقد وعدتنى يا (كمال) وليلى ، لا تنكث وعدها لى .
- رأت أن هذا فيه مصلحة لك ، فوعدتك.
- خداعا.
- أملا ، وحافزا ، لك للعمل وتحقيق هدفك .
- أنا لا أفهم ، كانت معى طوال تلك المدة ، وتعلم أنها ستتخلى عنى ، وفى تلك الليلة... أنا لا أصدق...أكانت تخدعنى؟.. معقول!!
- لا تظلمها...أنها أنبل إنسانة صادفتها.. لقد اعترفت لى أنها تحبك ، وقلبها دفعها ألا ينسيها أنها أم لثلاث بنات ، مقبلات على الزواج، ولم ينسها أيضا أنك أب ولك زوجة و..

فقاطعة بحزن واسى :

- كل هذا ليس مبررا، لأن يجعلنا نعيش تعساء .

قال ، وهو يتلفت حوله:

- أين هى؟ أريد أن أحدثها .
- لقد انصرفت منذ قليل ، وتركت لك هذا الخطاب .

أخذ الخطاب ، وأراد فضه ، فقال له (كمال) :

- ليس هذا وقت قراءته ، هاهى زوجتك وأولادك مقبلون ،(ليلى) الأن ليست سوى ذكرى ، لا جدوى من الهرب إليها.

أحاط به أولاده وزوجته ، وخطيب ابنته ، ومع ذلك شعر بالغربة والوحدة والأسى، وتحولت كل سعادة وسرور الليلة ، إلى حزن وحسرة ، وشعر بضيق لا حد له ، تمنى أن يفارق هذا المكان ، في أسرع وقت ، سأله (كمال)، وهو يتأمل ملامح وجهه :

- ما بك؟

- أشعر بالضيق ... أريد أن أغادر هذا المكان في أسرع وقت .
- أمعقول ما تقوله ؟!
- لا أستطيع أن أبقى أكثر من ذلك... أمكث أنت ، حتى ينصرف الجميع .
وانصرف ووراءه زوجته وأولاده .

(84)

لم يشعر بحرارة الاستقبال والحفاوة من زوجته وأولاده ، حينما عادوا إلى البيت، نشوة النجاح تبددت ، وحل محلها نفوروكراهية لكل من حوله ، تخلص من مناورات زوجتة الطافحة بالرغبة ، ودخل غرفة مكتبة وأغلق بابها وأخرج الخطاب، وفض غلافه ، وبدأ يقرأ، ورائحة وجودها تملأ حواسه :
- عزيزى: (عمر) .
اللة وحدة يعلم أنى أحببتك ، وهذا ما دفعنى أن أقف بجوارك ، أضمد ما كان يملأ كيانك من جروح ، وأبدد أشباح اليأس، وهمسات الحزن الساكنة فى نفسك ، وقد فرضت علىً بنبلك وطهارة قلبك نوعا من التحدى ، على أن أنقذك من مشاعر الإحباط ، وأرعى براعم الأمل ، التى كانت على وشك الذبول، وأنا وإن كنت أشعر أنى أسهمت ولو بجزء ضئيل لما حققته من نجاح، إلا أنك وهبتنى هذا الإحساس الجميل الرائع ، وكنت أتمنى أن أعيش بقية عمرى بجانبك ، ولكم ملأت تلك الأمنية جوانحى ، وفاضت على أيامى فحولت رتابتها وجمودها إلى بساتين ربيع وأغاريد صبح ، ولكن كان قدرى ألا أخذ أكثر مما أخذته ، كان قدرى أن أعود مرة أخرى إلى ما كنت عليه قبل أن ألقاك وتلقانى ، أن أكمل رسالتى وأؤدى دورى كأم، بدون أن أطمع فى المزيد ؛ لأن هذا الدور هو قمة العطاء، وأولادنا ، كل ما لنا فى هذه الدنيا ، وإذا كان هناك أنكار ، فهو لذواتنا لتظهر ذواتهم ناضرة جميلة ، تحمل الأمل والبشر.

عزيزى (عمر)...
أعلم أنك تحبنى ، وكم غفر الحب من خطايا ،هذا إذا كان ما فعلته من أخلاف وعدى لك بالزواج خطيئة . وأقصى ما أتمناه ، أن يظل هذا الحب ، ذكرى جميلة تدفعك إلى مزيد من النجاح والإبداع ، وتحقيق ذاتك ، إنك إن فعلت ذلك ، فسأظل سعيدة طوال عمرى ، وتكون قد ساعدت فى إدخال السعادة على قلب فى ظمأ شديد إليها .

المخلصة : ليلى
قرأ الخطاب عشرات المرات ، ومشاعر متناقضة تجتاح نفسه ، شعر أن جدران الحجرة تطبق عليه ، نهض وأتجه نحو الباب ، فشعرت به زوجته ، واستوقفته ، وأخبرته أن السماء تمطر ، والجو سيىء بالخارج ، ولكنه لم يعبأ بها ، وأزاحها عن طريقه ، فأسرعت بأحضار معطف المطر.
الهواء البارد المشبع بقطرات المطر المتساقتة ، لفح وجهه ، فشعر بنوع من الارتياح ، صوت الرعد ، يوقظ سكون ليل المدينة النائمة ، لم يرد أن يركب سيارته ، وأخذ يسير وزخات المطر تنهمر فوقه ، ظل يسير ساعات تحت جنح اليل .
طرق الباب ، وانتظر بعض الوقت ، أطل رأس (كمال) من خلف شراعة الباب ، وهو يفرك عينيه ويتثاءب ويلملم رداء النوم حول جسده ، سأله وهو يتأمل ملابسه المبللة ، والتي يتساقط منهاالماء:
- ماالذى أخرجك فى هذه الساعة ، وفى هذا الجو ؟
قال (عمر) بعد أن خلع معطف المطر ، وأخذ يشرب المشروب الساخن الذى أعده له (كمال) على عجل :
- بعد أن قراءت الخطاب ، لم أستطع أن أمكث فى البيت .
- اخلع ثيابك ، ريثما أتيك بثياب جافة ... ربما تعود اليك الأزمة ، لم لاترحم نفسك.

- لاتأتى بشيء ، فإنى سأخارج .
قال (كمال) وهو يتأمل ملامحه :
- ماتوقعته حدث .
فقال وهو يسعل :
- ماذا توقعت؟
- إنك لن تستطيع أن تجتاز تلك الأزمة .
- معذرة ....سوف أخيب ظنك فى تلك المرة....لقد علمتنى (ليلى) كيف انتصر على أحزانى واتغلب على آلامي ، ولكن للأسف لم تعلمنى كيف أميت حبها فى القلب .
- ذلك الآن الحب باق ، لايموت بموتنا .
أخذ (عمر) يسعل ، ثم نهض فاستوقفه (كمال) ، فأشار إلى النافذة ، وكان بصيص من نور الفجر يطل على استحياء .
أخذ الصبح يرش أنواره ، على الشوارع التى تحممت بماء المطر طوال الليل ، ونسيمه البارد يزرى تلك القطرات، المتعلقة بأوراق الأشجار الذابلة .
سار بعض الوقت ، بجانب البحر الغاضب الثائر فى تلك الساعة ، ونظر إلى السماء ، ووجدها تحاول أن تتسل من بين السحب الكثيفة لتطل على المدينة .

(تمت)

سيرة ذاتية :

الاسم : محمود محمد محمود القلينى
عضو اتحاد الكتاب بالقاهرة – عضوية عاملة رقم 1977
الهاتف : 0020453320039
النقال : 00201061414124
البريد الالكتروني :elkellenymahmoud@yahoo.com
الوظيفة : مدير عام بالتربية والتعليم سابقا .
العنوان : دمنهور البحيرة .

الأعمال المنـــــــــــشـورة :

1- إنهم يذهبون :	**قصص قصيرة**	**دار الشعب بالقاهرة –1982**
2- الدجال والشيطان :	**روايـــــــة**	**مركزمعروف بالأسكندرية –1985**
3- إخناتون والكهنة :	**مسرحيـــــة**	**الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة-1995**
4- محنة الإمام أحمد بن حنبل:	**مسرحيـــــة**	**الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة 1997**
5- مصرع الخراسانى :	**مسرحيـــــة**	**الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة2002**
6- غائب لا يعود :	**مسرحيـــــة**	**الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة 7**
7- الفكر الإسلامى ومستجدات العصر:	**كتاب**	**المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة 2005**
8--عش حياتك سعيدا :	**كتاب**	**مكتبة بستان المعرفة بكفر الدوار – 2005**
9-- النساء فقدن عروشهن :	**كتاب**	**مكتبة العلم والإيمان بالمنصورة 2006**
10- العمرية - فى رحاب عمر بن الخطاب:	**كتاب**	**دار العلم والإيمان بدسوق 2007**
11- أمير الصحافة العربية :	**كتاب**	**مكتبة بستان المعرفة بكفر الدوار2009**
12- شخصية موسى النبى :	**كتاب**	**مكتبة بستان المعرفة2011**
13– الإسكندرية عناقيد العشق والغضب:	**رواية**	**مكتبة بستان المعرفة 2011**
14- الثورة في وجدان المصريين:	**كتاب**	**مكتبة بستان المعرفة 2012**
15- الباحثون عن الله:	**كتاب**	**دار العلم والإيمان بدسوق2013**

16- الخروج من الجلد: رواية مكتبة بستان المعرفة2013
17- بلد راكبها عفريت : مسرحية الهيئة العامة لقصور الثقافة 2010
18- شخصية المسيح كتاب مكتبة بستان المعرفة بكفر الدوار 2014
19- شخصية النبي محمد كتاب دار العلم والإيمان بدسوق 2014
20- الجنوب الهادي رواية الهيئة العامة لقصور الثقافة 2014
21- قيم ومعايير في أدب يوسف إدريس . دار العلم والإيمان بدسوق . 2015
22- الذاتية في أدب المازني . دار العلم والإيمان بدسوق .2015.
23- في أدب الطفل ..المسرح . دار العلم والإيمان بدسوق .2015.

الجوائـــــــــــــــــــــــز :

1- جائزة التأليف المسرحى من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عن مسرحية محنة الإمام أحمد
2- جائزة التأليف المسرحى من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عن مسرحية إخناتون والكهنة
3- جائزة التأليف المسرحى من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عن مسرحية مصرع الخراسانى
4- جائزة الدراسات النقدية من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عن دراسة بعنوان (الذاتية والقيم الوجودية فى أدب إبراهيم عبد القادر المازنى)
5- جائزة الدراسات النقدية من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عن دراسة بعنوان (قيم ومعايير فى أدب يوسف إدريس)
6- جائزة المقالة النقدية من المجلس الأعلى للثقافة عن دراسة على قصة (الطريق) لنجيب محفوظ
7- جائزة من نادى أبها بالمملكة العربية السعودية عن مسرحية محنة الإمام أحمد بن حنبل 1417هـ
8- جائزة من نادى القصة بالقاهرة عن رواية بعنوان (قوس قزح) 2001
9- جائزة الهيئة العربية للمسرح بالشارقة الدورة التاسعة 1916عن نص مسرحي بعنوان (غائب لا يعود)